المجلس الأعلى للغة العربية
ووزارة الثقافة

الطريق إلى مجتمع المعرفة وأهمية نشرها بالعربية

منشورات المجلس 2008

فهرس الكتاب

- تقديم
- كلمة رئيس المجلس
- الملخص التنفيذي

الفصل الأول
سمات مجتمع المعرفة وكيف يكون ؟

- . ثورة المعلومات بين الواقع والأسطورة، أ. د/ حسن حنفي
- مجتمع المعرفة: مقاربة ابستيمولوجية في ظل تعقيدات ما بعد الحداثة، أ.د/ محمد برقوق
- العولمة والرأسمالية الإدراكية والتوزيع العالمي الجديد للمعرفة،
- أ.د/ يحي اليحياوي
- بعض الشروط والوسائل لبناء مجتمع المعرفة،
- أ.د/ فضيلة بوعمران

الفصل الثاني
توطين المعرفة باللغة العربية

- اللغة العربية في مجتمع المعرفة ، أ.د/ صالح بلعيد
- مجتمع المعرفة والخصوصيات الثقافية والحضارية: هل من تعارض؟، أ.د/ شوقي جلال
- الهوية والقيم الرمزية في مجتمع المعرفة ، أ.د/ بومدين بوزيد

- **المنظومة اللغوية والعلاقات الدلالية الجديدة في مجتمع المعرفة ،**
- **أ. د/ محمد طيبي**

من إشكالات اللغة إلى إشكالات الوعي، أ / هاني نسيرة

الفصل الثالث

وسائل بناء مجتمع المعرفة

- **نحن والثقافة العلمية، أ / محمد سعيدي**
- **الترجمة رهان أساسي للنمو اللغوي والثقافي في عصر العولمة أ.د/ عبد السلام شدادي**
- **دور الديمقراطية والحكم الرشيد في توطين المعرفة عربيا،**
- **أ/ عاطف السعداوي**
- **الساعة الكونية ومجتمع المعرفة ، أ.د/ لوط بوناطيرو**
- **استراتيجية المعهد العالي العربي للترجمة في مجال إدخال تكنولوجيا الترجمة، أ.د/ إنعام بيوض**
- **خاتمة: التوصيات**

- **<u>الملاحـــــق:</u>**
- **موضوع النـدوة**
- **برنامج النـدوة**
- **لائحة المشاركين**
- **ثبت بالمفاهيم والمصطلحات**

- **تقديـــم**

أكدت الدراسات العربية وتقارير التنمية البشرية التابعة لمنظمة الأمم المتحدة في السنوات الأخيرة على ضرورة ربط اللغة العربية بإنتاج المعرفة، إذ أن التنمية البشرية في الوطن العربي لن تتحقق إلا باستخدام اللغة العربية انطلاقا من الهوية والقيم في مجتمع ينشد التقدم، ونخب فكرية تناضل من أجل دولة القانون وترقية الحريات، وقد لعب "مركز دراسات الوحدة العربية" ببيروت منذ عقدين من الزمن دوراً فكريا وثقافيا في تطوير اللغة العربية والترجمة منها وإليها ، والاهتمام بقضايا الوحدة العربية والتراث والتنمية وهي مداخل أساسية لبناء مجتمع المعرفة، وهو ما ركزّ عليه الباحث الدكتور خير الدين حسيب مدير المركز في مختلف مقارباته ومناقشاته، كما أن هناك مجهودات علمية في هذا الشأن تقوم بها بعض المؤسسات العلمية والثقافية، منها تلك التابعة لجامعة الدول العربية ، أو المؤسسات المتخصصة من بينها " مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم" بدبي ومجامع اللغة العربية ، وأيضاً ما يقوم به بعض الباحثين والأكاديميين البارزين الذين كان لهم دورهام في الكتابة والاجتهاد في هذا الموضوع ، مثل نبيل علي وأحمد أبوزيد ونادر فرجاني وغيرهم ، ومن الذين شاركوا في فعاليات هذه الندوة التي تهدف إلى التأكيد على أهمية كسب رهان العصر المتمثل في استيعاب التراكم المعرفي في مجالات العلوم والفنون والآداب وتوطين المعرفة باللغة العربية ، والبحث عن أنجع السبل التي تمكننا من الاستفادة من طوفان العولمة المبني بالأساس على تجدد المعارف في عصر المعلومات، واستيعاب التقانات، انطلاقا من الإيمان بوحدة المعرفة وتعدد

اللغات ، ويضاف إلى ذلك تسارع الاكتشافات التكنولوجية ودورها في تشكيل ملامح المستقبل ، باعتماد فائض القيمة المعرفية لخوض غمار التجديد والابتكار ، وهي المنطلقات التي دفعت المجلس إلى تنظيم الندوة التي شارك فيها نخبة من المفكرين والعلماء، جمعت وقائعها في هذا الكتاب الذي نضعه بين أيدي المشرفين على المركز بغية نشره وتوزيعه تعميما للفائدة وإثراء للمكتبات العربية.

إنّ المجلس الأعلى للغة العربية عاقد العزم على مزيد من العناية بالدراسات ذات الصّلة بوضعيّة التخلّف وكيفيات الخروج منها واللحاق بموكب التقدّم ولا سبيل إلى ذلك بدون إنتاج المعرفة ونشرها على نطاق واسع بلغة الضاد العريقة، والسعي لتطوير مواردنا البشريّة أساس التنمية والقوّة والمناعة، ولعلّ ذلك من أهمّ الخدمات التي نقدّمها للغتنا العربيّة الجميلة، لتستعيد بمضامينها العلميّة والإبداعيّة مكانتها في موكب المقدّمة فتكون لغة تنتج المعرفة وتساهم في الابتكار والإبداع.

كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية

السادة الأفاضل،

الحضور الكرام

يستمد مجتمع المعرفة قوته وحيويته من الثورة العلمية والتكنولوجية وما أحدثته من تطور هائل في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

اكتسحت منجزات تلك الثورة المتواصلة كل أنحاء العالم وفتحت للإنسان آفاقا بلا حدود وأسست لزمن حضاري جديد، المشارك فيه فاعل وموجود والغائب عنه مهمش ومفقود.

نعرف أن تلك الثورة وفتوحاتها الباهرة لم تحدث بالصدفة وفي التّو، فقد كانت نتيجة تراكم الخبرة والمعرفة في متصل تاريخي حضاري تنقّل شرقا وغربا، وتعاقبت أزمنته وأماكنه، فالتقدّم الحضاري لا يقتصر على عرق أوحد أو منطقة جغرافية دون غيرها، وليس أيضا من ٱحتكار عقيدة دينيّة تقصى ما سواها، فالعقل أعدل قسمة وزعت بين الناس.

وقد ساهم الوطن العربي والإسلامي مشرقا ومغربا في حقب سابقة في تقدم العلوم والآداب والفنون الجميلة وقدم رصيدا لا يستهان به أثرى المعرفة الإنسانية بمقاييس ذلك الزمان باللسان العربي المبين، وبه صنع حداثة عصره، ولكن ذلك الرصيد هو اليوم جزء من تاريخ العلوم والآداب، ولا ننسى أن قسما كبيرا من ذلك التراث النفيس تعرضّ للتجاهل والإنكار في عهود الركود والانحدار، حتى نفض عنه الغبار، أو عما بقي منه، المستنيرون في حركة النهضة والإصلاح والنزهاء من علماء الاستشراق وأعادوا له الٱعتبار.

السيدات والسادة الأفاضل

تخلصت معظم بلداننا بتضحيات كبيرة من ظلم وظلام الاحتلال والحماية، ومضى ما يزيد على نصف قرن بعد تحرير الأوطان، وودعت أقطارنا القرن العشرين بحدوده القصوى في الخير والشر على حد تعبير إ. هوبزباون فيلسوف التاريخ البريطاني، وبقي في ربوعنا عدو لا يقل خطرا وتهديدا لحاضرنا ومستقبلنا، إنه التخلف وما يفرضه علينا من عجز وتبعية وإهدار.

كيف تتدارك الجزائر والبلدان العربية الشقيقة ما فات وتعدّ العدّة لما هو آت في هذا القرن الجديد؟

ما هي أفضل السبل لتذليل العوائق التي تحول دون تأسيس مجتمع المعرفة ونشرها بلساننا العربي الجميل؟

هل تؤدي أنظمة التعليم والتكوين والبحث وظائفها في إعداد رأس المال البشري صانع الثروة ورهاننا الحقيقي على المستقبل؟

هل هناك استراتيجيات قطرية ومشتركة بين بلداننا لنقل العلوم والتكنولوجيات الحديثة وتمثلها تمهيدا لتوطينها والمشاركة في إنتاجها على المديين المتوسط والبعيد؟

كيف تستفيد بلداننا من عولمة واثقة من نفسها وهجومية، وتساهم في تدفقها دون أن تفقد مميزاتها الروحية وخصائصها الحضارية؟

هل هيّأنا بيئتنا المحلية في الريف والمدينة للحد من هجرة الكفاءات إلى خارج الأوطان وتمثُّل مستجدات المعرفة المنقولة لإحداث تغيير في العقليات والسلوكات لكي نتصالح مع ذاتنا الحضارية، ونستفيد من تجاربنا التاريخية وننخرط في عصرنا، فلا يكون تطوير المعرفة وتطبيقاتها من الكماليات والتّرف الفكري لنخب منفصلة عن واقع شعوبها، وكأن التخلف قدر بلداننا المحتوم.

السيدات والسادة الأساتذة الأفاضل

هذه جملة من القضايا المقترحة، ونحن نعرف بأنها ليست الأولى ولن تكون الأخيرة، فقد نظم المجلس في بداية السنة الماضية 2006 لقاءً في منبره "حوار الأفكار" موضوعه توطين المعرفة العلمية والتكنولوجية وأهمية نشرها بالعربية، كما عقد المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي ملتقًى دوليا في سبتمبر الماضي حول اقتصاد المعرفة وأهمية التأهيل العالي والقيمة المضافة في تسريع وتيرة التنمية المستدامة وتطوير المجتمع.

وتجد التساؤلات السابقة نفس الأهتمام في البلدان العربية الشقيقة بمبادرات من المؤسسات الحكومية ومنظمات المجتمع المدني، والأنشغال واحد، وهو كيف نخرج من وضعية التخلف الموروث والمتراكم في كل لحظة بسبب التطور المتسارع للعلوم والتكنولوجيات؟ وما هي الآليات التي تمكننا من تجاوز الهوة المهولة التي تفصلنا عن موكب المقدمة الذي يقوده عصر الاتصال والمعلوماتية والجينوم؟

لا شك أن من دوافع هذا الاهتمام إدراك الكثير من النخب الفكرية والسياسية بأن معركتنا الحقيقية التي لا تقبل التأجيل والتردد ينبغي أن تكون ضد التخلف ومضاعفاته التي اعتقلت العقل ولوثت الروح.

إن الموقع الاستراتيجي لمنطقتنا وما وهبها الله من ثروات باطنية ومخزون معتبر من الطاقة شريان الحياة الاقتصادية في العالم، تجعلنا مسرحا لصراعات الدول الكبرى ومصالحها الأنانية، وفي أحسن الأحوال مجرد أسواق لأستيراد التكنولوجيات الجاهزة مقابل استنزاف مواردنا غير المتجددة.

تتطلب مواجهة هذه التحديات الخطيرة والملحة، تفعيل الجهد العلمي العربي المشترك ضمن مؤسسات الجامعة العربية وبين الهياكل المختصة مثل الجامعات ومراكز البحث للتغلب على احتكار المعرفة واختراق منطقة الحظر

على التقانات المتقدمة والعمل بطريقة منظمة وذكية تحترم حقوق الملكية الفكرية والصناعية وتضمن لنا في نفس الوقت الحق المشروع في المعرفة مثل الحق في الحياة والحرية والكرامة.

إن نقل التكنولوجيا وتوطينها في بلداننا يتطلب توفر الآليات الضرورية للاستيعاب والتمثل في محاضن تكون مثل خلية النحل التي تمتص رحيق الأزهار لتنتج الشهد، وذلك وفق خطة محكمة لتطويع الخبرة المنقولة وتوظيفها لتلبية الحاجات الحقيقية للمجتمع، وتشجيع النخب التي تنتج الأفكار وإشراكها في بناء السياسات الداخلية والعلاقات الدولية.

أيتها السيدات

أيّها السادة الأفاضل

لبلوغ هذه الأهداف لا بد من الإسراع بتصحيح بعض الأخطاء الشائعة وأولها الاعتقاد بأن استيراد منتجات العلم والتكنولوجيا في صورة سلع وخدمات يعني التطور والتنمية، فقد تأكد في مختلف تجارب البلاد النامية ومنطقتنا جزء منها، أن ذلك لا يعني أبدا امتلاك المعرفة التي أنتجتها أو تقبل العقليات والسلوكات الملازمة لها، بل إنها تؤدي إلى مزيد من التبعية والاتكال على الآخر.

أما ثانيها فيتمثّل في قلة العناية بالبحث الأساسي في العلوم الدقيقة وعلوم الإنسان والمجتمع، على اعتبار أن ذلك غير مجد وأن البلدان المتقدمة تقوم بوضع الأنساق المعرفية بالنيابة عنّا، والحقيقية أن التقدم العلمي عملية مترابطة لا تنفصل فيها النظريات عن تطبيقاتها في مختلف مجالات المعرفة.

وأما ثالث تلك الأخطاء وأكثرها ضررا فيتعلق من ناحية بالبطء في تطوير وتحيين مناهج ومضامين تعليم اللغة العربية نفسها وإبعادها عن حركيّة التطور

العام في المجتمع والتقدم الكبير في مختلف مجالات المعرفة، مما أدى إلى قلة التأليف والنشر بها في تلك المجالات والنقص الفادح في المراجع العلمية ذات القيمة الأكاديمية والتثقيفية، وقد أصبح ذلك النقص أحيانا حجة، وأحيانا أخرى ذريعة، لبقاء الحال على ما هو عليه.

لقد أثبتت تجارب ناجحة من الصين إلى إسرائيل أن التحصيل باللغة الوطنية يوفر الجهد والوقت ويرفع كفاءة المتكونين، ويساعد على نشر الحقائق الثابتة في العلم الحديث بين الجمهور.

لا يعني ذلك التقليل من أهمية تعليم وإتقان لغة أجنبية أو أكثر، وإصلاح تعليمها لتكون رافدا نُوظف ما فيها من ثروة معرفية لصالح بلداننا، وليس للانتقال إليها والإضافة إلى رصيدها، فليس من الضروري أن لا يكون الإبداع إلا بلغة أجنبية، كما أنه ليس كل من يتقن لغة أجنبية مبدعا.

أما الرابع فهو تقصير يدعو إلى الأسف والخجل، ويتصل بحصيلة أمتنا في ميدان الترجمة، حيث تجمع التقارير المنشورة في منطقتنا وعلى الصعيد الدولي، أننا في ذيل القائمة، حتى بالنسبة لبعض البلدان النامية، فضلا عن بلدان أخرى صغيرة في حجمها السكاني وإمكانياتها في أوروبا وآسيا وأمريكا اللاتينية، ولن نتدارك هذا النقص والقصور الفادح بالاكتفاء بالتنويه بأهمية الترجمة وإصدار اللوائح والتوصيات في المؤتمرات والندوات، فنحن لا نبالغ إذا اعتبرنا الترجمة والتكوين الجيّد للمختصين فيها، الطليعة الكشافة للطريق إلى مجتمع المعرفة وهي تستحق من دولنا ومن المنظمات الجهوية والإقليمية الكثير من الدعم السخي والتنظيم والرعاية.

أيتها السيدات أيّها السادة

أيّها الجمع الموقّر

إن معاينة وضعية التخلف لا تعني الأستسلام لواقع الحال والاكتفاء برثاء الذات وهجاء الآخر، فقد أدرك الكثير من نخبنا الفكرية والسياسية منذ إرهاصات النهضة والإصلاح أن اكتساب المعرفة وتنمية الخبرة، هما قارب النجاة والذخيرة الحية الحقيقية لبناء قدراتنا الذاتية وضمان أمننا القومي والقطري وهو ما تسعى إليه الجزائر بعد أن تحررت من كابوس الاحتلال بثورة شعبية واعدة ببناء دولة حديثة ومجتمع متطور، فقد أولت الجزائر عناية كبيرة لقطاع التربية والتكوين والبحث العلمي وخصصت له ميزانيات ضخمة حيث تصل نسبة التمدرس إلى 87 %من بينهم 73% من الإناث من مجموع السكان الذين بلغ تعدادهم 34 مليون نسمة وتمثل تلك النسبة 4/1، السكان إذا أضفنا لهم طلاب الجامعات الذين وصل تعدادهم هذه السنة إلى مليون طالب يُوفَد المئات من المتفوقين منهم لمواصلة التكوين المتخصص في جامعات الدول المتقدمة حسب احتياجات مخططات التنمية الوطنية.

كما عرف قطاع البحث العلمي والتطوير التكنولوجي، منذ بداية هذا القرن تحولا نوعيا لتزويد البلاد بقدرات علمية وتكنولوجية تساهم في خلق الثروة وحركية النمو الاقتصادي، فهناك المئات من المخابر التي تتمتع بميزانيات معتبرة وتتمتع بحرية في التنظيم والتسيير.

كما أنشأت عددا من مراكز البحث المختصة في التكنولوجيات المتقدمة، نذكر من بينها وحدة لصناعة الأقمار الصناعية، وأخرى للأبحاث النووية لأغراض سلمية، وثالثة لتطوير صناعة الطاقات البديلة، ورابعة للتكنولوجيا الحيوية (بيوتكنولوجيا) وخامسة في مجال المعلوماتية والانترنيت.

وتتواصل جهود الدولة وجمعيات المجتمع المدني لإصلاح نظام التربية وتوفير ودعم التكوين المستمر والحد من التسرب المدرسي والتخلص من آفة الأمية وتوديع آخر أمي في العقد القادم، والأمية لا تعني اليوم أمية الحرف

فحسب، بل تعني أيضا مدى ٱنتشار وسائل الاٌتصال والتثقيف الحديثة وفي مقدمتها المعلوماتية والانترنيت والقدرة على ٱستخدامها.

ينبغي أن يكون تطوير قطاع التربية والتكوين والبحث العلمي في صدارة أولوياتنا الإستراتيجية فهو المنبع والمصب لتوطين المعرفة ونشر منتوجها بين عامة الناس، بلغتنا العربية.

إن الطريق للخروج من التخلف يبدأ بالوعي بأن قوة الدولة بقوة مجتمعها، ولا قوة ولا مكانة لمجتمعاتنا العربية إلا إذا حظيت النخب المفكرة والمبدعة بالرعاية في مناخ من الحرية في ظل حكم راشد يسوده الأمن ويسوسه العدل ومعيار الاستحقاق.

السادة الأفاضل أيّها الجمع الموقّر

هذه الكلمة إطلالة على موضوع ندوتنا ، وسوف تُقدّم لنا الأبحاث والمداولات والورشة المقترحة إضاءات تنير لنا الطريق نحو مجتمع المعرفة المنشود، وتوطينها في ربوعنا، ونشرها باللسان العربي الجميل.

أيّها السّادة الأفاضل، ضيوفنا الكرام، أيّها الجمع الموقّر،

أجدد الترحيب بكم جميعا وأشكركم على صبركم وحسن إصغائكم.

والسّلام عليكم

الطريق إلى مجتمع المعرفة وأهمية نشرها باللغة العربية

ملخص تنفيذي

إعداد:د/ بومدين بوزيد

جامعة وهران – الجزائر

اقترح "**المجلس الأعلى للغة العربية**" في الجزائر ربيع سنة 2007 نصاً للتفكير أرسله للمثقفين والباحثين الجزائريين والعرب كانت فكرته المحورية: "*كيف نصل إلى مجتمع المعرفة . هذا التوصيف الذي يلحق بالبلدان المتقدمة التي تحولت فيها المعرفة إلى ثروة اقتصادية وصناعية وإنسانية . ؟ وما هي الوسائل والسبل لبناء هذا المجتمع وتوطين المعرفة باللغة العربية ذات القدرة على مواكبة العلوم والتقنيات الحديثة على اعتبار أن الاقتصار على اللغات الأجنبية سيمركز المعرفة بيد فئة قليلة*؟.

تساوقاً مع هذه الإشكالية المطروحة كان اقتراح المحاور التالية على المشاركين في الملتقى الدولي الذي نظّم في يومي 13 و14 نوفمبر 2007 بفندق الأوراسي . الجزائر العاصمة .

1 . سمات "مجتمع المعرفة" وكيف يكون؟ وتوزع هذا المحور على العناصر التالية: . مجالات "مجتمع المعرفة"، . سبل الوصول إلى "مجتمع المعرفة"، . كيف تنتج المعرفة وكيف توزع؟.

2 . توطين المعرفة باللغة العربية. . أساليب الابتكار في اللغة العربية ونشرها. . مجتمع المعرفة والخصوصية الثقافية والحضارية. . نشر المعرفة باللغة العربية.

3 . وسائل بناء "مجتمع المعرفة" ووظائفه. . التربية والتكوين والبحث. . الثقافة والقيم المشتركة، . التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

كانت مداخلة الدكتور الباحث محمد العربي ولد خليفة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية مركزة مهدت لمحاضرات ونقاشات الملتقى إذ جاء فيها أن الحضارة الإسلامية تميزت بإبداعها العلمي وأثرت على المعرفة الإنسانية، غير أن غلق باب الاجتهاد وحالة التخلف والاستعمار والقهر جعلتنا ننسحب من

المشاركة المعاصرة في العلم والتقدم، ويرى رئيس المجلس أن العدو الحقيقي الذي يعيش بيننا اليوم هو التخلف، وطرح مجموعة من الأسئلة: " كيف تتدارك البلدان العربية ما فات وتعدّ العدّة لما هو آت في هذا القرن الجديد؟

ما هي أفضل السبل لتذليل العوائق التي تحول دون تأسيس مجتمع المعرفة ونشرها بلساننا العربي الجميل؟

هل تؤدي أنظمة التعليم والتكوين والبحث وظائفها في إعداد رأس المال البشري صانع الثروة ورهاننا الحقيقي على المستقبل؟

هل هناك استراتيجيات قطرية ومشتركة بين بلداننا لنقل العلوم والتكنولوجيات الحديثة وتمثلها تمهيدا لتوطينها والمشاركة في إنتاجها على المديين المتوسط والبعيد؟

كيف تستفيد بلداننا من عولمة واثقة من نفسها وهجومية، وتساهم في تدفقها دون أن تفقد مميزاتها الروحية وخصائصها الحضارية؟

هل هيّأنا بيئتنا المحلية في الريف والمدينة للحد من هجرة الكفاءات إلى خارج الأوطان وتمثُّل مستجدات المعرفة المنقولة لإحداث تغيير في العقليات والسلوكات لكي نتصالح مع ذاتنا الحضارية، ونستفيد من تجاربنا التاريخية وننخرط في عصرنا، فلا يكون تطوير المعرفة وتطبيقاتها من الكماليات والتّرف الفكري لنخب منفصلة عن واقع شعوبها، وكأن التخلف قدر بلداننا المحتوم" .

حرص في كلمته على أهمية تطوير اللغة العربية وتطوير مناهج التدريس والمنظومة التربوية على اعتبار أن نجاح الوصول إلى مجتمع المعرفة تكفله اللغة الحاضنة والمترجمة للمعارف ولن تكون لغة أخرى بديلة رغم أهمية تعدد اللغات والحرص على تدريسها.

مجتمع المعرفة : المفهوم، السمات والتكون التاريخي

رجع أغلب المتدخلين في تعرضهم إلى مفهوم مجتمع المعرفة وتاريخ تشكله إلى تقارير التنمية البشرية وخصوصاً تقرير 2003 الذي حدّد لأول مرّة فلسفياً واجتماعياً وتاريخياً ما المقصود بـ "مجتمع المعرفة".

فالباحث صالح بلعيد (الجزائر) يرى في نص محاضرته: " *اللغة العربية في مجتمع المعرفة*" أن المجتمع الذي يعتمد المعرفة مبدأً ناظماً للحياة البشرية، وتنميط سلوك البشر وثقافتهم في المجتمعات كافة، وإخضاعها لنظام قِيَم، ولأنماط سائدة في مجتمعات استهلاكية. ويلعب الإعلام والاتّصال الدور الهام في مجتمع المعرفة، حيث يتطلّب الاتّصال إضافة إلى الانفجار المعرفي والتسارع التقني، والتطوّر التكنولوجي، وانهيار الفواصل الجغرافية وارتفاع المكوّنات المعرفية، وتضاؤل المكوّنات المادية، وهي من خصائص ثقافة مجتمع المعرفة وعلومه .وتعني المعرفة إجمالاً: الاتّصال، والإدراك، والوعي، والانطباع العقلي والوصول إلى الحقائق .

كما أن هذا المجتمع يتسّم مجتمع المعرفة بقيام منظومة مجتمعية تتّسم بثقافة تجعل من نفسها صدى للثورة المعرفية والتكنولوجية، مما يفتح لها أفقاً لتواكب مركبة التاريخ ولتستوعب قِيَم التجديد الحضاري ولتبلوَر حداثة حقيقية؛ حيث يعدّ مجتمع المعرفة فرصة لتحقيق أهداف الألفية المعاصرة .

أما الباحث والمترجم "شوقي جلال" من مصر فيصل في بحثه عن " *مجتمع المعرفة والخصوصية الثقافية والحضارية هل من تعارض*؟" أن مجتمع المعرفة هو تعبير رمزي عن طور حضاري جديد، إنه تعبير عن ثورة تكنولوجية متمركزة حول المعرفة أدت إلى تحول أسلوب التفكير والإنتاج والاستهلاك والتجارة والإدارة والاتصال والحياة والموت .وسوف تكون له تجلياته الثقافية، وقضاياه الفكرية،

ومفرداته اللغوية، ورؤاه الفنية .وسوف يؤثر بعمق فى الثقافة والخصوصية، ولكن سوف تتباين وتتنوع بتنوع استجابات المجتمع.

إن الانتماء إلى مجتمع/اقتصاد المعرفة يعني كما يقرر إعلان المبادئ:

1. تسخير إمكانات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات للنهوض بأهداف التنمية: استئصال الفقر المدقع والجوع ومحو الأمية والمساواة بين الجنسين، وتمكين المرأة والارتفاع بمستوى الرعاية الصحية. وهذه جميعها غائبة في المجتمعات العربية التى تعيش بغير إستراتيجية تطوير حضاري وطني مما يباعد بينها وبين الجهود اللازمة للانتماء لركب حضارة الصناعة وعصر الثورة المعرفية. إذ أن من بين هذه التحديات ما يراه البعض يتنافى مع الثقافة الاجتماعية والعقيدية السائدة. وتؤكد الإحصاءات أيضًا حالة الفقر المدقع علميًّا وتعليميًّا وارتفاع نسبة الأمية وتدني الحالة الصحية بل وحرمان الغالبية من أبسط حقوق الرعاية.

2. يؤكد البند 3 عالمية كل حقوق الإنسان والحريات الأساسية في شمولها والديمقراطية والتنمية المستدامة واحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية) حرية المعلومات وحرية التعبير والاعتقاد وحق المشاركة الإيجابية للمواطن فى إدارة ومتابعة ومراقبة شئون بلده)، وكذلك الحكم الرشيد. ويرى الإعلان أن هذه جميعها كلٌ متكامل. وغني عن البيان أن هذه جميعها شروط غائبة عمدًا وقسرًا فى المجتمعات العربية، ومن ثم هي هدف جوهري يتعين إنجازه إذا شئنا التطلع إلى الانتماء للعصر.

يؤكد الإعلان فى البندين 7، 8 أن للعلوم دور مركزي في تطوير مجتمع المعلومات أو مجتمع المعرفة؛ وأن التعليم والمعرفة والمعلومات والاتصالات هي بؤرة تقدم البشرية. ويعرف الجميع أن العلم والبحث العلمي ومغامرة المعرفة العلمية

تمثل جميعها الفريضة الغائبة فى الثقافة الاجتماعية وفي السياسة العامة للمجتمعات العربية. ويكفي أن نعرف أن المجتمعات العربية تخصص لميزانيات البحث العلمي ما لا يزيد عن 0.5% من إجمالي الناتج القومي، وهي نسبة تكاد تكفي رواتب الموظفين. هذا بينما تخصص كوريا الجنوبية 2.5% وإسرائيل 3% والولايات المتحدة 3% من إجمالي الناتج القومي.

من جهته أمحند برقوق الباحث الإستراتيجي وأستاذ العلوم السياسية بجامعة الجزائر تطرق في بحثه "مقاربة إبستمولوجية في ظل تعقيدات مابعد الحداثة" إلى التحديد الدلالي والاصطلاحي، لتطور مفهوم المعرفة على المستوى الفلسفي، إذ المعرفة لم تعد متغيراً حياتياً، ومتغيراً فكرياً بل أصبحت في كثير من الأحيان عنصراً فعليا محددا للطبيعة الاقتصادية للدول، كما أنها أصبحت أيضاً معياراً تقييمياً ، لأنها تنتج مجموعة من المقاييس تعتمد لتصنيف الدول على مستوى التوزيع العالمي للقوة وأكثر من ذلك أصبحت المعرفة نوعا من أنواع المنطلقات التفسيرية لطبيعة المجتمعات، وأشار أن التفسيرات البسيطة بالرجوع إلى التفسير الكينوني مثلا عند سقراط، أو التفسير الجدلي عند ماركس أو هيغل، أو ربما إلى التفسير الاجتماعي عند برترند راسل لم يعد مجديا في الحديث عن مجتمع المعرفة، إن مجتمع المعرفة قد أحدث قطيعة ابستيمولوجية على مستوى التعامل مع العلاقة بين المعرفة والمجتمع، المعرفة كمحدث قيمي، والمعرفة كمصدر معبر ومفسر للسلوك بحكم أننا بعد الحداثة أصبحنا نتحدث كثيراً عن المعرفة، كمنطلق تفسيري، لبناء مجتمع متفتح، مجتمع لا يعرف حدوداً لا أخلاقية ولا قيمية ، ولا دينية، ولا قيادة علمية ولا ثقافية ، وأنه لا يمكن انتقاء النوع على مستوى التربية في الدولة الصناعية كدولة مجتمع معرفي، بحكم أنه يجب الإقرار بأن مجتمع المعرفة هو مجتمع ما بعد الصناعة، و نقطة انطلاق جديدة في بناء الفرضية الثانية، و أن قيامه

على فكرة الثقافة التخصصية، وقد ذكر الصفات الملازمة لمجتمع المعرفي وهي:

1- مفهوم مجتمع المعرفة أساساً هو مفهوم المجموعة عبر الثقافي (ensemble de l'interculturelle) هو مجتمع ما بعد الصناعية، نقطة الانطلاق الجديدة في بناء حركية التاريخ .

2- مجتمع المعرفة يقوم على فكرة العبرة التخصيصية، مجتمع معرفي عبر ثقافي، معرفة عبر تخصصية أي الارتباط بين العقل الإنساني والعقل الاصطناعي قد خلق قفزة جديدة على مستوى بناء المعرفة ذات الركنين الاثنين: ركن مادي سابق وركن قيمي متحرك.

3- محاولة نزع الصفة القيمية عن المعرفة، لأن المعرفة أصبحت يراد لها أن تكون مرتكزة على القيم لا سيما لو رجعنا إلى التقرير السنوي لسنة: 2005 لبرنامج الأمم المتحدة للتنمية، فسنجده يتضمن الكثير من الانتقاد ويعتبر أن أكبر المعيقات لبناء مجتمع المعرفة في الوطن العربي هي وجود قيم عربية إسلامية مثلا ، وجاء فيه: إن نزع صفة القيمة –القيمة الفلسفية ، القيمة الدينية، القيمة الثقافية – قد خلق نوعا من التوجيه لطبيعة مجتمع المعرفة .

4- مجتمع المعرفة – مجتمع النمذجة – (société de modélisation) بحكم أنه محاولة لتأسيس لنوع من التقسيم الاختصاصي الجديد لعالم معرفي عبر تخصصي.

5- سلعنة (Marchandisation) المعرفة وجعلها مكممة "من الكم" (quantifier) وهي هنا منتجة للافتراضيات (النماذج الافتراضية ، الدولة الافتراضية ، الاقتصاد الافتراضي، المعرفة الافتراضية)، وبالتالي فهي إعادة صياغة حدود المعرفة، فلم تعد معرفة الذات، ولا معرفة المجتمع، ولا معرفة

الدين، ولا معرفة الثقافة، ولا القيم، بل هي أصبحت تذويب قيم وتذويب لغات في بوتقة افتراضية سريعة التغيير لا تعرف الزمان ولا المكان.

6–"تنوع المعرفة"، بحكم أن المجتمع لم يعد كما كان مغلقا ، بل أصبح متفتحا، عبر ثقافيا، عبر قيميا، عبر لغويا، فالنوع المعرفي قد ألغى فكرة التجانس التي تحدثت عنها الكثير من الفلسفات الغربية سابقا، والتي تقر بمفهوم التجانس المعرفي، وحاليا وبحكم انتقالنا نحو الصورية التي تتحدث عن خلق نواة من نواتات معرفية متعددة عبر تخصصية.

من جهتها الدكتورة فضيلة بوعمران من كلية الطب جامعة الجزائر قارنت بين المفهوم التقليدي للأمية والمفهوم الجديد الملازم ليس للفرد ولكن للجماعة، فأمية الجماعة هي كوننا لا نستطيع مستقبلاً أن نكّون مجتمعات للمعرفة التي تسم بالعناصر الأربعة التالية: 1) التربية 2) المؤسسات 3) الإبداع 4) التكنولوجيات الجديدة، (بمعنى تكنولوجيات الإعلام والاتصال). معنى ذلك أنه يركز على الجوانب غير المادية في إنتاج الثروات، وللصول إلى ذلك تطرقت إلى شروط أساسية منها الشروط الفكرية والفلسفية التي تعني إشراك الخبراء والعلماء في التنمية وفي القرارات، وكذا جعل الإنسان خطة الانطلاق في أي مخطط تنموي، وهناك شروط أخرى تتعلق بالجانب الاقتصادي والتنظيمي والسياسي. أما الوسائل التي أولتها أهمية في مداخلتها فيمكن اختصارها إلى النقاط التالية:

. النظام التعليمي و التكوني، ويهدف إلى السهر على احترام إجبارية التعليم، لاسيما بالنسبة للبنات (نسبة لا يستهان بها من الإناث لا يلتحقن بالمدرسة لأسباب اقتصادية أو أمنية).

وتقويم مستمر لبرامج مختلف أطوار التعليم وإدخال إصلاحات جذرية ومتواصلة ما دامت نسبة التسرب المدرسي عالية ونسبة المتحصلين على

شهادة البكالوريا ضعيفة وهذا ما قد يوفر ظروف أفضل قبل دخول ميدان الشغل لتوظيف المهارات المكتسبة وتفعيلها وكذا تحسين وضع سلك التعليم والتكفل بمشاكله (الاجتماعية والمهنية وإعادة الاعتبار للمهنة) وفتح قنوات للترقية المهنية والعلمية فلا يعقل أن يمنع الإنسان من تحسين مستواه المعرفي، ووضع حد لبعض السلوكات السلبية للإدارة وتغيير أساليبها القهرية وجعلها في خدمة المدرسين والمتمدرسين لا العكس وتكريس طرق الحوار بين الأطراف. ثم دعم قطاع التكوين المهني من حيث الكم و النوعية بما يجعله قادرا على تلبية الطلب. واستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال في التعليم: هناك طرق جديدة ناجعة تستخدم في التعليم بهدف تحسين مناهج التدريس وإعداد موارد بشرية تتميز بمهارة عالية. وقد ساهمت في ظهورها التطورات التكنولوجية بشكل عام وتطور وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصال بصفة خاصة. وإذا كان الحصول على المعلومات شرطا لكسب المعرفة, فإنه لا يكفي لأن المعلومات لا تنفع إلا إذا وظفت لتحقيق مشروع.وتوفير إمكانية التعليم عن بعد: وهذه الطرق الجديدة للتعلم تتيح للدارس إمكانية الاستفادة من فرص التعليم بنفس القدر دون التقيد بالزمان والمكان، وهكذا تصبح المدرسة هي التي تنتقل إلى المتعلم عوض أن يذهب إليها كما هو الشأن في التعليم التقليدي.

. وسائل الإعلام ، فهو يعتبر الوعاء الأمثل لنقل المعلومات، لكن هذا يقتضي أن يكون الإعلامي خبيرا في المجال المعرفي الذي يتناوله، وهذا مستوى لم يبلغه عموما العاملون في الإعلام العربي.

. الوسائل الثقافية، كإنشاء مسابقات ووسائل تحفيزية لأحسن الأعمال باللغة العربية في كل المجالات على المستوى القطري والجهوي والعربي ، وفتح قنوات تلفزيونية فضائية تبث برامج متخصصة وذات جودة علمية عالية، كثرت الفضائيات العربية، لكن دورها محدود ولا تخصص إلا القليل لنشر المعرفة

بالمقارنة مع برامج التسلية، ولا توجد قنوات خاصة بميادين علمية مثل ما هو الحال في الأقطار المتقدمة التي لها قنوات للصحة والطب وأخرى للطبيعة والزراعة وأخرى للعلوم وأخرى للثقافية وأخرى للتربية.

أما الكاتب الصحفي "عاطف السعداوي" من "مركز أبوظبي للدراسات الإستراتيجية" في بحثه المعنون " *دور الديمقراطية والحكم الرشيد في توطين مجتمع المعرفة عربيا* "، عن مفهوم مجتمع المعرفة والتشكل التاريخي يقول: "أفرد تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2003 قضية بناء مجتمع المعرفة والمعوقات والإشكالات التي تعترضها في المجتمعات العربية، على اعتبار أن المعرفة، هي أحد ثلاثة عناصر أساسية، تؤلف فيما بينها استراتيجية التنمية الإنسانية في الوطن العربي التي يتبناها التقرير. فالمعرفة، اكتسابا وإنتاجا وتوظيفا، غدت في مطلع القرن الحادي والعشرين هي الوسيلة الكفيلة بتحقيق التنمية الإنسانية الشاملة في جميع المجتمعات المعاصرة".

كما يرى أن إطلاق "مجتمع المعرفة" بصورة متزايدة هو تعبير عن مجمل التغيرات الهائلة التي يشهدها المجتمع البشري في المرحلة الراهنة. باعتبار أن المعرفة، بجميع أنواعها وصورها، قد غدت طريقا، لا سبيل إلى تجاوزه، لأي مجتمع يبتغى تحقيق التنمية في جميع مناحي الحياة. وقد أصبحت المعرفة، بصورة غير مسبوقة، محركا قويا يقف خلف معظم التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي يشهدها عالم اليوم. فالمعرفة هي غالبا ما ترسم الحدود بين القدرة والعجز، بين المنعة والوهن، بين الصحة والمرض، بين الثروة والفقر، بين العيش تحت براثن الجهل والتخلف وبين التحليق في ذرى المجد والفخار.

من جهته يرى الكاتب والإعلامي الجزائري "محمد سعيدي" من خلال مقارنته بين " *نحن والثقافة العلمية* " أن الثورة التكنولوجية العلمية بامتداداتها في

الفضاءات العسكرية والاقتصادية والسياسية والمعرفة هي التي تشكل الثقافة العلمية في الغرب الأوربي . الأمريكي، وتعدت هذه المعرفة إلى العلوم الاجتماعية بمختلف فروعها، وكان العقل هو المحرك الأساسي لتلك الثورة التكنولوجية المتدفقة.

الأستاذ محمد سعيدي يستثمر تجربته كباحث وسياسي في العودة تاريخياً إلى تطور الغرب بعد الحرب مقارناً في ذلك بين التربية والتعليم عندهم كطريق لمجتمع المعرفة وانتكاسة ذلك عندنا، يقول: " *القاعدة الأساسية لتكوين ونشر الثقافة العلمية هي الأنظمة التربوية المتطورة والمتجددة التي تربي المواطن، ومنذ الطفولة على التفكير الحر، واستعمال العقل، وطرح الأسئلة، وممارسة النقد والتحليل فيما يقرأ ويسمع ويعمل، وبهذا أصبحت الثقافة العلمية جزءاً من وعي المواطن، يحدد سلوكه في الحياة، وعلاقاته بالمجتمع، بل وعلاقاته بالطبيعة، ويبقى السؤال المطروح علينا؛ السؤال المقلق والمحرج؛ هو ما حظنا نحن العرب من هذه الثقافة المتميزة التي تحكمها المعرفة، ويمحصها العقل، الثقافة في شكلها المعرفي الدقيق، وفي صيغتها الكلاسيكية القديمة؛ المُجسدة في أفكارنا وسلوكنا كأفراد ومجتمعات، وتسيير شؤوننا الخاصة والعامة*"، ويستشهد بالبلدان الآسيوية الجديدة التي أصبحت تثير قلق ومخاوف الغرب التقليدي، وربما ستكون القوى العلمية الطلائعية في المستقبل، فقد دخلت اليابان، والصين، والهند، وكوريا الجنوبية، وماليزيا، وجزئيا اندونيسيا، الباكستان، تركيا، وربما إيران مستقبلا العالم التكنولوجي من واسع أبوابه، وإذا كانت المسافة بينها وبين الغرب، ما تزال بعيدة، فإنها تتقلص تدريجيا مع الزمن، كما أن بلدانا هامة من أمريكا اللاتينية؛ المكسيك، البرازيل، الشيلي، الأرجنتين تسير على نفس النسق، وبقينا نحن وإفريقيا /باستثناء إفريقيا الجنوبية/ في المؤخرة خارجا عن مسيرة الزمن.

أما الباحث "يحي اليحياوي" من جامعة محمد الخامس "الرباط" ففي محاضرته: "*العولمة والرأسمالية الإداركية والتوزيع العالمي الجديد للمعرفة*" يرى أن "فك الارتباط" المتزايد بين الفضاء الاقتصادي الواسع والشامل . أي فضاء الشركات الشمولية . وبين الفضاء السياسي الذي لا يزال بعمقه وجوهره محكوماً باعتبارات وطنية خالصة وتمثلات قومية صرفة، وهنا يحددّ سمات العولمة في كونها مست بقوة ميكانيزمات توزيع وإعادة توزيع مكامن الثروة والسلطة داخل البلد الواحد، وهي رأسمالية إدراكية وهي رأسمالية ترفض كل اعتقاد يؤمن بالدور المحددّ والحاسم للتكنولوجيا، وأيضاً في رفضها المطلق للمقاربة الاختزالية التي تحصر اقتصاد المعرفة في الأنشطة المجرّدة، وهي تتميز أيضاً بالتراكم الجديد وتقسيم عمل جديد انتقل من التقسيم التايلوري التقليدي إلى تقسيم إدراكي جديد للعمل نتيجة حركية رأس المال المستمرة، ويحدد مجتمع المعرفة الذي يتميز عن مجتمع المعلومات والتكنولوجيا في الخصائص التالية : . تعاظم الدور اللامادي وللخدمات المرتبطة بذات العنصر والمحيلة على انتاج إدراكي من نوع جديد. . إعادة إنتاج المعلومات ومعالجتها وتخزينها على شكل مرقمن. . المعرفة والعلم اللذان كانا متضمنان في عملية تقييم الرأسمال الصناعي أضحيا المعطى المهيمن داخل النظام، بل قلبه النابض.

يلاحظ أن الباحث هنا يستعيض عن مصطلح "مجتمع المعرفة" بمفهوم "الرأسمالية الإدراكية" Capitalisme cognitif وهي تعني طبعاً ذاك النظام الإنتاجي الذي يكون مكمن التراكم فيه مرتكزاً على المعرفة، لدرجة تصبح فيه هذه الأخيرة المصدر الرئيسي للقيمة المضافة والفضاء الأساس لعمليات التقييم، تقييم الموارد المادية كما اللامادية على السواء.

كما أكّد كاتب هذا الملخص، في مداخلته على أن مجتمع المعرفة هو مجتمع خاصيته الأساسية وقاعدة تكوينه استثمار كم المعلومات الغني من أجل

معالجتها وتطبيقها لأغراض التمنية الإنسانية، وهذا ما جعل اصطلاح " المعرفة كصناعة " أو "اقتصاد المعرفة" من أكثر المصطلحات تعبيراً على ذلك، وحين تكون المقارنة هنا بين هذه المجتمعات المتطورة التي استفادت سابقاً من الثورة الصناعية والثروات المستعمرات، واليوم استفادت من الثورة التكنولوجية التي كانت بدايتها الخمسينات من القرن الماضي، وبين مجتمعاتنا العربية . الإسلامية التي بقي خطاب نخبها منذ القرن التاسع عشر أسير الثنائيات " العقل والنقل"، التقليد والتجديد".

محمد طيبي الباحث السوسيولوجي " الجزائر . جامعة وهران . " أكد في ورقته " *المنظومة اللغوية والعلاقات الثقافية والدلالية الجديدة في مجتمع المعرفة أو اللغة العربية بين معرفة الحضارة وحضارة المعرفة*" يربط المعرفة من خلال الفاعلين في ميادين تضبط الأطر الاجتماعية، ومجتمع المعرفة هو امتداد بنيوي وتنظيمي لمفاهيم عمران بشري حملتها مدنيات متعاقبة ومتداخلة ومتجابهة معاً ، وينحدر مجتمع المعرفة السائر في طور التكوين والتقولب في أحضان مجتمع المعلوماتية، مساره إبداعية العقل واستراتيجية التكوين ووعي بحضارة لا بد أنها منتصرة، واقتصاد المعرفة هو تجاوز معرفة الاقتصاد موضوعاً ونشاطاً وهو يسعى تدريجياً إلى رسم معالم جديدة للاقتصاد من حيث المقاصد والماهية، إنها اقتصاد الذكاء.

أما المفكر العربي " حسن حنفي" من مصر، فركز في مداخلته عن " ثورة المعلومات بين الواقع والأسطورة"على أن هناك خلط أحياناً حينما نتحدث عن ثورة المعلومات بين" المعلومات "و" العلم "فالمعلومات معروفة سلفا أما العلم فهو الجديد في المعلومات. كانت المعلومات علما أولا عند مكتشفه ثم عرفت وذاعت ودونت وأصبحت معلومات تضاف إلى رصيد البشرية. أما العلم فهو المجهول الذي لم يكن معروفا من قبل ثم تم اكتشافه فأصبح علما، يتحول بدوره بعد ذيوعه إلى

رصيد المعلومات السابق. وقد تكون المعلومات هي المنطق، ويكون العلم هو المسكوت عنه، المعلومات سطور والعلم قراءة ما بين السطور. المعلومات كم والعلم كيف. المعلومات في الخارج، والعلم في الداخل. المعلومات عامة، والعلم خاص .لذلك ارتبطت المعلومات فى أجهزتها بمقدار ما يوضع فيها Input وأصبح ما يخرج منها Output مشروط بما يدخل فيها. بل توجد مطابقة كاملة بين الاثنين، ما يدخل وما يخرج. إنما الفرق فى المقدار. فما يخرج هو تكبير قد يصل إلى ما لا نهاية لما يدخل، وكما هو الحال فى المنظار المكبر. لا يضيف جهاز المعلومات شيئا جديدا بل ينظم وينسق ويكبر ويصغر، يرتب ويعيد الترتيب لما هو معروف سلفا .يتعامل مع الشكل دون المضمون، ويتناول الألفاظ دون المعاني، ولا يتجاوز هندسة الكلام.

وتتحول المعلومات فى" ثورة المعلومات "إلى عالم من الرموز، ولا تحيل إلى عالم خارجي كما هو الحال في المنطق الرمزي. فتضيع الصلة المباشرة بين العالِمْ والعالَمْ، بين الفكر والواقع، بين الذهن والأشياء. يغيب الفكر الطبيعي ويحضر عالم الرموز. وتغيب البساطة لصالح التركيب، وتزاح البداهة ويحضر التعقيد. ويتوقف الحدس عن العمل لصالح العقل كما يصف برجسون طبيعة المعرفة العلمية التي تقوم على تصور مادي للحياة، بعيدا عن المعرفة الأخلاقية والروحية. ويفقد الوعي المعلوماتي الوعي بالعالم شيئا فشيئا كما يفقد الوعي بالوعي ذاته وبإمكانياته الإبداعية وبآفاقه المتعددة، ويصبح وعيا بالآلة وبالأرقام. ولغة الرمز في النهاية لغة أحادية الطرف، لكل رمز معنى مطابق ودون سياق ودون اشتباه لفظي بين حقيقة ومجاز ، ظاهر ومؤول ، محكم ومتشابه، مجمل ومبين، مطلق ومقيد كما هو الحال في ثقافات النص وتأويل الكتب المقدسة طبقا لمستويات عدة فى الفهم ولطبقات من الناس ولتبدل ظروف العصور والأزمان. فيتم تسطيح المعرفة ويغيب العمق اللازم للإبداع

وقراءة معان جديدة فيما يوحى إليه اللفظ من إيماء وإشارة .وتغيب الصورة الفنية كعالم متوسط بين الذهن والأشياء، فيغيب عالم الإقناع والإيحاء والتأثير واقتضاء الفعل وتوجيه السلوك.

أما الكاتب "هاني نسيرة" من الإمارات ، فقد جاء في مداخلته: " *مجتمع المعرفة من إشكالات اللغة إلى إشكالات الوعي*" أن ثمة فرقا بين مجتمع المعلومات ومجتمع المعرفة، فحسب تقرير اليونسكو عام 2005 والذي صدر بعنوان (*من مجتمع المعلومات إلى مجتمع المعرفة*)، أكد أنه "لا يمكن اختزال مجتمعات المعرفة إلى مجتمع معلومات :"لا ينبغي لبروز مجتمع عالمي للمعلومات، باعتباره ثمرة لثورة التكنولوجيات الجديدة، أن ينسينا أنه لا يصلح إلا وسيلة لتحقيق مجتمع حقيقي للمعرفة، فازدهار الشبكات لا يمكن له وحده، أن يقيم قواعد المعرفة. لأنه إذا كانت المعلومات فعلا وسيلة للمعرفة، فليست هي المعرفة .

لوط بوناطيرو العالم الفلكي الجزائري في دراسته: الساعة الكونية ومجتمع المعرفة" ضرب أمثلة وتشبيهات طريفة لعلاقتنا بمجتمعات المعرفة إذ يرى أن مجتمع المعلومات هو مجتمع تتوفر فيه وسائل المعرفة، أما مجتمع المعرفة نفسه فهو مجتمع الوعي المعرفي والتنموي والمدني القادر على الإبداع وعلى التجاوز في آن واحد ثم يقول :"ب*حيث أنني جعلته بمثابة النعمة، وقارنته بنعمة الماء، (نعمة العلم = نعمة الماء) مثلا وقارنته بالماء والأنهار في العالم والسدود حتى الحنفيات في البيوت على أنها نعمة، والعلم كذلك نعمة يسير على نفس الشبكة*" .

أما فيما يخص مجتمع المعرفة فقارنه بأنهار المياه العالمية بالحضارات الكبرى للشعوب والقبائل والسدود بالرصيد الفكري لكل أمة كما قارن الحنفيات المنزلية بمعرفة كل شخص أو كل أسرة، فكل إنسان إذا يمتلك رصيدا من المعرفة على المستوى العالمي والبعض يصب في الآخر فكل المياه تصل إلى

بيوت الناس من منطلق المياه العالمية إلى البيت البسيط، فنفس الشيء بالنسبة للمعرفة ، فالمعارف تصب في بعضها البعض والقوية دائما تصب في الضعيفة، إلى غير ذلك حتى تصل إلى كل الناس.

وهذه مقارنة خاصة بالكيفية التي أرى بها أنا شخصيا مجتمع المعرفة العالمي ومقارنته مع ما يحدث لنا، إذ كل الأمر يتعلق بالضعفاء، و كيف أنهم يعاكسون هذه النظرية عوض أن تأتي المعرفة من الأنهار فتمر عبر السدود لتصل الى بيوت الناس، فالمخترع أو المبدع له خاصية القدرة على معاكسة هذا الاتجاه، أي انطلاقا من ذاته عندما ينتج فكرا أو إبداعا، ويحاول إيصاله إلى مستوى السدود، وبعد ذلك يصب في أنهار العالم (أي في حضارات العالم) – وهذه المهمة العاتية هي الخاصية الملازمة للمفكر مهما كان على سطح الأرض، وهذا الأمر هو الذي يجعل عدم بزوغ الثقافة بسهولة في مجتمعاتنا أو حتى صبها في مجتمعات العالم .

مجتمع المعرفة: اللغة العربية والترجمة

شكل هذا المحور مركزاً أساسياً في هذه الدراسات والبحوث إذ أن المهمّة الأساسية هو كيف الوصول إلى مجتمع المعرفة وتوطينه باللغة العربية وتطوير اللغة العربية في نفس الوقت لتكون قادرة على استيعاب المعلومة ومعالجتها، وفي نفس الوقت كيف لحركة الترجمة أن تنتشر أكثر.

ضمن هذا السياق كان تدخل محمد طيبي، إذ تعرض إلى سبل تطوير اللغة العربية وعلاقتها بمجتمع المعرفة ويمكن تلخيص رأيه في النقاط التالية:

1- تطوير القواعد المنطقية والخطابية التي يقتضيها الاتصال الحديث.فالدراسات اللغوية الأكاديمية التي تعج بها البحوث الجامعية وإن

استلهمت و إلى حد بعيد نظريات اللسان الحديثة، فإنها لم تتمكن وحتى الآن من احتواء الإشكالية المعرفية للغة العربية ، فالبحوث في مجال علم اللغة العربية لم يندمج بعد في المقاربات المتعددة الاختصاص التي تتقاسم اللغة مواضيع و إشكاليات ليس لدراستها كلغة و إنما لاستنطاق دلالاتها و استخراج مخزوناتها و نقد مفهوماتها بغية نقش معاني جديدة للتراث.

2- توسيع القواعد الاجتماعية للتواصل. فاللغة ليست مجرد مدونات تعبيرية و إنما هي حاضنة المعاني وحاضرة التداول البشري. و لا يمكن لأية لغة أن تهندس خارج الفيض الاتصالي الاجتماعي الذي يغذيها بذاتيه و تغذيه بمعانيها.

3- نسج علائق للقواعد التداخلية في عمليات تسيير التداول والتبادل في مجال الاتصال و التبليغ . وهي متابعات علمية لنجاعة الاتصال بلغة من اللغات تكشف عن فعالية التبليغ و قدر تغطية المعاني

4- تنويع الخمائر المعرفية و توسيع قواعدها الاجتماعية مع انتشار سريع للتحصيل الثقافي بالوسائط الاتصالية الحديثة.

ويرى أن اللغة العربية قد تفي إلى حد بعيد متكئة على السيولة اللغة الوافدة إليها من لغات العلم الأخرى، بمتطلبات الاتصال و متطلبات التواصل التي قد يفرضها مجتمع المعرفة. إن الحالة اللغوية العربية ليست هي حالة اللغة العربية. فثمة مسافة يتعين دراستها بين المدونة الغوية العربية من حيث منطق استيعابها للحالات المعرفية الوافدة تواصليا و الخيال اللغوي العربي من حيث احتوائه لموروثه اللغوي من جهة ومن حيث توظيف هذا الموروث إبداعيا في استيعاب المعارف سواء المنتجة أو الوافدة. ليس ثمة مجتمع حي يعيش و يحيا خارج رحى الإبداع و دون ديناميكية تفكير تكفل نظم عمرانه و تطوع ذهنية إبداعه وترقي مخيال تصوره لذاته ولوجوده و لغيره من أنماط العمران

البشري. فمن حال اللغة العربية اليوم وبغض النظر عن قدراتها الإختراقية لمنظومات المعارف والعلوم أنها أثبتت وبلا منازع ازدواجية بعدها، البعد الهوياتي و البعد الشبه عالمي حاليا والعالمي بتفوق ماضيا.

فإشكالية العلاقة بين اللغة العربية ومتطلبات مجتمع المعرفة ليس تحيل الى مشكلة وإنما إلى إستراتيجية لا يمكن تناولها سوى خارج القطعيات من الأحكام بالارتكاز على مساند متعددة من الفرضيات و إلا دخلنا عالم الهوس الفكري الذي أصاب منطق التفكير العربي منذ زمن صارت الأجيال تفاوض بعسر التخلص من تبعاته على ما يسمى مجازا "العقل العربي"

فليس مجتمع المعرفة قدرا قد يفرض قولبة الثقافة و عولمة القيم و إنما المسالة تكمن في أن مجتمع المعرفة قد يفرض تراتبيات حضارية جديدة قد نتوقعها أو قد لا نتوقعها. ذلكم أن احتكار المعرفة لا يتطابق من حيث منطقه و فضاءاته منطق احتكار التكنولوجيا. فمن علم الآلة تتزحزح البشرية الى علم المعرفة التي تعيد رسم الخارطة البيانية والتراتيبية للنشاط البشري و ما يقتضيه من اقتصاديات ذات مرجع تراكمي وتبادلي جديد.

المفكر العربي عبد السلام شدادي من المغرب ركز في محاضرته: " الترجمة رهان أساسي للنمو اللغوي والثقافي في عصر العولمة" أشار إلى الأسباب التاريخية التي كانت وراء كبح اللغة العربية في تطوُّرها الطبيعي وتوافقها مع ظروف العالم الحديث. فهي إلى اليوم لم تستطع أن تحقِّق بصفة كاملة ومرضية الأبعاد الثلاثة الملقاة على عاتق اللغة الحديثة وهي:

أولا: الاقتراب من اللغة أو اللغات المستعملة يوميا وتكون لغة مقنَّنة (standardisée) بوسعها أن تؤدي جميع الوظائف الغوية التي من المفروض عادياً أن تُزاول في المجتمعات العصرية.

ثانياً: استيعاب وتحديث التراث الثقافي الوطني.

ثالثا: إدماج المعارف والمنتوجات الأدبية والفنية الحديثة والمعاصرة والقدرة على مواكبة ما يجري فيها من تقدم وتطوّر.

وهنا تطرح مسألة الترجمة والعلوم الإنسانية، فهاتان المسألتان لا تزالان موضع مقاومة شديدة وسوء فهم من لدن النخب السياسية والدينية بل المجتمع ككل، الشيء الذي يمنع من تفهم الأهمية الإستراتيجية التي تطبع النمو الثقافي في عصرنا وتقدير الجهود العظيمة التي يجب الاهتمام بها في هذا الميدان.

الباحثة "إنعام بيوض" مديرة المعهد العالي العربي للترجمة، جاء في ورقتها: تساؤلاً عن المعهد الذي تديره *هل هو فاعل أم مفعّل في عصر المعرفة؟* أجابت من خلال الأشكال البيانية التوضيحية مستغلة تجربتها وتجربة المعهد مركزّة على اللقاء بين الترجمة البشرية والترجمة الآلية، مولية أهمية لكيفية صياغة لغة تتزاوج فيها التكنولوجيا والحلم البشري، وأهمية متابعة السير الجارف للمعلومة ونقله في لغة مختصرة تقنية وهذا يتطلب تجاوز الصعوبات العربية اليوم أما الترجمة إلى العربية أو من العربية إلى لغات أخرى.

من جهته صالح بلعيد ركز على أن اللغة عنصر أساس في مجتمع المعرفة، باعتبارها الذات، وهي الهُوية والأداة لصنع المجتمع، فثقافة كلّ أمة كامنة في لغتها، وفي معجمها ونحوها ونصوصها، كما أنّ اللغة هي المنظار الذي من خلاله يُدرك الإنسانُ عالمَه، وهي العامل الحاسم الذي يشكّل هُوية الإنسان، ويضفي على المجتمع طابعه الخاص، وتعرض أيضاً إلى حالة اللغة العربية في الإنترنت فيقول: *إن معالجة اللغة آلياً بواسطة الحاسوب، ومضايقات الكبْتار، حيث تشير الإحصائيات المتعلّقة بوجود اللغة العربية على الإنترنت أنّها في الرتبة السادسة عشرة، وهذا بسبب عزوف الدول العربية عن*

استخدام اللغة العربية في مجال العلم، وبذا يمكننا تأكيد ضرورة انغماس وممارسة اللغة العربية في ميدان التكنولوجية، باعتبارها رأس مال بشري مثمر للاقتصاد وللمجتمع، ولا يجب اعتماد التكنولوجية بشكل دائم عن طريق الترجمة؛ بحيث إنّ الجهة التي تستثمر في تعلّم اللغة الأجنبية لتستورد لا لتصدر، فهي الخاسرة، عكس ما إذا كان الاستخدام الفعلي والمباشر للغة العربية فهو أكثر فائدة، دون أن ننكر ما تقدّمه الترجمة لنشر لغة العلم والتكنولوجية من فضل وتقدّم، فهي تزيد من سرعة وحجم نقل المعرفة، ولا تقلّل من تكلفتها ".

أما عن الترجمة في الوطن العربي فيرى أنها ما تزال مشوبة بالفوضى والضّعف. وإنّ اللحاق بالركب لا يكمن في الترجمة، بل في توطين المعرفة وإنتاجها ووضعها في وعائها اللغوي للغة التي يتلاغى بها القوم (اللغة الأم،) فالشخص الذي ينقل من اللغة الأجنبية يكون انتقل إليها، وهو زائد فيها وناقص من لغته الأمّ، عكس الشخص المبدع في لغته فهو مستزيد لها وعامل على تطويرها، كما أنّ المنجزات والمبتكرات التي نقلناها من الغرب، هي نقل مؤقّت، لأنّها لم تصاحبها النقلة العلمية، ولم تصاحبها التنمية السلوكية التي صنعتها، ولا مجتمعات المعرفة التي توظّف هذه المبتكرات بفعالية في خدمة التنمية المحلية، ولذا لم نتقدّم، لأنّنا لم نحصل على التقنيات بلغتنا، ولم نحاول توطينها، كما لا يمكن تصوّر تنمية حقيقية في المجتمع العربي دون استعمال طبيعي للغة العربية في مختلف القطاعات، حتى تغدو جزءاً من حياته اليومية، ومن حياة العامل البسيط والإداري والمسئول.

كنا تعرض إلى الأرقام التالية فقد نصّت دراسة للبنك الدولي والتي شملت 60 دولة أكثر من 60 ألف جهة انتهت إلى أنّ حاجة الدول النامية لتحقيق النّمو الاقتصادي تكمن في رفع مستوى المعرفة لأفراد المجتمع، وليس إلى مساعدات

إنسانية، حيث يشير تقرير الأمم المتّحدة حول التنمية البشرية العربية لسنة 2003 أنّ1، 6 من السكان العرب لديهم إمكانية استخدام الإنترنت، بالمقارنة مع 69 % في بريطانيا، وأنّ هناك 18 جهاز كبتار لكلّ ألف شخص عربي مقابل 78 جهاز كبتار لكلّ ألف شخص في العالم، وفي آخر إحصائية تقول إنّ عدد العرب المستخدمين للإنترنت هو 26 مليون من أصل 300 مليون، أي ما نسبته 11%. رقم فظيع ينذر بالخطر؛ حيث يشير ذات التقرير إلى أنّ ما يجعل العرب دون مستوى التحدّي في بناء مجتمع المعرفة هو عدد الصحف في البلدان العربية يقلّ عن 53 صحيفة لكلّ ألف شخص، مقارنة مع 258 صحيفة لكلّ ألف شخص في البلدان المتقدمة، وهذا كلّه بسبب ما يعانيه البحث العلمي من انخفاض في الإنفاق، وغياب الدعم المؤسّسي؛ حيث تخصّص كلّ الدول العربية مجتمعة نسبة 1 % من دخلها القومي، في حين نرى الدول الأخرى لا تقلّ نسبتها عن 3 %، دون الحديث عن عدم إيلاء البيئة العلمية المواتية شروط الإنتاج، بَلْهَ الحديث عن التهميش، وعن قتل الرغبة في الإنجاز والانتماء، وعن الشعور باللامبالاة... صعوبات ومشكلات تحتاج إلى علاج شاف، للقضاء على التخلّف العلمي والمعنوي الذي ترسّخ فيها وتعشعش واستفحل، فمتى نستفيق من غفوة تخلّفنا ! ألا يمكننا الخروج من فكرة الترييف، وبناء اقتصاد مبني على المعرفة.

في دراسة هاني نسيرة نتابع أن مجتمع المعرفة لا يواجه مشكلة هوياتية فهو مجتمع متحقق، متصالح مع تراثه، وعصره ، متى تحقق في العالم العربي، ومجاله بالأساس هو الوعي، والثقافة السائدة، التي لا يمكن اعتبارها وحدة مصمتة لا تقبل التطور ولا يؤثر فيها التراكم ولا الانفتاح على الآخر، كما أن لغته وهويته لا تمثل عائقا ولا حائطا في هذا التعرف والاستفادة والإفادة في ظل العولمة التي لم تعد تعترف بالحدود، ولا تغيب عن لحظة من لحظاتها

الصورة..التي تسكن هذا الوعي ، غير أن مجتمع المعلومات تبقى فيه إشكالية التعريب، والهوية، لأنه يستخدم آليات التعلم والتعليم، والتعرف والتعريف، وهو يعيد الإشكال القديم في تعريب العلوم، ولكن مجتمع المعلومات ما بعد الحديث وما بعد الصناعي، أسرع بمراحل من مجتمع العلم الحديث قبل الدخول في مرحلة الذكاء ما بعد الصناعي، كما أن آلياته وهياكله ليست ضد هوياتية، بل يمكن تشكيله بمختلف اللغات وتتيح فضاءاته ذلك، ولم يعد سهلا حجب هوية أو ثقافة ما عن الحضور فيه، ولكن في مسألة التعلم نطرح مراحل تمهيدية قابلة للنقاش، فالمتعلم المبتدئ غير المخترع الذي يمكن أن يجعل للغته السلطة، غير المتوسط الذي يمكن أن يجمع بين أكثر من لغة، ولكن لا شك لا يجوز الانقطاع أو الانغلاق على التعريب كلية .

كما تابع . هاني . بعض الجهود والأطروحات في تكوين مجتمع معرفة عربي، وموقف اللغة في هذا الاتجاه، بدءا من تقارير التنمية الإنسانية العربية وكذلك بعض أطروحات المراكز البحثية الأخرى، محاول الخروج بمعالم واضحة نحو كيفية تشكل مجتمع معرفي عربي.

مجتمع المعرفة: الهوية والحريات.

بعض دراسات هذا الكتاب تناولت إشكالية الهوية والثقافة وعلاقتها بمجتمع المعرفة، وكيف أن الحكم الراشد أو الصالح وتوفر مناخ الحريات عامل أساسي في الوصول إلى مجتمع المعرفة، فقد جاء في بحث المفكر حسن حنفي الذي قارن بيننا وبينهم وكيف أن مجتمع المعرفة يرتكز على ميراث من القهر والاستغلال الأوربي لنا، فكلما ذاعت قيم المركز فى الأطراف من خلال وسائل الاتصال الحديثة وثورة المعلومات فى قنوات الفضاء والأقمار الصناعية والأطباق الهوائية انتشر التغريب، وتحيز الثقافات والمجتمعات في الأطراف إلى

الغرب، والميل نحوه والإعجاب به، وتقليده، واعتباره نموذجا للثقافة العالمية، ونمطا للحداثة، وما سواه المحلية والفلكلور والأساطير الشعبية، وانتشرت قيم الغرب في العنف والجريمة والجنس والشهرة والثروة والقوة، وظهرت نماذج" الأب الروحي God Father "والبطل مثل جيمس بوند، روكي الأول والثاني والثالث يقلدها شباب الأطراف فيندفع نحو الهجرة مستأصلا نفسه من مجتمعه وثقافته أو يعيش في الداخل ممثلا للخارج، وانتشرت قيم الاستهلاك والغنى والفردية والأنانية وعزت قيم الإنتاج والتقشف وروح الجماعة والتضحية، فولد ذلك كله رد فعل على الغرب وحداثته في النزعة السلفية، ترفض الغرب، وتحتقر الحداثة، وتنفر من المعلومات، وتفضل تراث الأنا على علم الآخر، وتقليدية الأنا على حداثة الآخر، وساوت بين الأصالة والجهل، والحداثة والانحلال.

يرى كذلك أن ثورة المعلومات ساعدت في المركز على تقوية النزعة السلفية في مجتمعات الأطراف ليس فقط عن طريق رد الفعل بل عن طريق الفعل المباشر فأوهم المركز الأطراف أن طرقها في المعرفة ووسائلها في العلم مساوية للتخلف

ونتيجة ذلك . حسب حنفي . تم شق الثقافة الوطنية إلى نزعتين متعارضتين، العلمانية والسلفية، الحداثة والقدامة، وتحولت النزعتان إلى حزبين سياسيين وقوتين اجتماعيتين تتصارعان من أجل الوصول إلى السلطة لدرجة الاقتتال بين الأخوة الأعداء، فأنصار الجديد ضد أنصار القديم، ودعاة المعاصرة على النقيض من دعاة الأصالة. المستقبل ضد الحاضر والماضي عند أنصار الحداثة، والماضي ضد الحاضر والمستقبل عند أنصار القديم . والحقيقة أن كلتا النزعتين، ثقافة الصور، وثقافة الكتاب تبعية وتقليد، الأولى تبعية وتقليد للغرب والثانية تبعية وتقليد للسلف .الأولى تبعية وتقليد للغرب والثانية تجاوز للحاضر نحو وهم الماضي، والحاضر وحده هو الواقع المعاش.

هو الحقيقة التي تند عن الوهمين. غاب الحاضر الذي يتم فيه جدل القديم والجديد، وتتفاعل فيه الأصالة والمعاصرة، ويتداخل فيه الماضي والمستقبل. فالماضي تراكم في الحاضر، والمستقبل إرهاصات فيه.

من جهته بومدين بوزيد حرص على تبيان أهمية تحويل الرمز المشترك والثقافة إلى جزء من العملية المعرفية المنتجة والمبدعة وليس إلى أشكال للصراع ضمن الثنائيات المعهودة، يرى أن صناعة الثقافة أو الإبداع تقوم على الأسس التالية:

أ . المادة التراثية والثقافية والجمالية، وهي تشكل تجربة تاريخية لأمة ما، إضافة إلى المحصلات المعرفية الجديدة في شكل نصوص أو جماليات فنية، وهذه المادة المعرفية في الغالب تكون مادّة خام وتتعرض منذ قرنين للقراءة والتأويل دون أن تتحول إلى ثروة حقيقية فاعلة . أي علينا تحويله إلى قاعدة للتطور والتقدم بمعالجته وجعله يحيا معنا مرّة ثانية .

ب . معالجة وقراءة هذه الثروة التراثية والمعرفية ليس بالاستعانة بمناهج التحليل الجديدة اليوم كـ "تحليل الخطاب" ولكن بالاستعانة بالتقنيات الجديدة اليوم المستخدمة في المجال المعلوماتي والبيولوجيا، أي كيف نستثمر ذلك تقنياً ونستوحي من هذا التقدم الحاصل في هذين العالمين اللذان يسيران نحو التوحد كما رأينا ذلك سابقاً، هذا الأساس يعتمد كذلك على استخدام شبكات الاتصال وقنواته المتطورة، إن التكنولوجيا تعمل على إسقاط الحواجز الفاصلة بين المادي واللامادي وتجلّى ذلك في "تكنولوجيا الواقع الخائلي"، فالواقع الخائلي هو نوع من التسامي الرمزي، تخليص من واقع الجسد، لقد اختلط في الخطاب الخائلي بين التكنولوجي والميثولوجي والابستمولوجي.

ويرى أننا سنشهد من جديد عودة الدين والقيم الرمزية ولكن ليس في شكل احتجاجي أو رفض للواقع ولكن كجزء من بنية معرفية تستثمر في قيم

الإبداع والحرية وزيادة الثروة المعرفية كثروة اقتصادية، بمعنى أن الإحياء الديني ظلّ عندنا جهادياً في جوهره مقاوماً للاحتلال والغزو، وكان دائماً ملاذاً أمام إخفاق البلدان العربية والنامية في الوصول إلى التنمية، وسعى الغرب إلى توظيف ذلك في زمن الحرب الإيديولوجية الباردة، ومازال الإسلام الجهادي . الرافض للعولمة والهيمنة الغربية له مناصروه وظروفه التي يعيد فيها تشكيل نفسه وقوته، ويجد تعبيره الأقوى في الجماعات المسلحة، ولكننا مع دخول عصر "مجتمعات المعرفة الجديد" سنكون أمام حتمية جديدة لا نستطيع الفكاك منها.

أما أمحند برقوق، فيرى أن هناك اتفاقا حول خمس مجموعات من الشروط الأساسية لمجتمع المعرفة وعلاقته بالحريات: "مجموعة الحريات"، أي أنه لا يمكن الحديث عن المعرفة بدون إبداع، كما لا يمكن الحديث عن الإبداع بدون حرية التفكير، وحرية التعبير، وحرية الإنتاج، دون قيود ولا رقابة، وأظن أن هذا الشرط يقتضي أساساً انفتاحاً ديمقراطياً ، المجموعة الثانية: "العدالة الاجتماعية"، أي توسيع مفهوم العدالة الاجتماعية، إلى العدالة الاجتماعية المعرفية ، فمجتمعاتنا العربية والإسلامية تعاني من ثلاثة أنواع من الجهل: – الجهل التقليدي، والجهل الوظيفي، ومثال على ذلك إحصائيات منظمة اليونسكو التي تبين أن ستة وخمسين – 56 – دولة إسلامية لديها 57% من النساء المسلمات لا يقرأن، ولا يكتبن، والنوع الثالث أن هناك 13% فقط من المجتمعات العربية الإسلامية تستخدم الرقمنة، وهذا الشرط هو أساسي لخلق نوع من القدرة على الارتقاء المتساوي لفرص الدخول إلى مجتمع المعرفة، المجموعة الثالثة "الشروط الابتدائية" فيما يخص خلق القواعد المادية، لإنشاء مجتمع المعرفة وهي:

– تحسين المستوى التعليمي وتوسيعه، وهذا بالنسبة لجميع المجتمعات العربية لأنه بحاجة لها .

– إعادة النظر في المنظومة التربوية.

– إعادة النظر في طبيعة البرامج وطريقة التدريس .

والمجموعة الرابعة فهي الخاصية الأساسية في مجتمع المعرفة، "التميز" (éxelence) الذي يجب أن يكون قاعدة وليس استثناء، لأن مجتمع المعرفة هو مجتمع تنافسي، والتنافس لا يمكن أن يكون بين السلع والعمل، بقدر ما يكون بين حاملي المعارف، وليس حاملي الشهادات، فالتميز إذن هو أساساً محاولة تثمين الكفاءة بخلق ارتقاء تنافسي وليس ارتقاء ميكانيكيا، وأما المجموعة الأخيرة فتتعلق بشروط الانفتاح على الغير وتتمثل شروطها في التسامح ، قبول الآخر ، الحوار والتلاقح الفكري

أما شوقي جلال فركز على دراسات كاسليز في قضايا الثقافة والهوية والتقدم ووصل إلى الخلاصة التالية: يمثل مجتمع المعرفة تعبيرًا رمزيًّا عن طور حضاري جديد. إنه تعبير عن ثورة تكنولوجية متمركزة حول المعرفة أدت إلى تحول أسلوب التفكير والإنتاج والاستهلاك والتجارة والإدارة والاتصال والحياة والموت . وسوف تكون له تجلياته الثقافية، وقضاياه الفكرية، ومفرداته اللغوية، ورؤاه الفنية، وسوف يؤثر بعمق فى الثقافة والخصوصية، ولكن سوف تتباين وتتنوع بتنوع استجابات المجتمع، وقد عاد إلى تقارير التنمية ليقدم لها قراءة خاصة.

في دراسة عاطف السعداوي، كان التركيز على الحكم الراشد إذ يرى أن مفهوم الحكم الصالح (أو ما يطلق عليه أحيانا الحكم الجيد أو الرشيد) هو ممارسة السلطة السياسية والاقتصادية والإدارية لإدارة شؤون بلد ما على جميع المستويات. وبمعنى أدق، ينصرف مفهوم الحكم الصالح إلى منظومة الحكم التي تعزز وتدعم وتصون رفاه الإنسان، وتقوم على توسيع قدرات البشر وخياراتهم وفرصهم وحرياتهم

الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ولا سيما بالنسبة لأكثر أفراد المجتمع فقراً وتهميشاً. وعلى ذلك يمكن تعريف الحكم الصالح الذي يستهدف تحقيق مصلحة عموم الناس في المجتمع على أنه" نسق من المؤسسات المجتمعية، المعبرة عن الناس تعبيرا سليما، تربط بينها شبكة متينة من علاقات الضبط والمساءلة بواسطة المؤسسات، وفي النهاية بواسطة الناس .

وبذلك، يشمل مفهوم الحكم الصالح جميع المؤسسات في المجتمع، بحيث يشمل أجهزة الدولة وهيئات المجتمع المدني وشركات القطاع الخاص، كما لا ينحصر مفهوم الحكم الصالح في الاهتمام بآثار التنمية الحالية، بل يشمل التنمية طويلة الأمد، والممتدة على مدى أجيال متعددة .وتتمثل أبعاد الحكم الصالح في حكم وسيادة القانون والشفافية والاستجابة والمشاركة والإنصاف والفعالية والكفاءة والمساءلة والرؤية الاستراتيجية .

وعلى هذا، يسعى نموذج التنمية الإنسانية المستدامة والمرتكز على منظومة الحكم الصالح إلى توسعة خيارات جميع فئات المجتمع، بما في ذلك الفئات الأكثر تهميشا مثل النساء والفقراء، مع الاهتمام في نفس الوقت بحق الأجيال القادمة في حياة كريمة، مع التشديد على تحقيق قدر أكبر من الدمج بين المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وعلى مشاركة أكبر للقوى الفاعلة على الصعد المحلية والقومية والإقليمية والعالمية.

وهو ما أكده محمد سعيدي، في قوله أن الثقافة العلمية تقتضي إزاحة عقبات الاستبداد، وانعدام الحرية، والتخلف، فالاستبداد هذا الموروث الشرقي المتأصل، لا يحول دون الثقافة العلمية فقط، وإنما يتعارض معها تعارضا كليا، ويشكل حاجزا سميكا أمام تقدم أي بلد؛ بل يحوله إلى بلد مُقعد، مهما كانت إمكانياته المادية والبشرية، وقد تفطن لخطر الاستبداد أحد رجال النهضة المستنيرين، هو المفكر العربي عبد الرحمن الكواكبي فلم يفلح كما لم يفلح من

كان قبله ومن جاء بعده، فانعدام الحرية، بالإضافة إلى أنه يقيد العقل، فإنه يُبلّد الذهن، ويورث الإنسان الغباء، غياب الحرية شل إرادتنا، وطبعنا بالجمود، والجبن والنفاق، أفسد الحياة الثقافية وجرّد السياسة، من مهمتها النبيلة؛ السياسة كرسالة تدفع المجتمع نحو التقدم، وأبعد الثقافة عن دورها في إنارة طريقه، انعدام الحرية أفقدنا مزية الحوار، والعامل المشترك؛ دفعنا للانغلاق الداخلي، وإلغاء الآخر الخارجي، ليس الإلغاء الإيجابي الضروري لحماية الذات، وإنما إلغاء الهروب من المواجهة، ومن الحوار المنتج، بما يقتضي ذلك من عُدة العقل والقوة المادية، لقد تجردنا من الطموح، ومن تلك الحيوية التي جابهنا بها المستعمر، ومكنتنا من تحقيق استقلالنا، وحرمتنا من الإبداع الفني والأدبي المنبثق عن الحرية– الإشراق.

كما أشرف الأستاذين محمد قماري وأحمد وارث على ورشة فكرية وقدّما تدخلين بخصوص استشراف المستقبل تميزت بعدها المناقشات بطرق قضايا تزاوج فيها الخوف والأمل من المستقبل.

بقي أن ننوه هنا بالمجهود العلمي والتنظيمي للجنة العلمية وبالخصوص الأساتذة: علي طالب جيلالي . أمين عام المجلس الأعلى للغة العربية . و بخوش الصادق و محمد سعيدي والسيدة خراز زوليخة أستاذ لحسن بهلول وعبد المجيد بن داوود.

وخلاصة القول، هذه بعض الآراء والنصوص التي حاولنا ضمّها في ملخص لا يفي بالمطلوب إذ أن العودة إلى الدراسات والبحوث في دفتي هذا الكتاب تعطينا رؤية أوضح لقضايا مجتمع المعرفة واللغة العربية ومسائل الهوية والثقافة، فهي دراسات جديدة في معالجتها لمسائل اللغة والهوية والسياسة، كما أنه تطرح مخاطر البقاء في حلقة التخلف وما قبل مجتمع المعرفة الذي يسير بوتيرة سريعة وقوية جداً مما يجعلنا عرضة لهيمنة جديدة

أشدّ فتكاً ولن تعد أساليب المقاومة التقليدية قادرة على التصدي، وسيكون في حالة بقائنا على التشتت والتجزؤ والتخلف بيتنا من زجاج، كما أن لغتنا تحتاج منا إلى تطوير وإبداع يمكنها من استيعاب المعرفة ومعالجتها وتحويلها وتعميمها بين المواطنين، وهنا نكون أمام مهام لسانية ومعرفية وحضارية كبرى تتطلب أيضاً حكماً راشداً وعقلاً سياسياً متفتحاً وعقلانياً.

الفصل الأول: سمات مجتمع المعرفة وكيف يكون؟

ثورة المعلومات بين الواقع والأسطورة

أ.د/ حسن حنفي *، جامعة القاهرة – مصر

يحاول البحث تبيان حدود ثورة المعلومات وآثارها السلبية على العقل وقدرته على التفكير، وخلطها بين المعلومات والعلم، وبين الكم والكيف، وبين النقل والإبداع، وبين العلم الداخلي والعلم الخارجي، وارتباطها بالفاعلية والأثر وترتيب المعلومات وليس بتصور العالم أو بأنساق القيم ومعايير السلوك. كما ترتبط ثورة المعلومات بقوة المركز وسيطرته على الاقتصاد والسياسة والعلم على الأطراف، وإيهامها بالتخلف والتقليدية والسلفية مما يشق ثقافتها الوطنية إلى شقين: جديد وقديم، وافد وموروث، مستقبل وحاضر، فنستبدل سحرا بسحر، وخرافة بخرافة. كما تؤدى إلى الانعزالية والفردية والقضاء على العلاقات الاجتماعية المباشرة لصالح جهاز المعلومات فى مواجهة الوجه بديلا عن الآخر. وتظل ثورة المعلومات مشروطة بالمرسِل والمرسَل إليهم والرسالة، وليست فقط بأدوات الاتصال .

من الصعب السباحة ضد التيار والتوقف أمام الأفكار الشائعة، والتشكك في المسلمات الاجتماعية والثقافية التي كادت أن تصبح علمية في مجتمعات يغلب عليها التسليم، ويغيب عنها النقد، وتشعر بالتقاعس أمام الآخر المتفوق علميا والغزير معلوماتي، ومع ذلك وبقدر من التأمل والشجاعة الأدبية يمكن تحليل ثورة المعلومات تحليلا نقديا بناء على التجارب المعيشية وبعض

الإحصائيات لمعرفة الوجه الآخر للحقيقة بين الواقع والأسطورة، ومنهج تحليل الخبرات الفردية والجماعية، وهو ما اصطلح على تسميته في الغرب بالمنهج الظاهرياتي، قادر على إدراك الماهيات، ورؤية المعاني على نحو مباشر وبديهي، لا فرق بين تطابق التجربة بين عديد من الأشخاص، وبين تطابقها مع الواقع الحي، الذي يتجلى من خلال الشعور، وذلك لا يغني بطبيعة الحال عن الواقع الإحصائي الكمي الدقيق الذي يعطي صورة للواقع ومكوناته لتطابق المعنى دون أن يكون هذا الواقع الإحصائي الكمي نفسه موضع الدراسة، فالواقع مجرد حامل للفكر دون رد الفكر إليه، كما انه لا يغني بطبيعة الحال عن استعمال المراجع والدراسات السابقة في الموضوع، فتراكم الخبرات نوع من الخبرة المشتركة بين عديد من الباحثين لضمان" الموضوعية "مرة ثانية، التطابق مع الواقع أولا كما هو الحال في مبدأ التحقق في المنطق الحديث، والتطابق مع الآخر ، ثانيا كما هو الحال في" الظاهريات "المعاصرة، وقد يقوى ذلك فى الباحث منهج التأمل الخالص والاعتماد على الذات والتفكير المستقل، فالتركيز على القلب يخلق موضوعه. ويتخلق الموضوع فى الشعور بالتأمل فيه .

كان الدافع على" ثورة المعلومات "في الغرب كثرتها لدرجة عجز العقل على استعمالها وتنظيمها وسرعة الانتقاء منها، فقد زاد معدل تراكم المعلومات بحيث أصبح ما يحدث في ثانية واحدة يعادل ما يحدث فى مائة عام مضت. كان الدافع هو الناحية العملية والسرعة فى الإنجاز وترشيد القرار على أكبر قدر ممكن من الدراسة وتوافر المعلومات. كان الدافع هو" التسهيل "أو" الفاعلية " وليس العلم. ثورة المعلومات أقرب إلى روح البرجماتية، وتعبير عن النزعة العملية، ولكن بالمعنى النظري، تعديلا في نظرية العلم. هي أقرب إلى تشارلز بيرس منها إلى وليم جيمس وجون ديوي، البرجماتية كنظرية في العلم وليس فقط كأداتية واستعمال.

وتقوم ثورة المعلومات على خلط بين" المعلومات "و" العلم "فالمعلومات معروفة سلفا أما العلم فهو الجديد في المعلومات. كانت المعلومات علما أولا عند مكتشفه ثم عرفت وذاعت ودونت وأصبحت معلومات تضاف إلى رصيد البشرية. أما العلم فهو المجهول الذي لم يكن معروفا من قبل ثم تم اكتشافه فأصبح علما، يتحول بدوره بعد ذيوعه إلى رصيد المعلومات السابق. وقد تكون المعلومات هي المنطق، ويكون العلم هو المسكوت عنه، المعلومات سطور والعلم قراءة ما بين السطور. المعلومات كم والعلم كيف. المعلومات في الخارج، والعلم في الداخل. المعلومات عامة، والعلم خاص .لذلك ارتبطت المعلومات في أجهزتها بمقدار ما يوضع فيها Input وأصبح ما يخرج منها Output مشروط بما يدخل فيها. بل توجد مطابقة كاملة بين الاثنين، ما يدخل وما يخرج. إنما الفرق في المقدار. فما يخرج هو تكبير قد يصل إلى ما لا نهاية لما يدخل، وكما هو الحال في المنظار المكبر. لا يضيف جهاز المعلومات شيئا جديدا بل ينظم وينسق ويكبر ويصغر، يرتب ويعيد الترتيب لما هو معروف سلفا .يتعامل مع الشكل دون المضمون، ويتناول الألفاظ دون المعاني، ولا يتجاوز هندسة الكلام.

وتتحول المعلومات في" ثورة المعلومات "إلى عالم من الرموز، ولا تحيل إلى عالم خارجي كما هو الحال في المنطق الرمزي. فتضيع الصلة المباشرة بين العالِمْ والعالَمْ، بين الفكر والواقع، بين الذهن والأشياء. يغيب الفكر الطبيعي ويحضر عالم الرموز. وتغيب البساطة لصالح التركيب، وتزاح البداهة ويحضر التعقيد. ويتوقف الحدس عن العمل لصالح العقل كما يصف برجسون طبيعة المعرفة العلمية التي تقوم على تصور مادي للحياة، بعيدا عن المعرفة الأخلاقية والروحية. ويفقد الوعي المعلوماتي الوعي بالعالم شيئا فشيئا كما يفقد الوعي بالوعي ذاته وبإمكانياته الإبداعية وبآفاقه المتعددة، ويصبح وعيا بالآلة

وبالأرقام. ولغة الرمز في النهاية لغة أحادية الطرف، لكل رمز معنى مطابق ودون سياق ودون اشتباه لفظي بين حقيقة ومجاز ، ظاهر ومؤول، محكم ومتشابه، مجمل ومبين، مطلق ومقيد كما هو الحال في ثقافات النص وتأويل الكتب المقدسة طبقا لمستويات عدة في الفهم ولطبقات من الناس ولتبدل ظروف العصور والأزمان. فيتم تسطيح المعرفة ويغيب العمق اللازم للإبداع وقراءة معان جديدة فيما يوحي إليه اللفظ من إيماء وإشارة، وتغيب الصورة الفنية كعالم متوسط بين الذهن والأشياء، فيغيب عالم الإقناع والإيحاء والتأثير واقتضاء الفعل وتوجيه السلوك.

ومن كثرة الاعتماد على الخارج دون الداخل، وعلى الكم دون الكيف، وعلى نقل المعلومات دون إبداع العلم يتولد الكسل العقلي، وتغيب القدرة على التفكير و"عصر الذهن "و"إعمال النظر "و"بذل الجهد "و"إفراغ الطاقة "حتى البديهيات والمعارف المباشرة تحتاج إلى سؤال الجهاز وضغط الزر حتى تظهر الإجابة، أصبح الجهاز هو العقل المفكر وبديلا عنه، وهو ما أراده علم "السبرنيطيقا "في نشأته، وتحويل المخ إلى آلة تفكر له أولا ثم بديلا عنه ثانيا، كل سؤال يأتي من الخارج يجيب عليه الجهاز من الخارج، وتقلص دور الإنسان في التساؤل وفي إبداء الدهشة والتعجب، كما غاب دوره في العثور على الإجابة وإيجاد الاحتمالات والاختيار بينها طبقا لمنطق التعارض والترجيح كما يقول الأصوليون القدماء، وأصبح لكل سؤال جواب، ولكل جواب سؤال، وانمحى الفرق بين السؤال والتساؤل، السؤال ما له جواب، والتساؤل ليس له جواب . وأصبح الخطأ في التكيف الآلي وفي الخروج على النظام وليس في مضمون الجواب.

وبالرغم من التركيز على كم المعلومات وعلى مقدار تغذية أجهزتها وقدرتها على التخزين والاستعادة ونظم البرامج المتعددة، فالأخطاء البشرية

عديدة تؤدي إلى ضياعها كلية في حالة عدم الحفظ وانقطاع التيار، وسريان الفيروس، وسرقة المعلومات أو التلاعب بها وتغييرها وإدخال الخطأ إليها، فكل تقنية يقابلها تقنية مضادة، كما هو الحال فى حرب النجوم، وكم من أفلام الخيال العلمي قامت على أخطاء أجهزة المعلومات وما تسببه من كوارث على البشرية في عصر الرعب النووي. كما أن الذاكرة شيء والعقل شيء آخر. والحفظ في الحافظة كما سماها القدماء شيء والنطق أو التفكير شيء آخر. بل إن النسيان نعمة للبشر حتى لا تثقل الذاكرة والقوة الحافظة على العقل .ولو تذكر الإنسان كل شيء لتحولت حياته إلى جحيم ولعجز عن رؤية الحاضر والتنبؤ بالمستقبل وعاش في الماضي كما لاحظ برجسون. وهو نفس الموقف السلفي الذي ينهل من الماضي الذي حوي كل العلوم، وهو مقياس شرعية الحاضر، ونمط التطور في المستقبل. وبدون استعادة المخزون لا يمكن لجهاز المعلومات التفكير، فتم ارتهان الحاضر في الماضي وحصار المستقبل فيه. ويتحول التقدم إلى نكوص، وتصبح ثورة المعلومات ردة إلى الماضي، وطالما اعتبرها الناس شرط الحداثة والتقدم نحو المستقبل.

ولا تستطيع" ثورة المعلومات "أن تعطي تصورا عاما للكون، فالجزء لا يكوّن الكل، والأجزاء المتناثرة لا تعطى رؤية للعالم، بل إن المعلومات ذاتها تفتقد إلى كل ينتظمها، وإلى رؤية تحدد مسارها واتجاهها، ومن الطبيعي أن يكون البديل هو أهواء البشر، وقوى الشر، وقانون الغاب. فتقع الحروب والكوارث نظرا لغياب منظومة من القيم تضع مبادئ عامة لتوجيه المعلومات. ليست المعلومات قيمة في حد ذاتها بل هي إمكانيات فعل وقدرة على السلوك، وقيم الفعل معايير السلوك تأتي من منظومة القيم ورؤية العالم التي لا تعطيها المعلومات .فبالرغم من إمكانيات ثورة المعلومات في التسهيل والفاعلية إلا أنها كالقوة العمياء التي تحتاج إلى رؤية وبصيرة.

وفى المعلومات تغيب البواعث والمقاصد والأهداف، وتغيب الإرادة الإنسانية التي تستخدمها وتنظمها، المعلومات كم مصمت لا ينطق، إنما الإنسان هو الذي يحولها إلى دلالة طبقا لغاياته ومقاصده، فالطائرة بدون طيار طيارها على الأرض وليس في السماء، والصواريخ التي تنطلق آليا إلى أهدافها يحدد الإنسان برامجها ومساراتها وأوقات انطلاقها، ويظل العامل الإنساني الفاعلية الأولى في المعلومات في البداية عن طريق تغذية جهاز المعلومات، وفى الوسط عن طريق صياغة البرامج المتعددة، وفي النهاية عن طريق تحديد المقاصد والغايات، صحيح أن الإنسان يتحول إلى إنسان قادر على اتخاذ القرار بعد برمجته ولكنه لا يغني عن الإنسان الحي في مقابل جهاز المعلومات الذي يأمر ويطيع، وبعد مدة بفعل التكرار يتحول الإنسان الحي إلى إنسان آلي أيضا بعد ذلك يمكن الاستغناء عنه وتحويله إلى إنسان آلي بالفعل. ويتحول العالم كله إلى إنسان آلي Robotization بعد الحركة الذاتية .Automation وتظل الحاجة إلى إنسان أول غير آلي يقوم بفعل أول كي تنطلق الحركة الذاتية حتى يتم الاستغناء عنه بالاستجابة الذاتية مثل إنذار الحريق، ويصبح فعل الخلق والعناية داخل العالم وليس خارجه، ومن ثم لا تحتاج الساعة إلى صانع للساعات ولا يحتاج النظام إلى منظم كما هو الحال في مذهب التأليه الطبيعي Deism في القرن الثامن عشر في الفكر الغربي، يصبح المعلول علة، والعلة معلولا في تصور دائري للعلة والمعلول دونما حاجة إلى علة أولى ليست معلولا لعلة أخرى كما قال القدماء أنصار النزعة المادية الآلية للكون.

ونظرا للاعتماد الكامل على نظم المعلومات والبرامج والتخزين ورقائق التسجيل Chips تزداد درجة البيروقراطية وانتظار توفير المعلومات ونقلها من مركز إلى مركز وربطها من شبكة إلى شبكة. فالبيروقراطية الإنسانية التي تعتمد على الأرشيف والملفات والنظم واللوائح والقوانين وانتظار الأوامر من

الأعلى إلى الأدنى وعدم قدرة الأدنى على اتخاذ القرار تتحول إلى بيروقراطية آلية تقوم على نفس النمط مع تحول الأشخاص إلى رقائق أسطوانية وبرامج متداخلة وشبكات المعلومات التي يبحث فيها" الفأر "عن البداية فيضيع بين البرامج، ويتوه بين الأنظمة، والقرار لا ينتظر والحياة تسير، وقد يضيع الباحث عن المعلومات وسط إمبراطوريات المعلومات، ويتمنى لو عاد إلى الحياة البسيطة والمعرفة المباشرة والثقة بالمحسوس وإعمال العقل البديهي إنقاذا له من جداول البورصة.

ونظرا لطول المواجهة مع جهاز المعلومات، الوجه أمام الشاشة الضوئية والتعامل معها والتراسل بين الوعي والآلة، وأحكام السؤال والجواب كما يقول الأصوليون القدماء غاب الآخر الإنساني، والتراسل الوجداني، وتقطعت العلاقات الإنسانية، لا ينظر وجه في وجه، ولا يسأل أحد وإنسان آخر يجيب، فازداد الفرد عزلة على عزلة، وتحول المجتمع إلى مجموعة من الأفراد لا يعرف بعضهم بعضا، وبقدر ما تتصل شبكات المعلومات في شبكة واحدة بقدر ما تنقطع العلاقات الاجتماعية بين الأفراد .ففي محيط المعلومات يتحول الأفراد إلى جزر منعزلة لا رابط بينها إلا الأمواج .غابت علاقات الوجه للوجه Face to Face.وأصبح الإنسان في مواجهة نفسه ينقسم إلى شطرين "كريمر ضد كريمر .Kramer versus Kramer "وانتشرت الرسائل الإليكترونية بلا خط شخصي وبلا ساعي بريد وبلا انتظار، فانمحت العواطف، وتبخرت الانفعالات، ومات الوجدان. ويزداد تفكك المجتمع خاصة لو كان مفككا من قبل كما هو الحال في المجتمعات الأوروبية، ويتحول الواقع إلى واقع متخيل Virtual Reality.ويحضر إلى الجهاز ويختار البشر من خلال الجهاز، ينقل الجهاز العالم الخارجي إلى الجهاز، وينقل الإنسان إلى العالم الخارجي المتخيل .وشيئا فشيئا يتحول العالم إلى وهم ويصبح الوهم حقيقة بديلة. وبدلا من أن يتعامل

الإنسان مع الأشياء يتعامل مع ظلالها وخيالاتها كما لاحظ برجسون فى نقده للتصورات والنزعات المثالية التجريدية التي تبعد الإنسان عن عالم الإدراك المباشر والالتحام بالأشياء وجدانيا لإدراك ماهيتها والتفاعل معها.

والحقيقة أن" ثورة المعلومات "إنما نشأت في المجتمعات الغربية الحديثة التي كانت نشأتها منذ بداية النهضة الأوروبية بناء على دافع السيطرة والغزو بعد اكتشاف" العالم الجديد "في نهاية القرن الخامس عشر، والسيطرة على البحار ثم الرغبة في الاستيلاء على العالم القديم في أفريقيا وآسيا، ولما احتاج الغزو إلى أكبر قدر ممكن من المعلومات عن المغزو، وتراكمت المعلومات عبر الاستشراق والتبشير وقواد الجيش بدأت الحاجة إلى تنظيم المعلومات وتراكمها وترتيبها في دوائر المعارف الكبرى أولا، ثم بعد ثورة المعلومات ثانيا في النظم الحديثة والأجيال المتعاقبة لأجهزة المعلومات .وأصبح الشعور بالمعلومة قوة . Information is Power ومن يحصل على المعلومات فإنه قد حصل على العالم. وتكاثرت مراكز تجميع المعلومات وتحولت إلى معامل إلى مراكز البحث العلمي، وازدادت قوة في المراكز الاقتصادية والسياسية الكبرى في العالم، في أمريكا واليابان وأوروبا الغربية، وازداد التقابل بين المراكز والأطراف، بين من يسيطر على المعلومات في المركز وبين موضوع المعلومات في الأطراف.، صبحت الأطراف تأخذ معلوماتها عن أنفسها من المركز كما هو الحال في الطيران من أفريقيا إلى أفريقيا عبر أوروبا، وازدادت حدة التقابل بين الشمال والجنوب، بين الغرب والشرق، بين من يعلم أكثر ومن يعلم أقل أو بلغة الفلاسفة، بين الذات والموضوع، بين العقل والمادة، بين النفس والبدن، وبلغة المتدينين بين الله والعالم.

وتحولت المعلومات إلى تجارة، والعلم إلى صناعة، والمعرفة إلى اقتصاد والتعليم إلى ربح، ونشر المعرفة إلى احتكار لها من الشركات الكبرى لأجهزة المعلومات، لم يعد العلم متاحا للجميع بل فقط لمن لديه القدرة على شراء

المعلومات والاشتراك في شبكاتها، وتتحول السيطرة المعملية المعلوماتية إلى سيطرة اقتصادية، وتتنافس الشركات العملاقة فيما بينها على تصنيع المعلومات، وتصبح أسماء IBM ، Macintosh لا تقل أهمية عن الشركات العابرة للقارات المتعددة الجنسيات في الإنتاج الصناعي ,Mitsubishi Panasonic, Sanyo, Sony، نيسان، هوندا، تويوتا، وتختلط أسماء العربات مع أسماء شركات أجهزة المعلومات، كلاهما إنتاج وتصنيع، لا فرق بين صناعة الذهن وصناعة السيارة، بين صناعة العلم والصناعات الاستهلاكية، الكل يبغى الربح والسيطرة على الأسواق لا فرق بين الأذهان والأبدان، بين الاستهلاك المعرفة واستهلاك السلع.

وتم الاتجار بكل شيء بما فى ذلك الحياة الخاصة، بالدخول فيها بوسائل التصنت والتصوير الحديث وإذاعة أسرار الناس على الملإ، سياسيين وفنانين ورجال أعمال وقادة. فلم تبق هناك حرمة أمام أجهزة الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة، كل شيء عرضة للإعلام، بل لم تعد هناك حقيقة إنما هناك الخبر والإخبار عنها، واستخدمت ثورة المعلومات في إذاعة الأخبار وتلوينها والإيحاء بما يريده الإعلامي .وقد تجلى ذلك في الإعلان وتبرير الزيف وتزويق الفساد باسم المنافسة الحرة والصراع المتكافئ والاختيار الحر بين البدائل في الظاهر والإجبار قسرا وتوجيها للرأي العام كما لاحظ هربرت ماركوز في" الإنسان ذو البعد الواحد "واصفا دور الإعلام في المجتمع الصناعي المتقدم، فالإعلان هو الرواج، والصمت هو الكساد، وأنفقت الملايين للترويج إيهاما للناس وتوجيها للرأي العام واعتمادا على قدرة وسائل الاتصال على الإقناع أكثر من الاعتماد على القيمة الموضوعية للأشياء، فالرأسمالية حرية، والاستغلال منافسة، والاحتكار تجارة، والربح عرض وطلب، ورأس المال الأجنبي عمالة، والاستهلاك تسويق، والإنتاج وفرة، وحماية الصناعات الوطنية انغلاق.

والخصخصة انفتاح، والدولة تطغى على المجتمع المدني، والمجتمع المدني بديل عن الدولة، كما تركز رأس المال في الشركات العابرة للقارات كذلك تركز الإعلام في نفس المراكز الاقتصادية والقوى السياسية لا فرق بين رأس المال والقوة الكبرى والقمر الصناعي.

وازدادت ثقة المركز بالنفس اعتمادا على تركيز القوى الاقتصادية والسياسية والمعلوماتية فيه، وظن أنه قادر على السيطرة على العالم وتحريكه طبقا لرغباته ومصالحه، وأنكر الإرادات المستقلة للشعوب وحقها في الحرية والاستقلال .فاندلعت حرب أكتوبر 1973 بالرغم من توافر المعلومات حول قدرات الجيش المصري الذي أصبح جثة هامدة، ووجود قرائن على وجود شيء ما يتحرك لا يتجاوز التمرينات الروتينية المألوفة. واندلعت الثورة الإسلامية في إيران بالرغم من توافر المعلومات عن استقرار نظام الشاه، وأن إيران واحة أمان في المنطقة التي يتربع عليها عرش الطاووس، فالواقع الاجتماعي والمسار التاريخي ليس بهذه الحتمية والضرورة من خلال المعطيات المعلوماتية ويمكن التنبؤ بحركة الواقع ومسار التاريخ، هناك الإرادات الإنسانية الحرة التي لا تخضع للتنبؤ ولا حتى عند صاحبها، إرادة الأفراد والشعوب، إرادة الزعماء والجماهير .فالتغيير الكيفي الإنساني لا يمكن رصده بالتراكم الكمي، والقفزة النوعية لا يمكن معرفتها مسبقا من خلال التطور الآلي.

وكلما ذاعت قيم المركز فى الأطراف من خلال وسائل الاتصال الحديثة وثورة المعلومات فى قنوات الفضاء والأقمار الصناعية والأطباق الهوائية انتشر التغريب، وتحيز الثقافات والمجتمعات في الأطراف إلى الغرب، والميل نحوه والإعجاب به، وتقليده، واعتباره نموذجا للثقافة العالمية، ونمطا للحداثة، وما سواه المحلية والفلكلور والأساطير الشعبية، وانتشرت قيم الغرب في العنف والجريمة والجنس والشهرة والثروة والقوة، وظهرت نماذج" الأب الروحي God "

Fatherوالبطل مثل جيمس بوند، روكي الأول والثاني والثالث يقلدها شباب الأطراف فيندفع نحو الهجرة مستأصلا نفسه من مجتمعه وثقافته أو يعيش في الداخل ممثلا للخارج، وانتشرت قيم الاستهلاك والغنى والفردية والأنانية وعزت قيم الإنتاج والتقشف وروح الجماعة والتضحية، فولد ذلك كله رد فعل على الغرب وحداثته في النزعة السلفية، ترفض الغرب، وتحتقر الحداثة، وتنفر من المعلومات، وتفضل تراث الأنا على علم الآخر، وتقليدية الأنا على حداثة الآخر، وساوت بين الأصالة والجهل، والحداثة والانحلال.

وقد ساعدت ثورة المعلومات في المركز على تقوية النزعة السلفية في مجتمعات الأطراف ليس فقط عن طريق رد الفعل بل عن طريق الفعل المباشر فأوهم المركز الأطراف أن طرقها في المعرفة ووسائلها في العلم مساوية للتخلف، فلا أحد يكتب الآن بيده أو يقتفي الأثر أو ينقل العلم شفاها عن طريق الرواية أو الكتاب، ولا أحد يستعمل حواسه المباشرة في العلم والمعرفة سواء في نظم المكتبات التقليدية أو في وسائل التعليم الموروثة أو في نقل التراث الشفهي، والهدف من ذلك نزع مجتمعات الأطراف من ثقافاتها الوطنية من أجل إدخالها في ثقافة المركز باسم التثاقف Acculturationأو المثاقفة مع التركيز على ما يظن أنه الإيجاب في التحديث والمعاصرة دون السلب وهو نزع المجتمعات عن ثقافاتها المحلية واغترابها في الآخر. الكفر بالنفس والإيمان بالآخر، وقد تم بناء الحضارات القديمة بوسائل المعرفة في عصر ما قبل ثورة المعلومات. ومازالت محط الأنظار وإعجاب أنصار الحداثة، والمعلوماتية الحديثة بنفسها لم تبن حضارة مثل القدماء، بل أحدثت صناعة، وبناء الأهرامات وتشييد سور الصين العظيم لا يقل علما وإتقانا عن توابع الأفلاك Satellitesوالهبوط على سطح القمر ، ونحت الحجارة لا يقل علما عن

الموجات الإليكترونية على الشاشة الضوئية، إنما الاختلاف فقط في أدوات الاتصال.

ونتيجة لذلك تم شق الثقافة الوطنية إلى نزعتين متعارضتين، العلمانية والسلفية، الحداثة والقدامة بتعبير أدونيس، الجديد والقديم، المعاصرة والأصالة، المستقبل والماضي .وتحولت النزعتان إلى حزبين سياسيين وقوتين اجتماعيتين تتصارعان من أجل الوصول إلى السلطة لدرجة الاقتتال بين الأخوة الأعداء، فأنصار الجديد ضد أنصار القديم، ودعاة المعاصرة على النقيض من دعاة الأصالة. المستقبل ضد الحاضر والماضي عند أنصار الحداثة، والماضي ضد الحاضر والمستقبل عند أنصار القديم .والحقيقة أن كلتا النزعتين، ثقافة الصور، وثقافة الكتاب تبعية وتقليد، الأولى تبعية وتقليد للغرب والثانية تبعية وتقليد للسلف .الأولى تبعية وتقليد للغرب والثانية تجاوز للحاضر نحو وهم الماضي، والحاضر وحده هو الواقع المعاش. هو الحقيقة التي تند عن الوهمين. غاب الحاضر الذي يتم فيه جدل القديم والجديد، وتتفاعل فيه الأصالة والمعاصرة، ويتداخل فيه الماضي والمستقبل. فالماضي تراكم في الحاضر، والمستقبل إرهاصات فيه.

ووقعت عديد من المجتمعات التقليدية في وهم الحداثة وهي لم تطور بعد تراثها القديم. فاستبدلت وهما بوهم، أسطورة بأسطورة، لا يستطيع الطالب التعامل مع المكتبات التقليدية، والكتب على الرفوف للاطلاع بالقراءة المباشرة وتستبدل بها الفهارس الإليكترونية المربوطة بفهارس عواصم العالم وأعرق الجامعات وأقدم مراكز الأبحاث وهو لا يعرف اللغات الأجنبية، بل ولا يدرك قيمة العمل كما يدرك قيمة التجارة كما هو الحال في المجتمعات التقليدية في شبه الجزيرة العربية، وتصورت هذه المجتمعات أن ثورة المعلومات عصا سحرية تغير من حال إلى حال، تعادل النبوة والوحي في الماضي ،فدخلت

العصر بعقلية السحر والمعجزة القادرة على كل شيء، الخيمة والقصر متجاوران، ولكن البدوي يشعر بالسعادة في الخيمة، في البر أكثر مما يشعر بها في القصر، في المدينة " المرسيدس "والجمل متوافران، ولكن البدوي يشعر بسعادة أعظم في سباق الهجن أكثر مما يشعر في سباق السيارات، ينتظر الحساب الجاري آخر الشهر كما ينتظر المطر للاستسقاء، ويعد الأوراق المالية كما يعد الغنم ويضعها في الآنية الفخارية كما يضع الأغنام في الحظائر، ويضارب في أسواق المال كما يلعب على موائد القمار.

وأحيانا تقوم المجتمعات التقليدية باستثمار ثورة المعلومات إلى أقصى حد لتدعيم نظمها التقليدية فتجمع بين الحسنيين بطريقتها، بين الدنيا والآخرة، بين الدنيا والدين، فيوضع القرآن في الفهارس الضوئية في أجهزة المعلومات الحديثة، وتصنف آياته وموضوعاته، ألفاظه ومعانيه، مكية ومدنية، ناسخة ومنسوخة، محكمة ومتشابهة، ظاهرة ومؤولة، حقيقة ومجاز، مطلقة ومقيدة، مجملة ومبينة، أمره ونهيه، خاصة وعامة بحيث يسهل معرفتها بمجرد الضغط على الأزرار ومعرفة المداخل والمخارج، فيتحول القرآن إلى فهارس حديثة مثل باقي النصوص الدينية والأدبية، وتوضع الدوائر التلفزيونية المغلقة في أروقة المساجد الغاصة بالمصلين حتى لا يفوتن أحدا منهم رؤية الإمام الخطيب، وتستعمل شركات توظيف الأموال ثورة المعلومات ونظمها الحديثة في الاستثمار والمضاربات في أسواق الأموال وفي المعاملات البنكية، فالدين تجارة، ولغة المكسب والخسارة تنطبق في الدنيا لنيل الثروة والمال، وفي الآخرة لنيل النعيم والجزاء. ويضع البدوي سماعة الخلايا الضوئية Cellular والباجر Pager تحت عباءته فتجعله قادرا على الاتصال بالعالم كله وهو في قلب الصحراء، ويتحول الأمر من الاقتصاد إلى السياسة، إذ تستعمل الحركات الإسلامية وسائل الاتصال الحديثة بما في ذلك البريد الإلكترونى لتبادل الرسائل وإعطاء

الأوامر لتدبير الانقلابات في الداخل والاغتيالات في الخارج كما يفعل عمر عبد الرحمن في أمريكا مستفيدا بثورة المعلومات. ويستعمل الأمراء في القصور ثورة الاتصالات من أجل التمتع بمباهج الحياة ونعمها، ومن ثم يحصل المؤمنون على الحسنيين، نعيم الدنيا ونعيم الآخرة، نعيم الدنيا من الغرب ونعيم الآخرة من النبوة وكأن الله قد سخر الغرب ومخترعاته الحديثة لزيادة نعيم المؤمنين، فيأخذ المؤمنون نقطتين بينما يأخذ الغرب نقطة واحدة، تضيع منه في نسبيته وعدميته وشكه وماديته وإلحاده، وهنا تتحول ثورة المعلومات إلى ستار يخفى أبشع أنواع الحسية والمادية، وتبررها باسم الإيمان في مجتمع العلم والإيمان.

والحقيقة أن ثورة المعلومات الكاملة لا تتم بأربعة أطراف: مرسِل ومرسَل إليه وأدوات الاتصال، والرسالة ذاتها. فالمرسِل وحده قد يكون قويا مثل كبار الزعماء، الخميني نموذجا، وبوسائل اتصال فعالة مثل شرائط التسجيل، ولجماهير عريضة، ملايين في الشوارع، ولكن الرسالة نفسها في حاجة إلى ترشيد وتعقيل وتحديث، فتنشأ الدعوات المحافظة بالرغم من توافر معظم أطراف عملية الاتصال. وقد يكثر المرسَل إليهم ولكن يضعف المرسِل إليهم لنقص في الزعامة كما تضعف أدوات الاتصال لغياب المنابر الحرة وتقوى الرسالة نظرا لعقلانيتها واستنارتها ولكن لا تتم عملية الاتصال نظرا لنقصان طرفين في عملية الاتصال كما هو الحال في دعوات الإسلام المستنير أو اليسار الإسلامي، وقد تقوى أدوات الاتصال وتؤثر في المرسَل إليهم ولكن الرسالة نفسها مادية استهلاكية لا تمس أعماق القلب ولا تخاطب في الإنسان الإحساس بالرسالة والبطولة والمرسل نفسه مشكوك فيه لأنه من المركز حيث تتركز قوى السياسة والاقتصاد والإعلام، وقد يقوى المرسَل إليهم دون مرسِل أي زعيم قادر على التعبير عنهم دون أدوات اتصال بالرغم من حضور الرسالة وهي المصالح العامة، فتندلع المظاهرات

الصاخبة أو تظل بين جنبات الأغلبية الصامتة، قنبلة موقوتة تتحين وقت الانفجار، ولا يوجد طرف واحد من الأطراف الأخرى، فالمرسِل وحده أشبه بالصراخ والعويل دون مرسَل إليه أو قنوات اتصال أو رسالة، وأدوات الاتصال وحدها مجرد شفرة لا مرسِل لها ولا مرسَل إليه ولا رسالة، والمرسَل إليهم مجرد جماهير صامتة، والرسالة دون إعلام بها تبقى في الذهن لا يعلم عنها أحد شيئا.

هذا التحليل النقدي لثورة المعلومات من الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط لا يعني على الإطلاق أي تنكر لها أو رفضا لنتائجها واستعمالاتها دفاعا عن الهوية والأصالة والذاتية في مواجهة الآخر المستعمر الغازي حيث تتعدد وسائل الغزو من القوة العسكرية إلى السيطرة الاقتصادية إلى الهيمنة الثقافية والإعلامية، كما لا يعنى أي عجز في استيعاب وسائل الاتصال الحديثة، فالناس أعداء ما يجهلون، إنما هو تذكرة بالوجه الآخر للقضية وتنبيه على ما قد ينتج عن ثورة المعلومات من آثار سلبية على الثقافة والمجتمع في المركز والأطراف على حد سواء، فالتقدم، كما لاحظ روسو من قبل يحتوي على عناصر فنائه، فالتقدم في النهاية مصطنع يبتعد عن الطبيعة لذلك كانت حركات العود إلى الطبيعة Retour à la Nature حركات تحرر مما صنعته الحضارة، وقد لاحظ ابن خلدون أيضا أن الانتقال من البداوة إلى الحضارة باسم العمران يحتوي أيضا على عناصر فنائه بانتفاء روح التضامن الاجتماعي والابتعاد عن قيم الطبيعة، هذا التحليل إنما هو مجرد تنبيه على الخطر الذي يدركه البعض في المركز قبل الأطراف حماية للمركز، وينبه البعض الآخر عليه في الأطراف قبل المركز حماية للأطراف.

مجتمع المعرفة: ـ مقاربة إبستيمولوجية في ظل تعقيدات ما بعد الحداثة

أ .د / أمحند برقوق* ، كلية العلوم السياسية والإعلام – جامعة الجزائر

قبل الشروع في إلقاء مداخلتي لابد من توجيه الشكر والامتنان إلى المجلس الأعلى للغة العربية على تنظيمه لهذه الندوة العلمية وعلى دعوته الكريمة التي وجهها لي للمشاركة فيها،لإلقاء ورقتي هذه التي عنوانها: "مقاربة ابستيمولوجية في ظل تعقيدات ما بعد الحداثة".

وهي محاولة تأسيس مجتمع المعرفة بالنظر لتطور مفهوم المعرفة في حد ذاته ثم محاولة تحديد ما هية مجتمع المعرفة بمحاولة أساسية لتقديم نوع من التحليل التخصيصي، المقابل له مجتمع المعلومات، ومجتمع المعلوماتية، أو مجتمع المعرفة، وتحديد شروط ارتقاء المجتمعات إلى مجتمع المعرفة بحكم أن هناك انتقادات توجه للعالم العربي بسبب غياب هذه الخصوصية.

مدلول مجتمع المعرفة وصفاته: [1]

التحديد الدلالي والاصطلاحي، لتطور مفهوم المعرفة على المستوى الفلسفي، والمعرفة لم تعد متغيراً حياتياً، ومتغيراً فكرياً بل أصبح في كثير من

* مفكر عربي وأستاذ بجامعة القاهرة تميز بمشروعه الحضاري في قراءة التراث العربي الإسلامي، من بين مؤلفاته "الاستغراب" و" من العقيدة إلى الثورة" وآخر كتبه " من الفناء إلى البقاء" ويشتغل الآن على إعادة كتابة "إحياء علوم الدين " للغزالي.[1]

* أستاذ جامعي ورئيس مركز الدراسات الاستراتيجية التابع لمؤسسة الشعب الإعلامية، له بحوث ودراسات بالعربية والإنجليزية، كما يقوم بمحاضرات كأستاذ زائر في بعض البلدان الآسيوية

الأحيان عنصراً فعليا محددا للطبيعة الاقتصادية للدول، كما أنها أصبحت أيضا معياراً تقييمياً، لأنها تنتج مجموعة من المقاييس تعتمد لتصنيف الدول على مستوى التوزيع العالمي للقوة وأكثر من ذلك أصبحت المعرفة نوعا من أنواع المنطلقات التفسيرية لطبيعة المجتمعات، وما أريد الإشارة إليه الآن هو أن التفسيرات البسيطة بالرجوع إلى التفسير الكينوني مثلا عند سقراط، أو التفسير الجدلي عند ماركس أو هيغل، أو ربما إلى التفسير الاجتماعي عند برترند راسل لم يعد مجديا عند الحديث عن مجتمع المعرفة، فإن مجتمع المعرفة قد أحدث قطيعة ابستيمولوجية على مستوى التعامل مع العلاقة بين المعرفة والمجتمع، المعرفة كمحدث قيمي، والمعرفة كمصدر معبر ومفسر للسلوك بحكم أننا بعد الحداثة أصبحنا نتحدث كثيراً عن المعرفة، كمنطلق تفسيري، لبناء مجتمع متفتح، مجتمع لا يعرف حدوداً لا أخلاقية ولا قيمية ، ولا دينية، ولا قيادة علمية ولا ثقافية، وأنه لا يمكن انتقاء النوع على مستوى التربية في الدولة الصناعية كدولة مجتمع معرفي، بحكم أنه يجب الإقرار بأن مجتمع المعرفة هو مجتمع ما بعد الصناعة، ونقطة انطلاق جديدة في بناء الفرضية الثانية، وأن قيامه على فكرة الثقافة التخصصية، وهناك صفات يمكن إجمالها.

1- فالصفة الأولى لمجتمع المعرفة هي أساساً مفهوم المجموعة عبر الثقافية(l'ensemble de l'interculturelle) وأظن أنه بالرجوع إلى كل الأدبيات المتعلقة بمجتمع المعرفة، وهو أساساً لا يمكن القول بالانتقال النوعي على مستوى ارتقاء الدولة من دولة صناعية إلى دولة مجتمع عالمي مثلا، بحكم أننا الآن في دراسة ما بعد الحداثة، إذ يمكن القول بأن مجتمع المعرفة هو مجتمع ما بعد الصناعية و نلاحظ أن هذه هي نقطة الانطلاق الجديدة في بناء حركية التاريخ ..

2- الصفة الثانية هي أن مجتمع المعرفة يقوم على فكرة العبرة التخصيصية، (مجتمع معرفي عبر ثقافي، معرفة عبر تخصصية) وأننا ولو انتقلنا إلى الأدبيات الأساسية في مجتمع المعرفة مرة أخرى بحكم البرنامج المقدم عند العلماء المتخصصين، أو حتى من خلال الكتابات التأسيسية لمجتمع المعرفة التي تؤكد في مجملها على شيء أساسي وهو أن الارتباط بين العقل الإنساني والعقل الاصطناعي قد خلق قفزة جديدة على مستوى بناء المعرفة ذات الركنين الاثنين: ركن مادي سابق وركن قيمي متحرك، وإن مجتمع المعرفة قائم على تكميم ما يسمى (la quantification) فالفلسفة تباع حتى على مستوى تصنيف منظمة التجارة العالمية، فأصبحت تسمى بتصنيف – كريبس – (crups) التي جعلت الخدمة العامة مرتبطة بالمجال العام، ومرتبطة بالكينونة السهمية في المجال الخاص، والتي أصبحت مرتبطة أكثر بالمجالين معاً .

3- الصفة الثالثة : وتعتبر أكثر تميزاً، وقد أثارت كثيرا من الانتقادات خاصة على مستوى الدول الأسيوية، وهي محاولة نزع الصفة القيمية عن المعرفة، لأن المعرفة أصبحت يراد لها أن تكون مرتكزة على القيم لا سيما لو رجعنا إلى التقرير السنوي لسنة: 2005 لبرنامج الأمم المتحدة للتنمية، فسنجده يتضمن الكثير من الانتقاد ويعتبر أن أكبر المعيقات لبناء مجتمع المعرفة في الوطن العربي هي وجود قيم عربية إسلامية مثلا ، وجاء فيه: إن نزع صفة القيمة –القيمة الفلسفية ، القيمة الدينية، القيمة الثقافية – قد خلق نوعا من التوجيه لطبيعة مجتمع المعرفة .

4- الصفة الرابعة : وهي أساسية أن مجتمع المعرفة كما هو متصور من خلال الكتابات الأساسية وهذا حسب التعاريف المعتمدة للأمم المتحدة التي تجعل من مجتمع المعرفة – مجتمع النمذجة – (société demodélisation) بحكم

أنه محاولة لتأسيس لنوع من التقسيم الاختصاصي الجديد لعالم معرفي عبر تخصصي، ولو ناقشنا طرح – L.M.D – الذي أصبح طرحا كونيا تقريباً، بالرجوع إلى نصوص اليونيسكو – 99/98UNESCO – الذي يريد أن يخلق ما يسمى بالتكوين المدبلج أو المعرفة المدبلجة التي أصبحت لها روافد على مستوى ما يسمى بالهندسات (العملية – السياسية – الثقافية – اللغوية الخ ..)، وكلها قائمة على فكرة العبرة الثقافية، والعبر التخصصية، وتغييب القيم.

5- الصفة الخامسة تتمثل في سلعنة (Marchandisé) أن مجتمع المعرفة بحكم أنه قام بسلعنة المعرفة وجعلها مكممة (quantifier) أصبحت أيضا منتجة للافتراضيات (النماذج الافتراضية ، الدولة الافتراضية ، الاقتصاد الافتراضي، المعرفة الافتراضية)، وبالتالي فهي إعادة صياغة حدود المعرفة، فلم تعد معرفة الذات، ولا معرفة المجتمع، ولا معرفة الدين، ولا معرفة الثقافة، ولا القيم، بل هي أصبحت تذويب قيم وتذويب لغات في بوتقة افتراضية سريعة التغيير لا تعرف الزمان ولا المكان.

6- النقطة الأخيرة وهي ما يسمى بمفهوم ، "تنوع المعرفة"، بحكم أن المجتمع لم يعد كما كان مغلقا ، بل أصبح متفتحا، عبر ثقافيا، عبر قيميا، عبر لغويا، فالنوع المعرفي قد ألغى فكرة التجانس التي تحدثت عنها الكثير من الفلسفات الغربية سابقا، والتي تقر بمفهوم التجانس المعرفي، وحاليا وبحكم انتقالنا نحو الصورية التي تتحدث عن خلق نواة من نوى معرفية متعددة عبر تخصصية.

خصائص مجتمع المعرفة:

أما بالنسبة لخصائص مجتمع المعرفة، فهناك الخاصية البنائية لمجتمع المعرفة الذي يعرف بثلاث اتجاهات أساسية:

1- الخاصية الأولى هي سلعنة المعرفة بحكم أن المعرفة أصبحت منتجة للثروة، وأن المعرفة أصبحت ثروة، إنها سلعة قابلة للتسويق.

2- الخاصية الثانية، هي هندسة المعرفة مثلا:

(La gestion du savoir dans le management)، مفهوم حكم المعرفة، ومفهوم هندسة المعرفة الخ ..

3- الخاصية الثالثة، تنميط المعرفة، أي خلق نمط معرفي جزئي قابل للتطبيق، أينما كانت اللغة، وأينما كانت الثقافة، وأينما كانت القيم أي تنميط المعرفة (La normalisation du savoir).

أما الخاصية الأخيرة فهي مرتبطة أكثر بمجتمع المعرفة في حالة التطور، وفي حالة الأزمة بحثاً عن الذات، وإذا رجعنا إلى الحديث عن مجتمع المعرفة الذي هو من أكبر المجتمعات التخيلية La)

(société maginaire- ويكتسب مجتمع المعرفة هذه الصفة للأسباب الثلاثة الأساسية التالية:

1- إن المعرفة هي معرفة مقدسة لكل مجتمع.

2- إن المعرفة ليست بالضرورة منتجة للكفاءة دائما.

3- إن المعرفة ليست بالضرورة مثمنة دائما.

أي يمكن أن تجد معرفة بدون استحقاق، وأن أكبر مشكلة تتحدى مجتمع المعرفة هي الانتقال من حيثيات المعرفة غير المقيمة نحو معرفة منتجة للاستحقاق، منتجة للنخب، قائمة على فكرة الارتقاء المعرفي الاجتماعي، وأن كل الانتقادات التي لاحضتها في (ماليزيا) بحكم أنني اشتغلت بها مدة أربع سنوات، وهي الدولة الوحيدة في العالم الإسلامي التي عرفت كيف تنتقل من مجتمع شبه صناعي نحو مجتمع معلوماتي، وتحاول حاليا الانتقال إلى مجتمع معرفي وهو انتقال يكون بإعادة صياغة مفهوم العقد الاجتماعي المهني، الذي لم يعد قائما

على توزيع (قائم على حصص) في المجتمع لأن المجتمع مركب، أي قائم على أساس مفهوم مبدإ التساوي في تكافؤ الفرص، وقواعد التساوي هي قواعد معرفية، وليست قواعد موضوعية.

شروط مجتمع المعرفة:

ولو نظرنا إلى هذه الصفات فإننا لا شك نتحدث عن لغة، نتحدث عن ثقافة، عن قيم، عن مجتمع، ولكن كيف ننتقل من مجتمع مثل مجتمعنا مثلاً، أو أي مجتمع من مجتمعاتنا العربية القبل صناعية، إلى مجتمعات معرفية، لأن مجتمع المعرفة هو مجتمع ما بعد الصناعي، وهناك أيضاً اتفاق حول خمس مجموعات من الشروط الأساسية:

1- المجموعة الأولى، وهي ما يسمى "بمجموعة الحريات"، أي أنه لا يمكن الحديث عن المعرفة بدون إبداع، كما لا يمكن الحديث عن الإبداع بدون حرية التفكير، وحرية التعبير، وحرية الإنتاج، دون قيود ولا رقابة، وأظن أن هذا الشرط يقتضي أساساً انفتاحاً ديمقراطياً.

2- المجموعة الثانية، هي ما يسمى بالعدالة الاجتماعية أي توسيع مفهوم العدالة الاجتماعية، إلى العدالة الاجتماعية المعرفية ، وأظن هنا أن مجتمعاتنا العربية والإسلامية تعاني من ثلاثة أنواع من الجهل: - الجهل التقليدي، والجهل الوظيفي، ومثال على ذلك إحصائيات منظمة اليونسكو التي تبين أن ستة وخمسين - 56 - دولة إسلامية لديها 57% من النساء المسلمات لا يقرأن، ولا يكتبن، والنوع الثالث أن هناك فقط 13% من المجتمعات العربية الإسلامية فقط تستخدم الرقمنة، وهذا الشرط هو أساسي لخلق نوع من القدرة على الارتقاء المتساوي لفرص الدخول إلى مجتمع المعرفة.

3- المجموعة الثالثة وهي ما يسمى بالشروط الابتدائية فيما يخص خلق القواعد المادية، لإنشاء مجتمع المعرفة وهي ما يلي:

1- تحسين المستوى التعليمي وتوسيعه، وهذا بالنسبة لجميع المجتمعات العربية لأنه بحاجة لها.

2- إعادة النظر في المنظومة التربوية.

3- إعادة النظر في طبيعة البرامج وطريقة التدريس .

4- المجموعة الرابعة وهي الخاصية الأساسية في مجتمع المعرفة، بمفهوم التميز، وأن التميز (éxelence) يجب أن يكون قاعدة وليس استثناء، لأن مجتمع المعرفة هو مجتمع تنافسي، والتنافس لا يمكن أن يكون بين السلع والعمل، بقدر ما يكون بين حاملي المعارف، وليس حاملي الشهادات، فالتميز إذن هو أساساً محاولة تثمين الكفاءة بخلق ارتقاء تنافسي وليس ارتقاء ميكانيكيا، وأنه على مستوى إنتاج الكفاءة،

5- وهي ما يمكن تسميته بشروط الانفتاح، أي شروط الانفتاح على الغير، وهذا المفهوم في حد ذاته مرتبط بمفهوم العبر ثقافية، مفهوم التسامح مع الغير، قبول الآخر، الحوار، والتلاقح الفكري.

ومفهوم التلاقح الفكري يحتاج إلى أربعة شروط أخرى، وهي مفهوم الخروج عن فكرة (الشوفينية) – اللغة أو القيمية، أو الدينية، أو الحضارية، وأنه من كانت الشوفينية في أطروحاته فقد حكم على نفسه بالفشل، سواء لغويا أو غير ذلك، فالمجتمع المعرفي يفترض التحكم في عدد من اللغات الأساسية، فماليزيا مثلا تحكمت في ذلك لأنها أنتجت أكبر مجمع للغات وللترجمة في العالم الإسلامي، فمن الآليات الأساسية التحكم في اللغات والابتعاد عن الشوفينية اللغوية، والقيمية، والدينية، والحضارية، والثقافية.

النقطة الأخيرة وهي أيضاً الثقة في الذات الحضارية، في الذات الثقافية، في الذات اللغوية، وأن العالم العربي قد أنتج فكراً، وأنتج حضارة في السابق، ولا مانع من أن ينتجها مرة أخرى ، ويمكنني أن أقدم هنا مثالا في مجال العلوم السياسية ، بأنه لا يوجد حاجز لإنتاج مفاهيم بالعربية تحمل نفس الدقة في اللغة الإنكليزية، أو اللغة الألمانية، وأن هذه الثقة في الذات الثقافية، والحضارية، واللغوية مهمة جداً، إذ أننا لو قارنا اللغة "الماليزية" التي تحتوي على "المالاوية"، والتي تحتوي تقريباً على 60% من كلماتها لغة عربية، وحيث استطاعت أن تجعل من اللغة المالاوية لغة التدريس الأولى، واللغة الأولى في إنتاج المعرفة،

وإن تصنيف "ماليزيا" كدولة رقم 17 في العالم اقتصاديا لخير دليل على نجاح خطتها.

والشق الثالث، والأهم في نظري هو محاولة تطوير فلسفة معرفية جديدة، ليست فلسفة ثقافية، وليست فلسفة لغوية، وليست فلسفة دينية، بل فلسفة معرفية بحكم ترابط هذه الثلاثة مع ما يسمى بالمعلوماتية، وهذه الشروط كفيلة أساساً بخلق هذه النقلة المعرفية.

خلاصـــة: إن مجتمع المعرفة يشكل تحديا لمجتمعاتنا العربية، وهذا التحدي ليس بالضرورة كبيراً بحكم أن هنالك وعياً في مجتمع لا يعرف الحدود، ومجتمعات عربية لها من الرصيد الثقافي واللغوي ما يسمح لها بالارتقاء في السلم الحضاري الدولي، بشرط توفر مجموعة من الشروط التي أشرت إليها وهي: – الابتعاد عن الشوفينية – الانفتاح على الآخر – التحكم في اللغات – خلق مجال للحريات – التشجيع على الإبداع والنقد.

"العولمة والرأسمالية الإدراكية والتوزيع العالمي الجديد للمعرفة: مقاربة نظرية"

د/ يحيى اليحياوي* – جامعة محمد الخامس، الرباط

مقدمـــــة:

ثمة ثلاث ملاحظات أولية، يبدو أنه من الضروري سياقها ببداية هذه الورقة، رفعا لكل لبس ودرءا لكل التباس:

الأولى وتتعلق بجوهر وماهية وطبيعة ما بات منذ مدة يطلق عليه بحركية العولمة/الكونية أو الشوملة، كتعبير عن توجهات عميقة كبرى، تحتكم وتجر بسياقها عناصر اقتصادية وتكنولوجية وجيوستراتيجية ومؤسساتية ضخمة، لم تفلح نظريات التجارة الدولية المعتادة، في الإمساك بدواليبها ووقائعها ومواصفاتها، ولا بالفضاء العام الذي تشتغل، وتنتظم بداخله (1).

لا يأتي ضعف النظريات إياها في ضبط ما يعتمل بالعلاقات الاقتصادية الدولية، من تقصير ذاتي كامن بها، أو ملازم لصيرورتها فحسب، بل وكذلك من خاصية "فك الارتباط" المتزايد، بين الفضاء الاقتصادي الواسع والشامل (فضاء الشركات الشمولية)، وبين الفضاء السياسي الذي لا يزال بعمقه وجوهره، محكوما باعتبارات وطنية خالصة، وتمثلات قومية صرفة.

إن عدم الاستقرار الإنتاجي والمالي للرأسمالية، وتراجع قدرة هذه الأخيرة على ضمان مسلسل في التراكم مستمر وقار، إنما هي تعبيرات حقيقية عن

* باحث مغربي، متخصص في مجال تكنولوجيا المعلومة والاتصال، له العديد من الدراسات والبحوث منها " المعرفة والاتصال" وله بحوث منشورة في العديد من المجلات والدوريات العربية والأجنبية.

أزمة تحولات كبرى، تجد أعمق ترجمة لها (بالشكل كما بالهياكل) في تراجع منطق نمو الرأسمالية، وانحسار مداه على الأقل بالقياس إلى المرحلة الميركانتيلية، والمرحلة الصناعية التي استتبعتها في الزمن والمكان.

ولعل أهم سمة للعولمة الحالية، المتمددة الإطار والمجال منذ ما يناهز العقدين من الزمن، أن السمة إياها لم تكمن فقط في الطفرة التكنولوجية الكبرى، التي ضيقت المسافات لدرجة الاختزال، وأدت بصلب ذلك، إلى انخفاض في تكاليف إنتاج وإعادة إنتاج وتخزين وتوزيع واستهلاك المعلومات والبيانات والمعطيات، بل وثوت خلف تحولات جذرية طاولت أشكال التنظيم الاقتصادي والاجتماعي، ومست بقوة ميكانيزمات توزيع وإعادة توزيع مكامن الثروة والسلطة داخل البلد الواحد، وفيما بين العديد من بلدان العالم، بالشمال كما بالجنوب على حد سواء.

الملاحظة الثانية: إن أهم مميزات العولمة الحالية ولربما أقواها على الإطلاق (تماما كالشوملة المتزايدة المد)، أنها ليست فقط لييبرالية أو تجارية أو ذات منسوب تنافسي كبير، ولكنها تتقاطع بأكثر من جانب، مع الانتقال التدريجي بجهة مرحلة جديدة من الرأسمالية، تعارف جزء كبير من اقتصاديي السوق والبنى الصناعية والعلاقات الدولية، على وشمها بصفة الرأسمالية الإدراكية (2).

إن "التحولات العميقة التي طاولت طبيعة توزيع العمل، والدور الجديد للعناصر اللامادية، وتزايد قوة المال وغيرها، إنما هي عناصر متشابكة لمسلسلات إعادة الهيكلة الحالية التي تشهدها الرأسمالية. هذه التشابكات والتفاعلات هي الفرضية التي تسعى أطروحة الرأسمالية الإدراكية إلى تشريحها، بغرض إعادة الأسبقية للتحليل المرتكز على الدور المحرك لعلاقة رأس المال بالعمل"(3).

بالآن ذاته، فإن خصوصية فرضية الرأسمالية الإدراكية إنما تتمثل (على الأقل بنظر متبنيها) في رفض كل اعتقاد يؤمن بالدور المحدد والحاسم للتكنولوجيا، كل التكنولوجيا، وأيضا في رفضها المطلق للمقاربة الاختزالية التي تحصر اقتصاد المعرفة في الأنشطة المجردة، التي تتكفل فقط بإنتاج المعارف.

بالتالي، فإن ذات الخصوصية إنما تحيل على مسلكية "نقد مقاربة اقتصاد المعرفة التي تتغافل، أو تتجاهل تاريخ وتحولات العلاقات الاجتماعية، والتي تنتهي إلى اعتبار المعرفة مجرد عنصر إنتاج، مستقل عن رأس المال وعن العمل"(4).

أما الملاحظة الثالثة، فمفادها التالي: إن القبول بفرضية تحول الرأسمالية زمن العولمة والشوملة، أو تحت تأثيرهما المباشر، لا يحيل فقط على فرضية موازية لها، فرضية تحول نمط التنظيم الذي تحتكم إليه ذات الرأسمالية في فعلها وتفاعلها، بل ويحيل أيضا على فرضية أخرى ملازمة للفرضيتين معا، ترتبط عضويا بنمط وأشكال التراكم، باعتباره خاصية الرأسمالية وغايتها القصوى، بالماضي كما بالوقت الحاضر، كما بالزمن المنظور.

إن فرضية الرأسمالية الإدراكية هنا، لا تعبر عن قطيعة ما بصلب نمط الإنتاج (لأننا لم نخرج من ولا على منطق الرأسمالية، يقول أصحاب ذات الرؤية)، بقدر ما تعبر عن "حقيقة أن المكونات الكبرى للنمط إياه، إنما تتجدد باستمرار، تماما كما كان الشأن بزمن الرأسمالية التجارية ثم الصناعية، وذلك حتى وإن سلمنا بأن بعض خصائص نموذج التراكم الجديد الناشئة، تتحدد بالقطيعة عن ومع بعض العناصر القارة للرأسمالية الصناعية، التي عشناها من قرون عديدة مضت"(5).

من ناحية أخرى، فلو سلمنا جدلا بفرضية انتقال تقسيم العمل من التقسيم التايلوري التقليدي المتعارف عليه، إلى تقسيم إدراكي جديد للعمل، نتيجة حركية

رأس المال المستمرة، فإننا سنسلم بالآن ذاته، بأن تقدم الرأسمالية الإدراكية إنما يسير بالتوازي وتوجه عميق بجهة قطبية جغرافيا التنمية بين الجهات والأوطان، سيكون من شأنه حتما، الدفع بالعديد من الدول سيما دول العالم الثالث، إلى ما يمكن تسميته تحديدا أو تجاوزا ب"انفراط الارتباط القسري"(6).

1- العولمة وتكنولوجيا الإعلام والاتصال وانبعاث نموذج جديد في التراكم والتنظيم

إن ثورة (أو طفرة) تكنولوجيا الإعلام والمعلومات والاتصال للعقود الثلاثة الأخيرة، ليست تحولا أدواتيا صرفا، أو ذا طبيعة تقنية خالصة، كما قد يبدو الأمر للوهلة الأولى. إنها ثورة حقيقية وبكل المقاييس، ثوت ولا تزال خلف تحولات جذرية على مستوى محددات القيمة وتوزيعها، وأيضا على مستوى براديغم رأس المال والمال، الذي عرف جراء ذلك طفرات نوعية هائلة، طاولت طبيعته ودوره، وكذا مداه الجغرافي البعيد. بهذا المعنى، فإنه من غير المبالغ فيه حقا، الاعتقاد بأن الثورة إياها إنما كانت ولا تزال حمالة لبذور طرية، طعمت ولا تزال تطعم، نمطا في التراكم والتنظيم للرأسمالية جديد، مقوض لما سبقه من أنماط وتنظيمات.

العولمة وتكنولوجيا الإعلام والاتصال

في حديثه عن ثورة تكنولوجيا الإعلام والاتصال، عمد بيتر دريكير إلى مقارنتها بثورة شبيهة لها في الطبيعة، حتى وإن كانت بعيدة عنها بالتاريخ، ثورة السكك الحديدية لبداية الثورة الصناعية. إنها ثورة التكنولوجيا بالحالتين معا يقول دريكير، ليس فقط بزاوية الشبكات والبنى التحتية الرافعة لهما، ولكن أيضا باستخدامات واستعمالات المعلومات والمعارف والمدارك التي كانت خلفهما، أو

صاحبتهما، أو كانت لازمة بنيوية لهما بالزمن كما بالمكان. المقارنة هنا لا تنحصر بهذا الجانب، بل تتعداه إلى مستوى التغييرات والتحولات المترتبة عن ذلك، على الرغم من التعذر الواضح لقياس التحول النوعي الذي طاول (بحال السكك الحديدية) أو لا يزال يطاول (بحالة تكنولوجيا الإعلام والمعلومات والاتصال) حجم القيمة أو مضمونها أو شكلها.

إنه من بين تأثيرات ثورة تكنولوجيا الإعلام والمعلومات والاتصال الكبرى، أنها لم تعمد فقط إلى تغيير عناصر المجال القائم، أو مكونات الزمن اللذين كانا سائدين إلى حين عهد قريب، بل وأسهمت وبقوة غير مسبوقة في تغيير التمثلات السائدة، التي كانت "تطاول تصميم الفعل، وأداة الفعل، كما وسائل الحركة، وعناصر الحياة على الأرض"(7).

وعلى هذا الأساس، فإن مجتمع تكنولوجيا الإعلام والمعلومات والاتصال المترتب عن ذات الثورة، وعلى النقيض من مجتمع الشبكات الذي تبناه مانويل كاسطيل مثلا(8)، إنما يتعارض مع المقاربة التقنوية والأدواتية الخالصة لاقتصاد التكنولوجيا الجديدة، المتأتى حصرا من الرقمنة التقنية للمعلومات، من المعالجة المعلوماتية، من تطوير الحواسيب الشخصية، ومن اندماج تكنولوجيا الإعلام والمعلومات والاتصال فيما بين بعضها البعض، ومما سوى ذلك.

إن هذا المجتمع إنما يحمل في طياته سمات متعددة، تجعله مختلفا بأكثر من جانب، عن "المجتمعات التقنية" التي صممتها النظريات الرائجة، وضمنها تحديدا نظريات السيبيرنطيقا الذائعة الصيت بهذا المجال:

– إنه، من هنا، إنما يعبر عن افتراضية في الاقتصاد متزايدة، تدلل على الدور المتعاظم للعنصر اللامادي وللخدمات المرتبطة بذات العنصر، والمحيلة على إنتاج إدراكي من نوع جديد.

– وإنه يترجم من ناحية ثانية للدور المحوري الذي بات موكلا لإنتاج المعلومات، لمعالجتها لإعادة إنتاجها ولتخزينها على شكل مرقمن، ضمن مسلسل إنتاج المعارف، كما ضمن سياق الإنتاج بوجه عام، وذلك انطلاقا "من حواسيب صغيرة، غير ممركزة، فائقة القوة، ومرتبطة ببعضها البعض، ومع الشبكة العنكبوتية"، شبكة الإنترنيت.

– وإنه يمهد إلى جانب ذلك، للدور التقريري الذي بات يميز "عمليات استقطاب الإبداع في المسلسلات الإدراكية التفاعلية للتعاون الاجتماعي وللمعارف الضمنية، من لدن المقاولة، كما من لدن السوق، كما من لدن السلطات العمومية" المؤطرة والموجهة لذات العمليات. بالتالي، فإن المعرفة والعلم، اللذين كانا متضمنين في عملية تقييم الرأسمال الصناعي (مع استقلالهما النسبي عنه) إنما أضحيا المعطى المهيمن داخل النظام، بل قل قلبه النابض، بالبداية كما بالمحصلة النهائية.

– وإنه يؤسس، فضلا عن كل ذلك، لنمو تقني، لا باعتباره معطى خارجيا، دخيلا على المنظومة، بل كونه الشكل السوسيولوجي والتقني الذي يميز تكنولوجيا الإعلام والمعلومات والاتصال، ويمنحها مكانتها الحق بالمنظومة القائمة شكلا كما بالمضمون.

إن الرهان الاقتصادي الكبير هنا إنما أضحى متمحورا حول إنتاج المعرفة وحول الإبداع، ولم يعد محصورا في إنتاج المعلومات أو معالجتها أو تخزينها أو استهلاكها. بالتالي، "فإن نموذج أدم سميت لتقسيم العمل، والذي هيمن على مرحلة النموذج الصناعي الأول، حتى وإن تم تطويره بالفترة التايلورية اللاحقة، قد فقد بعضا من قيمته التفسيرية على مستوى ثلاثة عناصر كبرى: على مستوى تخصص النشاط (اختزال الوقت المعقد بالوقت العادي،

ثنائية التنفيذ اليدوي بتوفر عنصر التصميم الفكري)، على مستوى حجم السوق، الذي فقد من نسقيته بفضاء الإنتاج الصغير والإبداع، وعلى مستوى أرباح الإنتاجية، التي لم تعد تأتي من اقتصاديات السلم، لتعوض قانون المردود الحدي المتراجع"(9).

من تحصيل حاصل أن نلحظ هنا "أن العولمة، بزمن تكنولوجيا الإعلام والمعلومات والاتصال، لم تعد تعمد إلى تمديد الفضاء بطريقة متسارعة، كما كان الشأن بزمن الاكتشافات الكبرى...بل تعمد بالأساس إلى ترتيب وإعادة ترتيب الفضاءات، بجهة تقويض التماثلات والتلاحمات بداخل المركز، كما بالهامش" على حد سواء (10).

العولمة، النمط الفوردي وما بعد الفوردية

إن الفوردية كنمط في التطور الرأسمالي ثابت، وكنموذج له مؤسس، قد نجحت، طيلة فترة الثلاثين الخوالد، فترة ما بين 1945 و 1975، في الهيمنة على نمط في تقسيم للعمل محدد، على نظام في التراكم مضبوط، وعلى تمثل في التنظيم شديد، احتكمت في صهر كل ذلك إلى إطار وطني محصور بالجغرافيا، متماسك بالعناصر والمكونات، ومؤطر بتصور في الإنتاج والاستهلاك متشدد.

هذا النموذج، على قوته وتماسك عناصره دخل، منذ بداية ثمانينات القرن الماضي، بوضعية أزمة خانقة، حدت من مداه وقلصت من جنوحه، وأبانت بقوة عن تراجع نجاعته، بسبب انبعاث نمط في التراكم جديد، ارتكز عليه فاعلو العولمة الكبار لبناء إطار في الفعل مستجد.

هذه المرحلة لم تتميز فقط بتزايد كبير في حجم التبادلات الدولية، في ازدهار الشركات المتعددة الجنسيات، في التدويل المتزايد للمسلسلات الإنتاجية،

في انفجار الأسواق المالية، بل وتتميز أيضا بموجة عميقة من التحولات الاقتصادية والاجتماعية، بدأت تطاول بقوة وبجدية مجموعة من التراتبيات القائمة، سواء على مستوى التنظيم الصناعي، أم على مستوى استراتيجيات تموقع الشركات الكبرى، بالدول كما بالجهات، كما بالأسواق(11).

بالمنطق التراكمي الخالص، يمكننا التمييز هنا بين ثلاثة أشكال كبرى للرأسمالية: الرأسمالية التجارية، المرتكزة على هيمنة ميكانيزمات التراكم التجارية والمالية لبداية القرن السادس عشر ونهاية القرن السابع عشر، والمحتمية بتشريعات ولوائح وقوانين الدولة الوطنية. ثم الرأسمالية الصناعية، المرتكزة على تراكم رأس المال المادي، وعلى الدور المحرك للمقاولة الكبيرة في الإنتاج الكثيف للسلع النمطية. ثم الرأسمالية الإدراكية، المرتكزة على "تراكم الرأسمال اللامادي، على توزيع المعارف، وعلى الدور الحيوي لاقتصاد المعرفة"(12).

إن التحول الكبير (تبعا لتعبير كارل بولانيي) الذي طاول الاقتصاد الرأسمالي، وحول مضمون وطبيعة إنتاج وإعادة إنتاج القيمة، إنما بات، بزمن العولمة وثورة تكنولوجيا الإعلام والمعلومات والاتصال شاملا وشموليا، ولم يعد قطاعيا، أو ذا تأثير جزئي أو جانبي. إنه يترجم لخروج الرأسمالية الصناعية، المنبثقة عن المقاولة الكبيرة المتمحورة أساسا حول العمل المادي الصرف، لولوج مرحلة متقدمة، يكون الرأسمال اللامادي من بين ظهرانيها هو المحرك والمحدد للاستراتيجيات والسياسات، القصيرة المدى منها، كما المتوسطة والبعيدة.

والمقصود بالرأسمالية الإدراكية، بهذا المضمار، إنما ذاك النظام الإنتاجي الذي يكون مكمن التراكم فيه مرتكزا على المعرفة، لدرجة تصبح فيه هذه الأخيرة المصدر الرئيسي للقيمة، والفضاء الأساس لعمليات التقييم، تقييم الموارد المادية، كما اللامادية على حد سواء (13).

هو نظام يتميز عمليا، من زاوية العرض، بالمكانة المتقدمة للبحث العلمي، للتطوير، للتقدم التقني، للتربية، لتنقل المعلومات، لنظم الاتصالات، للإبداع، للتعلم التنظيمي، وللتسيير الاستراتيجي للمؤسسات. ويتميز، بزاوية الطلب، "بالاستهلاك الموجه للتقنية، خصوصا التقنيات الذهنية، تلك التي تحيل على القدرات الإدراكية، من خلال التفاعل بين هذه الأدوات التقنية: سمعي/بصري، حواسيب، إنترنيت، أدوات ترفيه...الخ، واندماج بعضها البعض، بفضل البرمجيات الرقمية(14).

هو نظام لا يتم التحكم فيه، كما بالمرحلة الصناعية، "من خلال زيادة التحكم في أماكن الإنتاج، أو تنمية تنظيم الإنتاج، أو التحكم في قدرات إنتاج متزايدة، من أجل الإفادة من اقتصادات السلم أو تأثيرات التجربة. إن الأمر يتعلق أساسا بتسيير المعارف التقنية، بضمان تنمية مسلسلات التعلم، بابتداع معارف جديدة، بالعمل على بلوغ المعارف المتوفرة بالخارج"(15)، وبما سوى ذلك. هو نظام يتمركز بصلب محيط الإنتاج، ويدمج بداخل المحيط الاقتصادي (التجاري وغير التجاري)، كل الموارد المادية واللامادية التي كانت خارجة عن نطاقه، أو المنفلتة من عقاله.

بالمقابل، فإن النظام إياه، لا يمكنه أن يحقق غاياته أو يجدر توجهاته، إذا لم يتوفر على مجموعة آليات، تمكنه من تصحيح المسار بانتظام بأفق ترتيب الأنشطة، وضبط العلاقات والتحكم بحقوق الملكية، حيث بات الإطار المؤسساتي غير كاف لضمان ترتيب هذه الأخيرة، إما بسبب وجود عناصر خارجية سلبية المفروض العمل على إزاحتها، أو بسبب توفر عناصر داخلية إيجابية الواجب التقاطها، وتثمينها بعملية إنتاج القيمة: الشركة هنا لم تعد مجرد فضاء لإنتاج السلع المادية واللامادية، بل أضحت مركزا متقدما لتقييم حقوق الملكية بكل أشكالها، ولا سيما حقوق الملكية الفكرية المتوفرة.

من زاوية أخرى، فعندما حاولت نظرية التنظيم(16) ضبط التحولات الجارية بصلب الرأسمالية، فإنها ميزت بوضوح وجلاء كبيرين، بين أنماط تنظيم التراكم (المؤسس لانتقال الرأسمالية من الوضعية التنافسية إلى الوضعية الاحتكارية) وبين الآليات المؤسساتية التي تضبط الأنماط المصاحبة لها أو الموازية لصيرورتها، سيما نمط الأجور، والعلاقة مع محيط العمل وما سواها. فاقترحت، تبعا لأعمال ميشيل أغلييتا وآخرين، عبارة ما بعد الفوردية، للتعبير عن التحول الجذري الذي طرأ على ذات الأنماط، ابتداء من ثمانينات وتسعينات القرن الماضي، وإلى حين بداية الألفية الجديدة (17).

إن تطور أنماط الاستهلاك، واشتداد المنافسة، وتطور استراتيجيات الإبداع، وتزايد الجنوح بجهة الإصلاحات المالية الجذرية، إنما تشكل مجتمعة، بالنسبة لنظرية التنظيم، تقويضا جوهريا وحقيقيا للفوردية، سيما بظل التراجع التدريجي لمنسوب الإنتاجية، واضطراب الأسواق، وتقلص العمر الافتراضي للمنتوجات، وتزايد شكوك ومخاوف الشركات، واهتزاز الثقة في تحالفاتها القائمة، لدرجة تبرمها عنها (عن التحالفات أقصد) لفائدة تحالفات جديدة، أقوى وأنجع.

من الطبيعي هنا، تقول مدرسة التنظيم، أن نغدو بالمحصلة، بإزاء شركات شاملة وشمولية، عبارة عن شبكات مترابطة ومتفاعلة، تعمل بقوة على تنويع استراتيجياتها بالشكل كما بالمضمون. إنها شركات باتت تترك استراتيجيات الاندماج العمودية، لفائدة شبكات إنتاجية عابرة للتراب، أفقية البنى، أكثر تناسقية، وذات طبيعة شبه احتكارية عالمية، فضلا عن ذلك.

ثمة منطقان متمايزان، وإلى حد ما متنافران، سيترتبان عن ذلك، وسيحكمان لا محالة تحولات الرأسمالية بالمدى المنظور:

– المنطق الأول، مرتكز على توظيف ما تبقى من مرونة الفوردية، في أفق استنبات نمط في الفوردية جديد، حيث المطلوب "رفع بعض إكراهات النمط الأجري، بالارتكاز على إعادة تنظيم بنيوية، والدفع بمبدإ المرونة، وفق منطق قريب من الفوردية، لكنه يطمح إلى تقليص تكاليف الإنتاج". هذا المنطق هو منطق الشركات الضخمة، التي تعمد باستمرار إلى حسم المفاضلة بين استراتيجية التصدير والاستثمار الأجنبي المباشر، بالاحتكام إلى ذات المنطق.

– المنطق الثاني، منطق ما بعد الفوردية، ويحيل صوبا على منطق التوزيع الإدراكي للعمل. المقاولات هنا لا تحاول محورة منافستها بالاحتكام إلى التطورات التقنية والطبيعة التراكمية التي تميزها، بغرض تخفيض تكاليف الإنتاج، بل وتعمل أيضا على وضع مسلسل للتكوين الفردي والتنظيمي، يضمن لها المرونة في الحركة والفعل.

هذا النموذج هو نموذج "الشركات الإدراكية" الكبرى، التي تبني أرباحها بالاحتكام إلى ما تراهن عليه من استثمار في "حجم" الرأسمال الإدراكي، بالارتكاز على قدرتها الإبداعية، وبالبناء على الاحتكارات المؤقتة التي توفرها لها ذات الوضعية (18).

إن التخصصات الجغرافية الناشئة، المرتكزة أساسا على الأنشطة العلمية والتكنولوجية والاقتصادية، وعلى مزاوجة المنطق الما بعد الفوردي بالمنطق الفوردي الجديد، إنما تعمل بقوة بجهة إعادة هيكلة فضاء الشركات، على أسس غير معهودة من ذي قبل. ولعل النموذج الأبرز في ذلك هو نموذج إنتاج الطائرة أ. 380 التي نقلت عملية الإنتاج بداخل الدول المنخفضة الأجور والتكاليف بأوروبا الشرقية والوسطى، بينما أبقت على المقر الأصل بمدينة تولوز الفرنسية، حيث القطب الإدراكي لا يزال أكثر استقطابا لنشاطات الشركات الأجنبية الكبرى، سيما الشركات الأمريكية والبريطانية.

2- عن "ظاهرة" الرأسمالية الإدراكية

+ في ماهية الرأسمالية الإدراكية

عندما نتحدث عن الرأسمالية الإدراكية، فإننا نعني النظام الذي يحتل تراكم المعرفة بصلبه موقع المركز، أي النظام الذي يشتغل على أساس من توفر منسوب إدراكي عال، حجما وعلى مستوى النوعية.

وإذا كانت الفكرة التي مؤداها أن للمعرفة دورا محوريا في الدينامية الإنتاجية والاقتصادية، قد تم الإعلان عنها وتعميقها، والتنظير لها من قرون وعقود مضت (أدم سميث، فرديريك ليست، كارل ماركس، جوزيف شمبيتير، فردريك حايك وآخرين)، فإنها (المعرفة أقصد) غالبا ما كانت لا تقارب إلا وفق زاوية نظر محددة، زاوية تقسيم العمل، أو زاوية الإبداع التكنولوجي، أو زاوية اشتغال الأسواق وتنظيمها، ونادرا ما كان ينظر إليها كنشاط قائم لذاته، أي كنشاط موضوع للاستثمار، له فضاؤه المستقل.

صحيح أن ذات التقصير قد تم تداركه جزئيا من لدن اقتصاديي نظرية الإبداع (شمبيتير تحديدا)، وبفضل انبعاث التيار "التطوري"، إلا أن الأمر لم يتم تداركه بالجانب المتبقي، إلا بظل الأطروحات التي أكدت على وجود تطور ملازم وعميق للمعرفة وللنشاط الصناعي أيضا. ولربما لهذا الاعتبار، عمدت المنظمات الدولية إلى تشكيل مفاهيمها المتمحورة حول مصطلحات اقتصاد المعرفة، أو الاقتصاد المرتكز على المعرفة، أو مجتمع المعرفة أو ما سواها.

بالحالة الأولى، يجب تمحيص التمظهرات وآليات التحولات الاجتماعية، وهو ما عمد منظرو أطروحة الإبداع إلى البحث فيه، بأفق جعل المعرفة موجها لطبيعة المجتمع المراد استنباته. بالثانية، يجب دراسة التطورات الاقتصادية، والبنى التحتية الموازية، ثم بناء توجيهات وآليات التدخل الاقتصادي، وهو ما

باشرت به العديد من المنظمات الدولية منذ أواسط ثمانينات القرن الماضي، بسياق تحويل المعرفة إلى وسيلة لمعاضدة تنافسية الأمم.

من هنا، فإن الرأسمالية الإدراكية إنما هي "نظام آخر للتراكم، نظام يراهن بالبداية وبالمحصلة على المعرفة وعلى الإبداع، أي على أشكال الاستثمار اللامادية"، المباشر منها كما غير المباشر (19).

معنى هذا أن الأرباح بظل الرأسمالية الإدراكية، لم تعد تتأتى من الإنتاج المادي المباشر والصرف، بل تتأتى من التراكم في المعارف والإبداعات، مما يتم الاستفراد به على مستوى حقوق الملكية، مما يتم تصميمه من شبكات ومن تحالفات، ومما يتم تعظيمه من قدرة على تسيير المشاريع ذات الطبيعة المؤسساتية والتنظيمية الكبرى.

إن هذه العناصر هي القلب النابض للرأسمالية الإدراكية، حيث تتحدد الاستراتيجيات انطلاقا من البحث على تموقعات فضائية جديدة، ذات خاصية مؤسساتية وتنظيمية محددة، يكون من شأنها الرفع من القدرة على الاندماج بمسلسلات الإبداع والتطوير، والاستمرار بها قدر المستطاع.

هل خرجنا حقا وحقيقة من الرأسمالية الصناعية، بالقياس إلى ما تم سياقه من حديث؟ هل التحولات الحالية للرأسمالية هي ذات طبيعة تكنولوجية خالصة فعلا؟ بمعنى آخر: هل تحتل التقنية والتكنولوجيا، مكانة مركزية في تطور الرأسمالية المعاصرة، لدرجة قد تدفع المرء للحسم بأننا دخلنا مرحلة الرأسمالية بصيغتها التكنولوجية المتقدمة؟

يقول فرسلون، حاملا بعض عناصر الجواب لذلك: "إن الأهمية المولاة للعنصر التكنولوجي بمناسبة التطور الحالي مثيرة للغاية. إن الاقتصاد الجديد والكفاءات المدهشة للاقتصاد الأمريكي طيلة هذه المرحلة (مرحلة التسعينات

فما فوق)، قد أفرزت مجموعة من الحقائق، لكنها أفرزت بالآن معا مجموعة من الأساطير والأوهام، ومن ضمنها اعتبار التقنية بحد ذاتها، عنصر تطور ونمو"(20).

المحك هنا، يقول فرسلون، ليس فكرة النظر للمجتمع المعاصر كمجتمع تقني، باعتبار سطوة التقنية عليه. المحك هو طبيعة التحولات التي طاولت الرأسمالية، وطاولت بجريرتها المجتمع بأكمله.

إن الذي يدعو للتساؤل حقا، يتابع فرسلون، إنما هو معرفة ما إذا كان نسقيا (أي صحيحا من الناحية التجريبية) ومناسبا (أي صحيحا من زاوية النظر التحليلية) اعتبار الرأسمالية الحالية عبارة عن مجرد تراكم للتقنيات. كل الإشكال هنا مرتبط بمعرفة ما إذا ما كانت التكنولوجيا مجرد محرك، أم عنصرا محددا وحاسما في مسلسلات التنمية والتطور.

ثمة ثلاثة دفوعات كبرى، غالبا ما تقدم للرد على ذات التساؤل:

– **الأول**، ويعتبر أن التقدم التقني القائم إنما يمثل عنصرا محددا للتنمية بامتياز، وأن للتحولات التكنولوجية للاقتصاد الجديد مكانة خاصة داخل النسق العام، لا بل إن التقدم التقني بات مكمن الإنتاجية والربحية والتنافسية وتحصيل حصص الأسواق.

– **الثاني**، ويقلل نسبيا من القوة التكنولوجية المتصاعدة للاقتصاد الجديد، ويعتبر أن التقدم التقني هو تطور عادي بالنسبة للنظام الرأسمالي، وأن حركية ذات النظام غالبا ما كانت تستقي من التقدم التقني أدوات تطورها وتحولها.

– **أما الثالث**، فإنه يؤكد على أن التكنولوجيا، كائنة ما تكن قوتها وفاعليتها، غير كافية لوحدها لتحريك النظام الرأسمالي، وأنه ثمة بداخل النظام الإنتاجي عناصر تنظيمية تلعب دورا مميزا، إذا لم يكن موازيا للتكنولوجيا، فلا

يقل عنه أهمية وأولوية. بهذه الحالة، تبدو نجاعة التكنولوجيا الجديدة مرتبطة ارتباطا مباشرا بالسياق، وأيضا بظروف الإدماج (الإدماج في العلاقات الاجتماعية، في بنيات الاستعمال والإنتاج وفي غيرها).

إن القول بأن التقنية خصوصا، والنظام العلمي والتقني بوجه عام، هما العنصران السببيان الأساس لتغيير النظام، إنما هو قول اختزالي المنحى بأكثر من زاوية، ليس فقط لأن التقنية ل تقيم إلا بالاستخدام ومن خلال الاستعمال، بل وأيضا لأن هذا الأخير محكوم بالنسق الاجتماعي القائم، والذي لا يبرز مداه وأثره إلا بالآجال المتوسطة والطويلة، أي الآجال المستهلكة للزمن الكثيف (21).

اقتصاد المعرفة والرأسمالية الإدراكية

إن القول بأطروحة ولوج الرأسمالية لمرحلة جديدة، توافق العديد من الباحثين على توصيفها بالرأسمالية الإدراكية، إنما ينطلق من فكرة مفادها أن نوعا من التراكم مرتكز على المعرفة والإبداع، قد بدأ يستأثر بمكانة مركزية ومعتبرة داخل حركية الاقتصاد والمجتمع.

ولعل القول بذات الأطروحة، أطروحة الرأسمالية الإدراكية، يجد إحدى نقط انطلاقته الأولى، في النقد الجذري "لأوهام" منظري الاقتصاد الجديد، المنطلقين من طرحي اقتصاد المعلومات واقتصاد المعرفة، والمتماهين في ذلك مع طرح "الرأسمالية المالية"، التي دفعت بها الإبداعات والتراكمات المالية الضخمة، التي ميزت وبقوة عقدي الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي (22).

إن المدافعين عن أطروحة الاقتصاد الجديد، إنما يدفعون بفكرة أن الثورة المعلوماتية قد أتت لتفجر نسقية اشتغال الرأسمالية الصناعية من الداخل، فاسحة المجال بذلك لنمط في التنمية جديد، توافق علماء الاقتصاد على تسميته بنمط التنمية الما بعد صناعي.

إلا أن هذا الطرح سرعان ما يصطدم بمحدوديتين أساسيتين، طاولتا محدداته الإبستمولوجية، وبالتالي مضمونه النظري وقوته التفسيرية:

– الأولى أن المعلومة (التي هي قلب الاقتصاد الجديد)، معبر عنها أو مختزلة في الاستثمار في تكنولوجيا الإعلام والمعلومات والاتصال، غالبا ما يتم التعامل معها، وفق هذا الطرح، باعتبارها مجرد عنصر إنتاج، أي مجرد سلعة تجارية صرفة، تدخل بالعملية الإنتاجية، شأنها في ذلك شأن باقي المدخلات (أعني شأن العمل ورأس المال).

إن سمة التحديد التكنولوجي، الذي تحمله هذه المقاربة في طياتها، إنما تضمر حقيقة مؤداها أن حركة الاقتصاد والمجتمع تدفع من الخارج عبر عناقيد في الإبداع (23)، من شأنها، بل لها القدرة على تحويل النظام التقني من داخله من جهة، وعلى الفعل في أنماط العمل والاستهلاك من جهة أخرى.

– أما المحدودية الثانية، فتتمثل في أن هذه المقاربة لم تستطع وضع تمييز واضح بين مفهوم المعلومة ومفهوم المعرفة، على اعتبار أن "هذه الأخيرة إنما ترتكز على قدرة إدراكية متقدمة في التفسير وفي توظيف المعلومة، وإلا فإن هذه الأخيرة ستبقى موردا عاقرا"(24)، غير ذي جدوى كبير،هي بالتالي، مقاربة موضوعاتية محضة، غير جدلية، ولا تضع تمييزا دقيقا بين العلم والتكنولوجيا، لا، بل قد تذهب لحد إلغاء التناقضات الاجتماعية والأخلاقية والثقافية، التي قد يفرزها اقتصاد المعرفة بالمكان والزمن. وهو عكس ما تسلكه

المقاربة المتبنية لأطروحة الرأسمالية الإدراكية، التي لا تدرج المعرفة كعنصر إنتاج إضافي (مستقل عن رأس المال وعن العمل)، أو مواز لرأس المال كما بنظرية رأس المال البشري، بل تعطيها وضعا اعتباريا أسمى.

إن أطروحة اقتصاد المعرفة، حتى وإن ركزت على محورية العمل اللامادي في عمليات الإنتاج، لا تصيغ ذلك وفق زاوية نظر منطقية وتاريخية لبروز الرأسمالية الإدراكية، بلصياغته وفق نظرة أدواتية، تقدم الأعتدة والبنى على المضامين. وهي، فضلا عن ذلك، لا ترى في الرأسمالية الإدراكية محصلة "لمسلسل إعادة هيكلة رأس المال، يتغيأ تطويع إمكانات التحرر المتاحة، منذ الأزمة الاجتماعية للفوردية، بغرض استنبات اقتصاد مرتكز على إشاعة الدور المحرك للمعرفة"(25)، بل ترى فيه تجديدا ببعض العناصر، وإعادة إنتاج لعناصر أخرى، تغرف غرفا من أشكال الرأسماليات السابقة.

إن الرأسمالية الإدراكية لا تمحي المنطق الإنتاجي للرأسمالية الصناعية بالمرة، ولا تتجاهل طبيعة النمو المرتكز على السلع المادية، إنها تعيد تركيب كل ذلك، وتقويه "عبر وضع العلم والتكنولوجيا الجديدة في خدمة هدف بلوغ التنميط والتملك الخاص للأحياء، والذي كان من شأنه طيلة قرني الرأسمالية الصناعية، تعميق مخاطر تقويض التنوع، وإشاعة عدم الاستقرار البيئي على مستوى الكون قاطبة".

ولهذا السبب، فإن الرأسمالية الإدراكية إنما تجمع العديد من مكامن نمط السلطة الاقتصادية (الرأسمالية)، و في الآن ذاته العديد من وضعيات التنظيم الإنتاجي المرتكز على المعرفة. هي شكل من أشكال التنظيم الاقتصادي للمجتمع من ناحية، و نمط من أنماط الإنتاج الجديدة من جهة أخرى. بالتالي، فإن "المقاولة هنا لم تعد نفس المقاولة. إنها باتت المقاولة/الشبكة. إنها المقاومة

المهيمنة على الجسم الاجتماعي. إنها المقاولة التي تدفع المجتمع برمته ليغدو المسئول عن التراكم"(26).

3- الحدود الجديدة للتوزيع الإدراكي العالمي للعمل

+ التوزيع الإدراكي العالمي للعمل و"الانفصام القسري"

عندما يتحدث دومينيك فوراي عن "نظام الإبداع الدائم"، لوصف الانتقال إلى مرحلة الرأسمالية الإدراكية، فللتعبير (جزئيا على الأقل)، على حقيقة أن "المصدر الرئيسي للتنافسية لا يوجد اليوم بالتكنولوجيا المتضمنة بالرأسمال القار، ولكن بكفاءات قوى العمل القادرة على التحكم في دينامية التطور المستمر، والتي من شأنها تجديد المعارف الخاضعة للتجاوز السريع باستمرار"(27).

إن الانتقال من التوزيع التقني التايلوري المعهود، إلى التوزيع الإدراكي للعمل المتقدم المد إنما يترجم، بنظر فوراي، لعمليات "تقطيع مسلسلات الإنتاج، وفق طبيعة أقطاب المعارف التي تعتمل بداخلها"، مؤثرة بقوة الأمر الواقع، على تموقع الشركات، على استراتيجياتها، وعلى طبيعة التخصصات الدولية الجديدة التي من المفروض أن تندغم بصلب ذات الاستراتيجيات قلبا وقالبا.

بمعنى آخر، فإن هيمنة العمل الذهني، والأولوية المعطاة للمنطق الإدراكي بالتوزيع العالمي الجديد للعمل، إنما تبدو (وهي كذلك دون شك) محكومة بحركية جذرية لرأس المال: "إن الفضاءات التي تعترضها الصعوبات اليوم، هي تلك الفضاءات التي لا تزال ذات طبيعة تايلورية صرفة، غير قادرة على التحكم في ضروب عدم الاستقرار، التي تطبع بقوة طبيعة رأس المال. مقابل ذلك، فإن الأنشطة الكثيفة المعارف، لا تزال متمركزة ترابيا وفضائيا،

على اعتبار أن رأس المال لا يزال مرتهنا بمجال العمل الذهني واللامادي، ومتموقعا بالمحاور الاقتصادية والتكنولوجية والإبداعية الكبرى"(28).

إن العنصر المحدد لتنافسية أي بلد على المدى البعيد، إنما يرتبط أكثر فأكثر (بظل التوزيع العالمي الجديد للعمل، المرتكز على منسوب إدراكي مرتفع)، ب"حجم" العمل الذهني الموظف، وبمدى إخضاعه لعنصري التعاونية والتفاعلية.

بهذا الجانب، يبدو من البديهي تراجع منطق استغلال الامتيازات المقارنة التقليدية، لفائدة عناصر جديدة، وضمنها الاحتكار والامتيازات المطلقة، المبنية على الكفاءات التي تفرزها كل شركة على حدة، أو في ترابطاتها وتحالفاتها مع الشركات الأخرى (29).

إن تكريس الرأسمالية الإدراكية، بداية هذا القرن، إنما يسير بالتوازي مع جنوح عميق للقطبية في جغرافية التنمية بين الجهات والأمم. ويبدو أن من شأن ذات التكريس كما ذات الجنوح، دفع دول العالم الثالث، سيما التي لا تتوفر على كفاءات في العمل عالية، إلى ما يشبه "الانفصام القسري" عن مسارات التنمية السائدة(30).

ولعل مما يجعل الجنوح إياه يتقوى ويتسع، تلك التوجهات المتسارعة بجهة خوصصة الحياة، والدفع بالثورة البيوتكنولوجية درجات قصوى، لتمكين شركات الشمال الكبرى من التملك الرخيص للمصادر الجينية والمعارف التقليدية المتوفرة ببلدان الجنوب، مع العمل على تعويض العديد من السلع التقليدية المستوردة من ذات البلدان، بسلع "جديدة" منتجة بالشمال، قد لا تكون لساكنة الجنوب القدرة ولا القابلية على استعمالها.

من جهة أخرى، فإذا أضحى من الثابت منذ مدة، أن بعض مراحل الإنتاج إنما باتت تخضع لعملية إعادة المركزة بالمناطق المتقدمة بالشمال، فإنه

بالإمكان لبعض وظائف الإدارة والتصميم، أن تنقل إلى دول الجنوب أو إلى القطب السوفياتي السابق، والتي تتوفر على مخزون مهم من اليد العاملة الكفأة ذهنيا، وفق منطق نقل مسلسلات الإنتاج المرتكزة على اليد العاملة البخسة، مع العمل على دمجها تدريجيا بالمنطق الجديد للتوزيع الإدراكي للعمل(31).

إن المضمون الأساس لهذا التحول في تراكم رأس المال، إنما يعمل بالحالتين معا، على توجيه طبيعة اقتصاد المعرفة، لفائدة مجموعات الرأسمالية المالية، المتبنية لاقتصاد الريع، والمضاربات والمتاجرة في مكامن الحياة والخصوصية.

بالتالي، "فإن استجلاب الموارد المادية من الجنوب لفائدة الشمال جراء خدمة الدين مثلا، إنما تسهم وبنفس الطريقة التي يعمل بها نظام البراءات، أو رأسمالية الأسهم أو ما سواها: هي تنهل مجتمعة من ميكانيزم النهب والاستغلال الريعي للعمل"(32).

من هنا، فإن الجنوح للقطبية الملاحظ منذ مدة، إنما يتقوى بظل كل ذلك، ويتقوى أكثر فأكثر، على اعتبار أن الأتمتة المتزايدة وبروز اقتصاديات التنوع مكنت ولا تزال تمكن الدول القديمة التصنيع، من إعادة تحصيل الامتيازات المقارنة، بما فيها امتيازات القطاعات الكثيفة العمل ذاتها. بالتالي، فإن التوزيع العالمي الجديد للعمل قد بدأ يجنح بقوة نحو إعادة مركزة الأنشطة الإنتاجية التي كانت، بزمن أزمة الفوردية، مكمن لامركزية إنتاجية بالدول حيث الأجور ضعيفة.

ولهذا السبب، وعلى الرغم من التزايد الجلي في حجم الاستثمار الأجنبي المباشر مثلا، فإنه يبقى متمركزا بالدول المتقدمة، وبعدد جد محدود من الدول الحديثة التصنيع، ذات النمو الاقتصادي العالي، المتوفرة على سوق استهلاكي واسع، وعلى كفاءات يد عاملة مرتفعة.

إن ما يسميه موليي بوتانغ (في حديثه عن طبيعة وتوجهات الرأسمالية الجديدة) ب"زرائب المعارف"، المترتبة عن سياسات تقوية حقوق الملكية الذهنية، وخوصصة الأحياء وقرصنة المعارف التقليدية، إنما تمثل بامتياز "ريع الموقع"، وتبدو بمظهرها كما بصيرورتها، كما لو أنها حقا "أداة إيديولوجية تسوغ لإقصاء الجنوب من ولوج التوزيع الإدراكي العالمي الجديد"(33).

"الاقتصاد الإدراكي" والتنمية المستدامة

هل تتوجه اقتصاديات دول العالم الثالث بجهة الاندماج في الاقتصاد الإدراكي العالمي؟ أم ستكون على العكس من ذلك، ضحية للاستقطاب القوي الذي أفرزه التوزيع الدولي التقليدي للعمل، ويعمل التوزيع الإدراكي الحالي على رفده وضمان الامتداد له بالزمن والمكان؟

إن تحليل طبيعة وتوجه الرأسمالية الإدراكية، وحركية التوزيع العالمي الجديد للعمل المتفرع عنها، إنما من شأنه أن يضع بين أيدينا مجموعة خلاصات أولية، من شأنها تمكيننا من المطالبة بضرورة تجديد التفكير في تنمية الجنوب بعصر العولمة والتوزيع الإدراكي العالمي الجديد، المكرس يوما عن يوم:

أول مجموعة خلاصات، ترتبط بنقد السياسات الليبريالية لتوافق واشنطن، بزاوية نقطتين أساسيتين اثنتين، لطالما تعرضت لهما الأبحاث والدراسات:

الأولى، أن التوزيع العالمي الجديد للعمل إنما ينفي بحدة، الأطروحة التي مفادها أن دول العالم الثالث يجب أن تتخصص في الأنشطة الكثيفة العمالة، وتترك جانبا الأنشطة الأكثر مضمونا معرفيا. بمعنى أن"مسلسل التقاطب التراكمي الداخلي لاقتصاد المعرفة، وعدم القدرة على التراجع على مسلسل نقل الأنشطة، التي باتت هينة وممكنة بفضل تكنولوجيا الإعلام والمعلومات والاتصال، دون أن ننسى قدرة البيوتكنولوجيا على خلق سلع تعوض المواد الأولية القديمة المستوردة

من الجنوب، كل هذا يجعل من هذا النوع من استراتيجية الاندماج بالتوزيع العالمي للعمل، وكأنه المدخل الأساس المحيل حتما على "فك الارتباط القسري"، في حين أن للعديد من دول الجنوب مزايا كبرى للاندماج بصلب التوزيع الجديد، شريطة أن تمنح لها السبل والأدوات(34).

إن سياسات التقويم الهيكلية، عوض أن توجه الاستثمار الأجنبي المباشر بجهة دول العالم الثالث، قد أدت " إلى تراجع درامي للمصاريف الموجهة لنظم التربية والصحة. بالتالي، فنتائجها لم تكن وخيمة على ظروف حياة السكان فحسب، بل أدت إلى تدمير البذور الضرورية لاستنبات اقتصاد المعرفة، وخلقت شروط الاندماج التبعي للتوزيع العالمي الجديد للعمل"(35).

– أما المجموعة الثانية من الخلاصات، فتتمثل في تحديد القطاعات المحركة التي على أساسها يمكن أن تتبني استراتيجية الخروج من التخلف، تكون متكيفة مع الرأسمالية الإدراكية، ومع أزمة البراديغم الصناعي للتنمية، كما اعتملت إلى حين عهد قريب. ولعل الداعي الأساس لذلك إنما هو أن السياسات الليبيرالية الجديدة لم تعبر فقط عن تراجع قدرتها على معالجة أزمة الدين (الذي تزايد باعتمادها)، بل ودفعت بالعديد من الدول التي خضعت للتقويم الهيكلي (بما فيها اقتصادات الدول الشرقية) إلى دوامة لا متناهية من نمو التخلف، لدرجة بات هذا الأخير يحكم قبضته على كل مفاصل الاقتصاد والمجتمع.

إن أزمة التحول التي تطاول الرأسمالية اليوم، إنما "تستوجب الانتقال إلى مفهوم في التنمية مستدام، مصاغ كتأسيس لمجتمع الديموقراطية... يصبح الإنسان من بين ظهرانيه، هو الرأسمال القار ببداية العملية كما بنهايتها(36).

بالتالي، فإذا كان ثمة من توافق حول حقيقة أزمة التنمية، فإن رهان تجديد اقتصاد التنمية اليوم، يوجد إما بالعودة القوية للدولة ذات الوظيفة التنموية

الصرفة، وإما بمزج نظري جديد يدفع ب"توازن معتدل بين تدخل الدولة والتقويم اللاممركز" الذي لا يفقر، ولا يقصي من دورة رأس المال(37).

يبدو أن حسم ذات الإشكال هو القمين بتوجيه أي تفكير بجهة ولوج أو عدم ولوج مجتمع المعرفة، بداية هذا القرن.

هوامش الدراسة

(1)– للتمييز بين العولمة كواقع حال قائم، والشمولة كتطلع للعولمة الحالية، راجع بحثنا:

(2)–El Yahyaoui. Y،«La mondialisation: communication/monde ، ultrali –béralisme planétaire et pensée unique»، Ed. Boukili، Kénitra، 1998.

(2)- Capitalisme cognitif

قد لا تكون الترجمة العربية للمصطلح، مصطلح الرأسمالية الإدراكية، دقيقة بهذا المنحى، لكنها الأقرب للتعبير عن واقع الحال، واقع الانتقال التدريجي إلى نمط في التراكم والإنتاج والتنظيم جديد.

(3)- Vercellone. C, «Sens et enjeux de la transition vers le capitalisme cognitif: une mise en perspective historique», Mis en ligne le 7 octobre 2004.

(4)- Moulier Boutang. Y, «Le troisième capitalisme: mondialisation, capitalisme cognitif et division internationale du travail», Critique Economique, n° 4, Rabat, Eté 2001.

(5)- Moulier Boutang. Y, «Le troisième capitalisme: mondialisation, capitalisme cognitif et division internationale du travail», Art. Précité.

(6)- L'expression «déconnexion forcée» est empruntée à Mouhoud. Cf: Moati.P, Mouhoud.E, «Division cognitive du travail et dynamique de la localisation industrielle dans l'espace mondial», Communication à la conférence internationale «La connaissance dans la dynamique des organisations productives», Aix-en-Provence, 14-15 septembre 1995.

(7)- Moati. P, Mouhoud. E, «Information et organisation de la production: vers une division cognitive du travail», Economie Appliquée, n° 46, 1994.

(8)- Castells. M, «La société en réseaux», T.1: «L'ère de l'information», Fayard, 1998.

(9)- Moati.P, Mouhoud.E, «Division cognitive du travail et dynamique de la localisation industrielle dans l'espace mondial», Art. Précité.

(10)- Moulier Boutang. Y, «Capitalisme cognitif et nouvelles formes de codification du rapport salarial», In Vercellone. C, (Ed), «Sommes-nous sortis du capitalisme industriel?», La Dispute, Paris, 2003.

(11)- Coriat. B, «Post-fordisme: quelles perspectives pour l'évolution du rapport salarial?», Problèmes économiques, n°2138, Août 1989.

(12)- اقتصاد المعرفة المقصود هنا, يحيل على المعارف المختمرة, وليس على المعطيات العابرة. راجع في التمييز بين المعلومة, والمعرفة, والمعرفة المتقدمة, والثقافة:

Trégouet. R, «Des pyramides du pouvoir aux réseaux de savoirs», Rapport d'information n° 331, 1997-1998, Sénat, Paris, 2 Tomes.

(13)- يتحدث أندريه غورز مثلا, عن الرأسمالية الإدراكية كشكل من أشكال أزمة الرأسمالية بمرحلتها المتقدمة.

(14)- Vercellone. C (Ed.), «Sommes-nous sortis du capitalisme industriel?», Ouv. Précité.

(15)- Vercellone. C et Alii, «Le capitalisme cognitif comme sortie de la crise du capitalisme industriel: un programme de recherche», Colloque de l'Ecole de la Régulation, Paris, 11-14 octobre 2001.

(16)- Théories de la régulation.

(17)- Aglietta. M, «Régulation et crises du capitalisme», O. Jacob, Deuxième édition, 1997.

(18)- Vercellone. C (Ed.), «Sommes-nous sortis du capitalisme industriel?», Ouv. Précité.

(19)- Corsani. A et Alii, «Vers un capitalisme cognitif», L'Harmattan, 2001.

- Moulier Boutang. Y, «La revanche des externalités, Globalisation des économies, externalités, mobilité, transformation de l'économie et de l'intervention publique», Futur Antérieur, n° 39-40, Paris, septembre 1997.

(20)- Vercellone. C (Ed.), «Sommes-nous sortis du capitalisme industriel?», Ouv. Précité.

(21)- يعتقد متبنو هذا الطرح بوجود رأسمالية تكنولوجية واضحة المعالم, جلية السمات. راجع بهذه النقطة:

Walliser, B, «L'économie cognitive», Editions Odile Jacob, Paris, 2000.

(22)- Cf: Foray.D, «L'économie de la connaissance», coll. Repères, La Découverte, 2000.

(23)- Grappes technologiques au sens de Schumpeter.

(24)- راجع في هذا التمييز :

Trégouet. R, «Des pyramides du pouvoir aux réseaux de savoirs», Rapport Précité.

(25)- Paulré. B, «De la New economy au capitalisme cognitif», Multitudes, n° 2, mai 2000.

(26)- Laroche. H, «L'entreprise close: une approche cognitive», in P. Besson et Alii, «Dedans, dehors: Les nouvelles frontières de l'organisation», Librairie Vuibert, Paris, 1997.

(27)- Foray. D, «Intellectual property and innovation in the knowleged-based economy», Les Cahiers de l'innovation, Novembre 2000.

(28)- Foray. D, «Intellectual property and innovation in the knowleged-based economy», Art. Précité.

(29)- Moati.P, Mouhoud.E, «Division cognitive du travail et dynamique de la localisation industrielle dans l'espace mondial», Art. Précité.

(30)- Moulier Boutang. Y, «Le Sud, la propriété intellectuelle et le nouveau capitalisme émergent: le développement face aux biens communs de l'information et à la propriété intellectuelle», In Savoir, Pouvoir, C&F Editions, 2005.

(31)- Moati.P, Mouhoud.E, «Division cognitive du travail et dynamique de la localisation industrielle dans l'espace mondial», Art. Précité.

(32)- Moulier Boutang. Y, «Richesse, propriété, liberté et revenu dans le capitalisme cognitif», Multitudes, N° 5, Mai 2001.

(33)- Moulier Boutang, Y, «Nouvelles frontières de l'économie politique du capitalisme cognitif», Communication au Colloque "Textualités et Nouvelles Technologies", 23-25 octobre, Musée d'Art Contemporain de Montréal, Revue Ecarts, Québec 2002.

(34)- Boyer, R, «L'après-consensus de Washington: institutionnaliste et systémique?», in L'Année de la régulation, N° 5, Presses de Sciences Po, Paris 2001.

(35)- Boyer, R, «L'après-consensus de Washington: institutionnaliste et systémique?», Art. Précité.

(36)- Vercellone. C, «Les politiques de développement à l'heure du capitalisme cognitif», Mis en ligne octobre 2002.

(37)- Boyer, R, «L'après-consensus de Washington: institutionnaliste et systémique?», Art. Précité.

بعض شروط، ووسائل بناء "مجتمع المعرفة".

د. فضيلة بوعمران[*]: كلية الطب – جامعة الجزائر

العلاقة القائمة بين المعرفة و المجتمع تناولتها العديد من البحوث في الغرب منذ القرن السابع عشر الميلادي[5].

و في عالمنا العربي، كثيرون هم الذين اعتبروا أن مكافحة الأُميّة الأبجدية هي بمثابة ردّ الاعتبار للمعرفة، كما أن كثيرين هم من ظنّوا أن القضاء على الفقر و التخلف يتم بالحصول على آلات و أجهزة، نستوردها بفضل ما نملكه من ثروات طبيعية.

لكنه تبيّن أن المعرفة هي أكثر من القضاء على الأمية، وأن المعرفة ليست بضاعة تشترى و تستهلك، كما أن تكديس الآلات والأجهزة التي أنجزتها عقول الغير لا يمكن أبدا أن يحقق التقدم، وإنما المعرفة هي عملية كسب للمعلومات، تهدف إلى تطوير المجتمع وتحديثه اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا

[*] 4 أستاذة الطب بجامعة الجزائر

[5] نذكر من بينها بحوث فرانسيس بايكن و كوندورسي.

وجعله ينتج الثروة ويسيطر على آليات الإنتاج. وتبين أن المعرفة هي مفتاح قوة الأمم.

تعريف "مجتمع المعرفة"

وهكذا، تغير تعريف الأُميّةُ الذي كان يضم فقط جانبها الأبجدي و أصبح له اليوم دلالة ثقافية و معلوماتية. فتطور مفهوم "المعرفة" مع ما أطلق عليه اسم "الثورة المعلوماتية" و مع اقتحامها لمختلف المجالات الاقتصادية و الثقافية و الاجتماعية و غيرها. و مع ضرورة ضمان القوة التنافسية للبلد، صارت سرعة الحصول على المعلومات و تكوين المهارات العالية واكتساب المعرفة تشكل هدفا استراتيجيا.

ونتيجة لذلك، ظهر خلال التسعينات من القرن الماضي فكر اقتصادي جديد، يركز على الدور المحرك للمعرفة في التنافس الاقتصادي و نمو البلدان و برزت مادة علمية جديدة أطلق عليها اسم "اقتصاد المعرفة" أو "مجتمع المعرفة"[6]. فهذا التصور الاقتصادي الجديد لا يرى المعرفة على أنها مصدر للإنتاج فحسب، بل أنها إنتاج في حد ذاتها. و أصبح مصطلح "مجتمع المعرفة" يعني من جهة فرعا من فروع علم الاقتصاد، يتناول موضوع المعرفة بالبحث، ويعني من جهة أخرى بظاهرة خاصة بالحقبة الزمنية المعاصرة تتميز بتغيير طرق تسيير الاقتصاد.

ويرتكز هذا التصور الجديد على أربعة عناصر أساسية هي :

1) التربية
2) المؤسسات

---

[6] باللغة الإنجليزية : knowledge management

باللغة الفرنسية : économie du savoir, nouvelle économie, société de la connaissance

3) الإبداع

4) التكنولوجيات الجديدة، (بمعنى تكنولوجيات الإعلام والاتصال). معنى ذلك أنه يركز على الجوانب غير المادية في إنتاج الثروات.

عوائق انتشار المعرفة في العالم العربي

يرى المتتبع للساحةِ التربوية والثقافية العربية والممارس فيها أن هناك أسبابا عديدة تسد الطريق إلى "مجتمع المعرفة".

ولا يختلف اثنان في أن نقائص النظام التعليمي والتربوي وعيوبه تمثل عائقا حقيقيا أمام تحقيق هذا المجتمع، ورغم أن موضوعنا ليس **الحديث عن** الوضع التعليمي والتربوي والثقافي الحالي في العالم العربي إلا أنه يجب التركيز على الجوانب السلبية لهذا الوضع ما دامت المجتمعات العربية تعاني من الأمية الأبجدية، (و خاصة في الوسط النسوي) ناهيك عن الأمية بالمفهوم الحديث.

تتسم البلدان العربية كمجموعة اليوم بنظام تربوي وثقافي فاشل إلى حد كبير. ويمكن تلخيص أسباب عيوب النظام التربوي العربي في النقاط الآتية:

– عدم الحسم في مسائل جوهرية كدور اللغة العربية وترقيتها في جميع مجالات الحياة وانعكس ذلك سلبا على التعليم والثقافة.

– غياب استراتيجية للتجديد الحضاري الشامل، وعدم الاعتماد على الخبرة المتخصصة ضمن مراكز دراسات استراتيجية شبيهة بمجموعات – ثينك تانك – الغربية، تتضافر فيها جهود منظرين عرب من مختلف التخصصات، لبلورة تصورات متجددة واضحة، ولوضع خطة شاملة ومتكاملة للتنمية.

– قلة الشفافية في ما تقوم به السلطات من تحديد للأهداف، ومضمون البرامج وفي التسيير الإداري واستعمال الأموال العمومية. – قلة المردودية في

نظام التعليم وعجزه عن التكفل بسلبياته من تسرب مدرسي وبطالة الشباب حامل الشهادات.

وفي هذه الورقة الوجيزة، نحاول سرد بعض الشروط والوسائل تبدو لنا ضرورية لمعالجة هذه العوائق التي تعرقل بلداننا في سيرها على طريق "مجتمع المعرفة".

بعض شروط بناء "مجتمع المعرفة"

يمكن تصنيف الشروط الأساسية لتأسيس "مجتمع المعرفة" إلى أربعة أصناف :

1- الشروط الفكرية و الفلسفية

ا) ردّ الاعتبار للمعرفة التي أصبحت لا تقدر حق تقديرها. فهذا الدور الهام و الضروري يقوم به المفكرون و الخبراء، خاصة في مجال الفكر والفلسفة وعلوم الدين والتاريخ وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد. ورد الاعتبار للمعرفة يستلزم إعادة ترتيب هرم المسؤوليات بحسب مستوى الأشخاص العلمي والتقني والثقافي وعدم إسناد إدارة شؤون الناس وتسيير مصالحهم لمن ليست له الكفاءة.

ب) إشراك المفكرين والخبراء العرب في جميع مراحل العمل فدورهم لا يقتصر على تقديم خِدمة مقابل مرتب، بل هو دور صاحب رؤية وخِبرة ومشارك فعلي يكون لكلمته وزن، ذلك لأنه لا يُكتب لأي خطة تنموية النجاح في غياب الوعي بالوضع الذاتي وبالعالم المحيط وفي غياب أهداف واضحة، وتصورات تشارك في صنعها، من جهة، المعتقدات والقيم والنظرة للحياة والتطلعات ومن جهة أخرى المعرفة المبنية على العلم والتجربة.

ج) جعل الإنسان هو نقطة الانطلاق لأي خطة تنموية، في مرحلة سابقة، ارتكزت السياسة الاقتصادية في أقطارنا على الآلة والجهاز واستوردت الدول العربية مصانع بمفاتحها وأهملت الإنسان ففشلت الخطة، مع اندلاع الثورة المعلوماتية في العالم، أصبح دور الإنسان أكثر أهمية من ذي قبل، وتبين أنه من الضروري توفير المهارة اللازمة لكل فرد للاستفادة الكاملة من مجتمع المعلومات ونشر المعرفة من خلال استخدام وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصال في التعليم والتدريب.

وهذه الرؤية التي تعتمد على الإنسان تقتضي أن يكون الإنسان يشعر بأنه عنصر فعال في المجتمع وأنه مواطن كامل الحقوق وأن يكون دور الدولة تشجيع ودعم روح المبادرة والعمل المبدع وروح التحدي حتى يشعر الإنسان بأنه هو صانع مصيره.

د) النظر إلى مضامين البرامج التعليمية والثقافية ونوعيتها ونجاعتها. فرغم ما بلغته العديد من البلدان العربية من نسبة التمدرس، إلا أن نظامها التعليمي بقي نظاما متخلفا إلى حد كبير ولا يلبي مجمل حاجيات المجتمع، فما زالت البلدان العربية تستورد الكفاءات والأجهزة في مجالات عديدة، خاصة التقنية منها، رغم أنها كوّنت أجيالا من الطلبة والخبراء في تلك المجالات.

ي) ضرورة الربط بين الأطوار التعليمية والتكوينية وبين المؤسسات الاقتصادية وتحديد برامج للبحث العلمي تعكس حقيقة حاجيات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية وتنسجم مع مختلف البرامج التنموية في تصور شامل للتنمية.

2- الشروط الاقتصادية

بالرغم مما تزخر به كثير من البلدان العربية من موارد طبيعية، إلا أنها لا تمنح للتربية وللبحث العلمي الحصة التي يستحقها هذا القطاع للخروج من دوامة التخلف. فهناك أرقام[7] تشير إلى أن العالم العربي لا زال بعيدا عن "مجتمع المعرفة". فقلة الإنفاق العربي على البحث العلمي، تؤدي حتما إلى ضعف مستوى التعليم وتكريس التبعية. وللمقارنة، فإن جميع الإحصاءات تشير إلى ما تنفقه الدول العربية على التسليح وتتصدر الدول العربية قائمة زبائن مصانع السلاح في العالم.

وبالإضافة إلى قلة حجم الميزانية المخصصة للتعليم والبحث، كثيرا ما يتم توزيعها واستعمالها بطريقة سيئة وغير منطقية.

3- الشروط التنظيمية

بالموازاة مع القطاع الرسمي الذي تسيّره الدولة من حيث وضع البرامج والتأطير والميزانية، قد فتحت معظم البلدان العربية أبواب التربية والتعليم أمام القطاع الخاص، خاصة في الأطوار ما قبل الجامعة. واستقطب القطاع الخاص شريحة معينة، قليلة من حيث العدد لكنها تحظى بنفوذ أوسع ووسائل أوفر، وما يميز برامج القطاع الخاص هو أنها تختلف بصفة متفاوتة عن برامج التعليم الرسمي، خاصة في مواد تعتبر مكونة للشخصية الوطنية وفي مقدمتها اللغة العربية.

ورغم بعض الجهود المبذولة هنا وهناك في هذا المجال، يبقى القطاع الرسمي يعاني من مشاكل تنظيمية مختلفة: تغطية مساحية غير كافية، بناءات

[7] على سبيل المثال، سجل التقرير الصادر سنة 1998 عن اليونسكو أن الدول العربية لم تنفق سنة 1996 إلا 0.14% من دخلها القومي على البحث العلمي، في الوقت الذي أنفقت فيه الدولة العبرية 2.53%، واليابان 2.9% وكوبا 1.62%.

مدرسية وجامعية تصميمها غير مطابق في كثير من الأحوال للمعايير المعترف بها دوليا، تنقصها مرافق وتجهيزات ضرورية وصيانة.

كما أن مبدأ الشورى لا زال هدفا بعيدا في مجال السياسة التربوية، فلا النقابات المهنية ولا التنظيمات الطلابية، ولا جمعيات أولياء التلاميذ تقوم بالدور، الذي تقوم به مماثلاتها في البلدان المتقدمة.

4- الشروط السياسية

ا- توفير فرص متساوية لجميع المواطنين، فالتعليم حق شرعي، و دستوري، لا يقل أهمية عن الحق في الصحة أو السكن، و لا يحق أن تغلق أبواب المؤسسات التعليمية أمام أي مواطن.

ب- اهتمام الدولة بمصير من تخرّج من مؤسساتها التعليمية. فاليوم، يصطدم التلاميذ و الطلبة العرب بمشكلتين أساسيتين: التسرب المدرسي من جهة وعدم توفير مناصب شغل بعد التخرج من جهة أخرى. بالنسبة للتسرب المدرسي، كثير من التلاميذ الذين لا يَسمح لهم مستواهم بمواصلة دراستهم لا يجدون مكانا في مؤسسات التكوين المهني بسبب عجزها عن امتصاص الطلب، فضلا عن أن بعضهم يجدون فجأة أنفسهم في الشارع لأن سنهم دون السن القانوني للالتحاق بمؤسسات التكوين المهني.

أما المتخرجون من المؤسسات الجامعية، فالكثير منهم لا يجدون منصبا شغل مناسب لتكوينهم وشهادتهم أو على الأقل لمستواهم التعليمي. ولا توجد هيئة عمومية فعالة تتكفل بتسجيل طلبات التشغيل ومحاولة توجيه المترشحين

إلى سوق الشغل، فيدخل الشاب صاحب شهادة عليا في دوامة الفشل في البحث عن شغل وتبقى أبواب المؤسسات العمومية والخاصة موصدة أمامه.

فبسبب غياب هذين الشرطين أو التقصير فيهما وبسبب انسداد الطريق أمام الشباب، برزت ذهنية سلبية خطيرة لدى الشباب وغيرهم مفادها أنه لا فائدة من الدراسة ولا من الشهادة ولا من إجهاد النفس في كسب معلومات لا تسمن ولا تغني من جوع ولا تضمن العيش الكريم. وأصبح الأفضل في نظر هؤلاء الشباب أن يبحثوا عن أحد الأقارب أو المعارف من ذوي النفوذ أو أن يلجئوا إلى طرق يرفضها الشرع والضمير، وتفاقم الآفات الاجتماعية في وسط الشباب لدليل على ذلك. وهذه المظاهر الخطيرة تبطل بالتأكيد مفعول برامج نشر المعرفة مهما كانت جودتها.

ج- ضرورة تحقيق ما يطلق عليه اليوم مصطلح "الحكم الراشد"، وهذا يعني الحكم المتسم بالكفاءة والعدل والشفافية وحسن تسيير المال العام، فالفساد السياسي والمالي والإداري يجهض كل المشاريع التنموية. و للأسف، هذه الآفة ليست غائبة في العالم العربي.

د- تكريس مبدأ الشورى بإشراك جميع المعنيين بقطاع التعليم لتحديد سياسة التعليم والتربية والتكوين والثقافة بل بإشراك الرأي العام لأن استكمال السيادة لا يتم إلا بالتوازن بين سلطة الدولة وقوة الرأي العام، كما أن إدخال إصلاحات كلما اقتضى الأمر ذلك أمر ضروري لأن العالم يتحرك فالأوضاع تتغير، وقد عرفت البلدان العربية كثيرا من إجراءات سُميت "إصلاحات" ولم تنجح لأنها أقصت أطرافا هامة في المعادلة ولم تشرك الرأي العام فيها. فبقيت الإدارة المركزية تبني و تفكك وبقيت دار لقمان على حالها أو تحولت إلى الأسوإ.

بعض الوسائل الضرورية لبناء مجتمع المعرفة

هذه الوسائل مرتبطة بطبيعة الحال بما يملكه البلد من موارد بشرية ومادية.

يتقدم العالم اليوم بسرعة لم يعرفها من قبل وهذا العالم لا ينتظر الغافل وبالتالي لا بد من الالتحاق بالركب وهذا يتطلب بذل المزيد من الجهد وجمع ما هو ممكن من وسائل في ثلاث مجالات أساسية: التعليم و التكوين، الإعلام، والثقافة.

النظام التعليمي و التكويني

كما رأينا، يمثل نظام التعليم والتربية أحد شروط الانتقال إلى "مجتمع المعرفة" إلا أن هذا النظام التربوي الناجع لا بد أن يَنبثقَ من رؤية واضحة لما يتطلع إليه الفرد والمجتمع وما يُمليه الوضع المحلي والعالمي.

إحدى أكبر التحديات التي يواجهها العالم العربي هي ضرورة القضاء على الأمية وعلى التسرب المدرسي بطرق جدية و فعالة تسمح بإشراك الموارد البشرية الضائعة والمهمشة. ومن الوسائل الجديرة بتحقيق الهدف:

– السهر على احترام إجبارية التعليم، لاسيما بالنسبة للبنات (نسبة لا يستهان بها من الإناث لا يلتحقن بالمدرسة لأسباب اقتصادية أو أمنية)[8].

– تقويم مستمر لبرامج مختلف أطوار التعليم وإدخال إصلاحات جذرية ومتواصلة ما دامت نسبة التسرب المدرسي عالية ونسبة المتحصلين على شهادة الباكلوريا ضعيفة وهذا ما قد يوفر ظروف أفضل قبل دخول ميدان الشغل لتوظيف المهارات المكتسبة وتفعيلها.

– تحسين وضع سلك التعليم والتكفل بمشاكله (الاجتماعية والمهنية وإعادة الاعتبار للمهنة).

[8] بينت العديد من الدراسات أن مستوى تطور البلدان مرتبط بنسبة تعليم البنات.

– تحسين وضع التلاميذ والطلبة (منح ودعم مادي للمحتاجين وبناءات مدرسية وجامعية مطابقة للمعايير الدولية).

– فتح قنوات للترقية المهنية والعلمية فلا يعقل أن يمنع الإنسان من تحسين مستواه المعرفي,

– وضح حد لبعض السلوكات السلبية للإدارة وتغيير أساليبها القهرية وجعلها في خدمة المدرسين والمتمدرسين لا العكس وتكريس طرق الحوار بين الأطراف.

– دعم قطاع التكوين المهني من حيث الكم و النوعية بما يجعله قادرا على تلبية الطلب.

– عناية خاصة بالتعليم العالي ما دامت الجامعات العربية ذات مستوى ضعيف[9].

– تشجيع البحث العلمي وربط مشاريع البحث العلمي ببرامج التنمية وبقطاع الصناعة والإنتاج وتقويم نزيه وموضوعي لطابع البحوث وجعل جسور بين التعليم العالي ومختلف القطاعات الاقتصادية ورفع النسبة المخصصة للبحث العلمي إلى 1% من الدخل القومي على الأقل وهي النسبة الفاصلة بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة.

– السعي إلى الحد من ظاهرة هجرة الأدمغة بوضع حد للعراقيل البيروقراطية أمام الجامعيين ومضايقاتهم أو إهمالهم، نتيجة هذه العراقيل ونتيجة كذلك الأوضاع السياسية والأمنية لبعض المناطق العربية، تفاقمت هجرة الأدمغة العربية فأصبحت هذه الظاهرة تشكل تحديا حقيقيا أمام الدول العربية. فالدماغ العربي لا يقل مهارة عن دماغ غيره وللتأكد من ذلك يمكن تسجيل الأسماء العربية المشاركة في أبحاث علمية عالية المستوى منشورة في

[9] إنها خارج قائمة الـ 500 أفضل جامعات في العالم حسب إحصاءات اليونسكو.

أشهر المجلات العالمية. فالدماغ العربي الراغب قي البحث يحتاج أولا إلى التخلص من عراقيل محيطه الإداري المثبط للعزائم والجهود.

– استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال في التعليم: هناك طرق جديدة ناجعة تستخدم في التعليم بهدف تحسين مناهج التدريس وإعداد موارد بشرية تتميز بمهارة عالية. وقد ساهمت في ظهورها التطورات التكنولوجية بشكل عام وتطور وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصال بصفة خاصة. وإذا كان الحصول على المعلومات شرطا لكسب المعرفة, فإنه لا يكفي لأن المعلومات لا تنفع إلا إذا وظفت لتحقيق مشروع.

– توفير إمكانية التعليم عن بعد: وهذه الطرق الجديدة للتعلم تتيح للدارس إمكانية الاستفادة من فرص التعليم بنفس القدر دون التقيد بالزمان والمكان، وهكذا تصبح المدرسة هي التي تنتقل إلى المتعلم عوض أن يذهب إليها كما هو الشأن في التعليم التقليدي.

وبانتشار الحواسيب وشبكات الإنترنت، أصبحت التطبيقات المعلوماتية، خاصة تلك القائمة على التفاعل، من أهم وسائل التعليم عن بعد، وأكثرها فعالية، وقد أكدت التجارب التي تمت دوليا في هذا المجال أن التعلم عن بعد يعتبر من أهم محاور الاستثمار في تنمية الموارد البشرية ومواكبة التقدم التكنولوجي الذي يشهده هذا العصر، إلا أن تكلفة التعليم عن بعد، وخاصة التفاعلي منه، مرتفعة إلى درجة يمكن أن تكون مانعة للانتشار.

– تكوين وتدريب المؤسسات والإدارة: تشمل تنمية الموارد البشرية والمؤسسات والإدارة حتى تستطيع المؤسسات توظيف ما اكتسبه الأشخاص الذين تلقوا تدريبا عالي المستوى ويتحول نظام الإدارة وهياكلها تدريجيا حتى يتلاءم مع التقنيات الحديثة.

وسائل الإعلام

يعتبر الإعلام (المكتوب منه والمسموع والمرئي) التابع للدولة أو المستقل عنها الوعاء الأمثل لنقل المعلومات، لكن هذا يقتضي أن يكون الإعلامي خبيرا في المجال المعرفي الذي يتناوله، وهذا مستوى لم يبلغه عموما العاملون في الإعلام العربي.

الوسائل الثقافية

لدعم الكتب والمجلات ذات المستوى العالي يمكن:

– إنشاء مسابقات ووسائل تحفيزية لأحسن الأعمال باللغة العربية في كل المجالات على المستوى القطري والجهوي والعربي .

– فتح قنوات تلفزيونية فضائية تبث برامج متخصصة وذات جودة علمية عالية، كثرت الفضائيات العربية، لكن دورها محدود ولا تخصص إلا القليل لنشر المعرفة بالمقارنة مع برامج التسلية، ولا توجد قنوات خاصة بميادين علمية مثل ما هو الحال في الأقطار المتقدمة التي لها قنوات للصحة والطب وأخرى للطبيعة والزراعة وأخرى للعلوم وأخرى للثقافية وأخرى للتربية ...

الخلاصـــة:

في الاقتصاد الجديد، أصبحت العوامل المهمة هي المعرفة الفنية، والإبداع، والذكاء، والمعلومات أي ما يسمى بالثروة غير المادية و نرى اليوم دول العالم تتسابق وتتنافس لتجد أفضل السبل لتنمية مواردها البشرية وتحقيق أهدافها الكمية والنوعية لتحويل شعوبها إلى "مجتمعات معرفة".

فالغني ليس من يملك المادة الخام بل من يكسب المعرفة كما أن السلطة لمن كسب المعرفة لا لمن استهلك منتوجها و ذا ما أوحى به فرانسيس بايكن في القرن 16.

وإذا أرادت المجتمعات العربية أن تخرج من دوامة التخلف و التبعية، لا بد أن تشرع في نقل المعرفة بوعي وبطريقة عقلانية وتطويعها واستخدامها وتوظيفها وذلك هو السبيل الوحيد لدخول مرحلة إنتاج المعرفة.

فهذه الأهداف تتطلب أساسا الاستثمار في الإنسان بتطوير الموارد البشرية والاهتمام أكثر بالتعليم وتحسين جودته وتشجيع البحث العلمي وكذلك تهيئة المناخ الثقافي والإداري والقانوني والسياسي لتلك الأهداف.

على إثر القمة الاقتصادية والاجتماعية الأوربية التي انعقدت بلشبونة (عاصمة البرتغال) في مارس 2000، حدد الاتحاد الأوربي لنفسه هدفا استراتيجيا للعشرية 2000–2010 والهدف هو :" أن يكون مجتمع المعرفة الأكثر تنافسية والأكثر ديناميكية يسمح بنمو اقتصادي مستديم يصاحبه تحسين كمي ونوعي للشغل ويسمح بتماسك اجتماعي أقوى"، فعلى العالم العربي أن يستخلص الدرس من تجربة دول آسيا التي نجحت في التحول إلى مجتمعات المعرفة بعد أن انتقلت من ثقافة الاستهلاك إلى ثقافة الإنتاج ومن ثقافة التبعية إلى ثقافة السيادة, فاليابابي والصيني والماليزي يشترون المنتوج الغربي لاستهلاكه فحسب، بل لدراسته واكتشاف تركيبته ثم يصنعون مثيلا له أو حتى ما هو أحسن منه، فعلى سبيل المثال، كان اختراع المجهر اختراعا ألمانيا واليوم أحسن مجهر هو المجهر الياباني. أصبحت دول آسيا اليوم تنافس الدول الغربية تنافسا شديدا في ميادين التكنولوجيا العالية. و الدافع الأول لديها للانتقال إلى "مجتمع المعرفة" هو الثقة بالنفس و التأكد من أن لها القدرة على ذلك.

يحتاج العالم العربي إلى سياسة عربية مشتركة مبنية على احترام الإنسان العربي وإشراكه بشكل فعلي في سياسة بلده والاستثمار فيه وله. فالتغلب على وضع العالم العربي المزري الحالي يكمن في الوصفة التالية: الوعي و الثقة بالنفس و إرادة نقل المعلومات ثم الإنتاج و الابتكار و التنافس.

الفصل الثاني: توطين المعرفة باللغة العربية

اللغة العربية في مجتمع المعرفة

أ .د / صالح بلعيد*: جامعة تيزي وزو– الجزائر

المقدمة :تتأسّس هذه الورقة على بعدين أساسيين هما :اللغة العربية، ثمّ مجتمع المعرفة، بالإضافة إلى أبعاد ثانوية، ستُذكر في أماكنها :

1 . اللغة العربية :وهي كما يعرف الجميع؛ تلك اللغة التي يتداولها العرب من العصر الجاهلي إلى الآن، حيث نطق بها الشعراء الفصحاء، وأصبحت ديوان العرب ومدوّنتهم الكبيرة، وأنزل بها القرآن الكريم بمختلف قراءاته، فهو الحجّة الكبرى وتحدّث بها الرسول في أحاديثه المروية بالسند الصحيح، وعند ذلك أصبحت المعيار اللغوي لأنماط ونماذج تُحتذى. وفي القرن الأول الهجري أضحت تكتب ودوُّن بها القرآن الكريم وكلام العرب شعره ونثره، إضافة إلى الحديث الشريف وأخذت بعداً علمياً في لاحق من الزمان لتصبح لغة علم وبيان، وخاصة في القرنين الثالث والرابع الهجريين (العصور الذهبية) حيث استقطبت الثقافات الأجنبية، عن طريق قناة الترجمة، إضافة إلى تأسيس بيت الحكمة، وقد كان ذلك سبباً في أن تؤثّر في اللغات الشرقية خصوصاً، فتتبّنى منظومة خطاطتها، كما تتأثّر بمعجمها بشكل محسوس، إلى أن لحقها البيات

* أستاذ جامعي متخصص في اللسانيات واللغة من مؤلفاته: نظرية النظم، وفي المسألة الأمازيغية، وفقه اللغة العربية

في عصور الضعف حتى القرن التاسع الهجري، ولم يقع الاهتمام بها إلا في العصر الحاضر أين أُقيمت لها مؤسّسات، وجُندت فرق تهتم بترقيتها، وبدأت تستعيد حيويتها .

العربية لغة العرب في العصر الحاضر، ويصل عددهم إلى 300 مليون، وهي لغة العبادات لمليارين من البشر تقريباً، واللغة الرسمية التي تنصّ عليها دساتير الوطن العربي، والرسمية في المحافل الدولية، واللغة الرابعة المرشّحة للظهور بقوّة في القرن الواحد والعشرين .تمتاز بخصائص مميّزة، تظهر في البنيات الصوتية والصرفية والنّحوية، ولها نظام كتابي متميّز، وتراث غني لا مثيل له في أيّة لغة من لغات البشر، وهي أقدم لغة على وجه الأرض، ولم تحدث قطيعة بين أصولها وحداثتها، ويُقرأ بها تراثها دون مساعدة معجمية. كما أنّ لهذه اللغة لهجات متنوّعة تختلف في بعض ألفاظها أداءً ودلالة من قطر عربي لآخر، وتشكّل الفصحى الوسيلة المثلى للتواصل .

2- مجتمع المعرفة :يتكوّن من: مجتمع؛ وهو فئات من الناس، وكلّ فئة لها ميدانها الذي تستثمر فيه، ولها طبقتها المعيّنة، وكلّ تلك الفئات تنضوي خصوصياتها في القواسم المشتركة التي تعمل على تبادل المنافع العامة. والمعرفة: كلّ ما يعرفه الإنسان عن قضية أو حادثة، ويقول ابن منظور إنّ معاني هذه اللفظة: ما يتّصل بالعلم والمعرفة، والتعليم والتعلّم، والإحاطة، والإدراك، واليقين، والإعلام، والشهرة والتميّز، والتيسير ...[2]وفي اللغة الفرنسية تعني كلمة Information ما يتلقّاه أو يحصل عليه عن طريق الإعلام. فمجتمع المعرفة يقصد به اعتماد المعرفة مبدأً ناظماً لجميع الحياة البشرية، وتنميط سلوك البشر وثقافتهم في المجتمعات كافة، وإخضاعها لنظام قِيَم، ولأنماط سائدة في مجتمعات استهلاكية. ويلعب الإعلام والاتّصال الدور الهام في مجتمع المعرفة، حيث يتطلّب الاتّصال إضافة إلى الانفجار المعرفي والتسارع

التقني، والتطوّر التكنولوجي، وانهيار الفواصل الجغرافية وارتفاع المكوّنات المعرفية، وتضاؤل المكوّنات المادية، وهي من خصائص ثقافة مجتمع المعرفة وعلومه .وتعني المعرفة إجمالاً: الاتّصال، والإدراك، والوعي، والانطباع العقلي والوصول إلى الحقائق .

لقد أصبح مجتمع المعرفة محوراً في المجتمعات الحديثة وفي التنمية الاقتصادية ، وفي نشر العلم والتمكّن من جميع أنواع المعارف، حيث التأثير موضوعه الإعلام، الذي تستطيع بواسطتها الإعلانات والإشهارات توجيه الرأي العام عبر وسائل الاتّصال القويّة، وحيث المعرفة هي رأس المال القائم على الأفكار والخبرات والممارسات الأفضل، كما يتسّم مجتمع المعرفة بقيام منظومة مجتمعية تتّسم بثقافة تجعل من نفسها صدى للثورة المعرفية والتكنولوجية، مما يفتح لها أفقاً لتواكب مركبة التاريخ، ولتستوعب قِيَم التجديد الحضاري ولتبلوَر حداثة حقيقية؛ حيث يعدّ مجتمع المعرفة فرصة لتحقيق أهداف الألفية المعاصرة، نظراً لما يعيشه العالم من واقع متميّز بالديناميكية وسرعة التغيّر والتسلّح بالمفاهيم. وتحكم هذه الأمور توجّهات التكتلات الاقتصادية الكبيرة، وقوّة الإعلام، والثورة المعلوماتية والثقافية لا غير. وإلى حدّ هذا الأمر يمكن أن نسأل أنفسنا هل ننتمي إلى مجتمع المعرفة؟ فمن باب الصراحة نحن في الخطوات الأولى لعالم مجتمع المعرفة؛ والذي يتطلّب :

1 . إنتاج التقنيات المعاصرة، واستعمالها في مجالات المعرفة العلمية والأدبية والخدماتية،

2 . القضاء على ظاهرة الأمية،

3 . وصول النخبة إلى موقع القرار،

4 . القرار للمجتمع المدني،

5 . المجتمع يكون مفتوحاً على مؤسّساته،

6 . استقلالية السلطات الثلاث عن بعضها،

7 . اعتماد الحكومة الإلكترونية في المعاملات اليومية،

8 . تحقّق دولة الثقة .

فإذا دقّقنا في هذه الأركان التي ذكرها المختصّون، نجد أنفسنا نخطو نحو مجتمع المعرفة؛ حيث ظاهرة الأمية ما تزال تفعل فعلها، وما تزال التقنيات المعاصرة لا تستعمل عندنا إلا لمّا تصبح عند غيرنا من سقط المتاع، وأشياء أخرى تحتاج إلى تفعيل داخلي نفسي، في ظلّ غياب شبه كلّي لأنماط التعامل الإلكتروني في الإدارة ولهذا نرى موقعنا في مجتمع المعرفة بعيدين عن المجتمعات المتقدّمة، ولكن ليس ميئوساً منّا عدم اللحاق .

3 . اللغة العربية في مجتمع المعرفة :

لا بدّ من الإقرار بأنّ اللغة عنصر أساس في مجتمع المعرفة، باعتبارها الذات، وهي الهُوية والأداة لصنع المجتمع، فثقافة كلّ أمة كامنة في لغتها، وفي معجمها ونحوها ونصوصها، كما أنّ اللغة هي المنظار الذي من خلاله يُدرك الإنسانُ عالمَه، وهي العامل الحاسم الذي يشكّل هُوية الإنسان، ويضفي على المجتمع طابعه الخاص، ولا يتأتّى هذا إلا عن طريق التعليم العالي للعلوم باللغة الأم، لغة القوى العاملة. وفي ما يتعلّق باللغة العربية، نعلم بأنّ فجوة كبيرة تفصلها عن عالم المعرفة، وهذه المعرفة مرشّحة للزيادة إذا لم يقع تدارك الوضع؛ حيث تواجه اليوم أبواب مجتمع العلم الخارق للحدود، كما تواجه تحدّيات قاسية وأزمة حقيقية تنظيراً وتعليماً واستخداماً، ويضاف إلى هذه القضايا تلك المرتبطة بثقافة المعلوميات ، ومعالجة اللغة آلياً بواسطة الحاسوب، ومضايقات الكِبْتار، حيث تشير الإحصائيات المتعلّقة بوجود اللغة العربية على الإنترنت أنّها في الرتبة السادسة عشرة، وهذا بسبب عزوف الدول العربية عن استخدام اللغة العربية في

مجال العلم، وهذا ما يشير إلى خطورته الباحث في الأسكوا ♥محمد مراياتي" :إنّ عزوف الدول العربية عن تعليم العلوم والتكنولوجيا باللغة العربية يؤثّر في نموّها الاقتصادي والاجتماعي، وفي توجّهها نحو مجتمع المعرفة ."[4]كما يقول المهدي المنجرة بأنّه لا توجد أيّةُ لغة في العالم انطلقت في المجال التكنولوجي دون الاعتماد على اللغة الأم، وهذا يحصل حتى مع إسرائيل والصين والهند وإيران، بعد أن حصل مع اليابان .[5]ورغم تلك الجهود والاستثمارات الكبيرة التي تضعها الدول العربية للتوجّه نحو (مجتمع المعلومات) ولكنّها لن تكون مجدية إذا لم يرافقها وجود المعرفة والمعلومات العلمية والتكنولوجية باللغة العربية؛ وبذا يمكننا تأكيد ضرورة انغماس وممارسة اللغة العربية في ميدان التكنولوجية، باعتبارها رأس مال بشري مثمر للاقتصاد وللمجتمع، ولا يجب اعتماد التكنولوجية بشكل دائم عن طريق الترجمة؛ بحيث إنّ الجهة التي تستثمر في تعلّم اللغة الأجنبية لتستورد لا لتصدر، فهي الخاسرة، عكس ما إذا كان الاستخدام الفعلي والمباشر للغة العربية فهو أكثر فائدة، دون أن ننكر ما تقدّمه الترجمة لنشر لغة العلم والتكنولوجية من فضل وتقدّم، فهي تزيد من سرعة وحجم نقل المعرفة، ولا تقلّل من تكلفتها، ويضاف إلى ذلك أنّ حركة الترجمة في الوطن العربي ما تزال مشوبة بالفوضى والضّعف. وإنّ اللحاق بالركب لا يكمن في الترجمة، بل في توطين المعرفة وإنتاجها ووضعها في وعائها اللغوي للغة التي يتلاغى بها القوم (اللغة الأم،) فالشخص الذي ينقل من اللغة الأجنبية يكون انتقل إليها، وهو زائد فيها وناقص من لغته الأمّ، عكس الشخص المبدع في لغته فهو مستزيد لها وعامل على تطويرها، كما أنّ المنجزات والمبتكرات التي نقلناها من الغرب، هي نقل مؤقّت، لأنّها لم تصاحبها النقلة العلمية، ولم تصاحبها التنمية السلوكية التي صنعتها، ولا مجتمعات المعرفة التي توظّف هذه المبتكرات بفعالية في خدمة التنمية المحلية، ولذا لم نتقدّم، لأنّنا لم نحصل على التقنيات بلغتنا، ولم نحاول توطينها.

من الضروري بمكان الخروج من طور التأزّم والصراع مع اللغات والثقافات الأخرى، والإقرار بأنّه لن ينجح الأخذ باللغات الأجنبية أو مشروع الوصاية اللغوية على العربية، فلا بدّ من الإشادة بطبيعة التطوير الذي تشهده اللغة العربية، وضرورة التجديد المستمر لمحتوى المفردات والبرامج المتّصلة بتعليم اللغة العربية في جميع مراحل التعليم، والابتعاد عن المعالجة النظرية للمشكلات اللغوية التي تعاني منها مجتمعاتنا العربية، وتنمية الوعي الثقافي والاجتماعي تجاه اللغة العربية، فلا نتصوّر تنمية حقيقية في المجتمع العربي دون استعمال طبيعي للغة العربية في مختلف القطاعات، حتى تغدو جزءاً من حياته اليومية، ومن حياة العامل البسيط والإداري والمسؤول" فمن المحال أن تنقل الأمة كلّها إلى العلم، لكن من الممكن أن تنقل العلم كلّه إلى الأمة، بإتاحته لهم باللغة القومية، " ولا يعني توظيف العربية شلّ اللغات الأجنبية، بل إن الضرورة المعاصرة تتطلّب امتلاك لغات معاصرة، فهي مطلب حضاري لكلّ مثقف، خاصة اللغة الإنجليزية، وإنّه لا بدّ من الانفتاح على الثقافات الإنسانية من خلال حفز التعريب والترجمة إلى اللغات الأخرى، والاغتراف الذكي من الحضارات غير العربية. إنّي لست ضد الفرنسية، ولكنّي ضد الفَرْنَسَة التي أخذت محلّ اللغات الوطنية، فالاعتراض الذي أراه هو أنّ الفرنسية أضحت لغة التعليم الأساسية، فما موقف التلميذ عندما يتعلّم المواد الأدبية بالعربية والمواد العلمية بالأجنبية، ألا يستنتج قصوراً في لغته، ألا يضعها تلقائياً في سلّة المهملات، ألا يرى أنّ مستقبله مرهون بالتحكّم في اللغة الفرنسية أكثر من لغته، فهل ما تزال مسألة صعوبة العربية تطرح في القرن الواحد والعشرين؛ أين حلّت كثيراً من القضايا اللغوية، والعهدة فقط على التقاعس الذي يبديه البعض، "فلا صعوبة كتابة اللغة اليابانية أو الصينية أو الفيتنامية، ولا صغر حجم بعض الدول الأوربية، ولا فقر بعض دول آسيا، ولا شحّ التراثيات في اللغة

التركية، ولا موت اللغة العبرية على مدى عشرين قرناً، حالت دون أن تكون اللغة القومية هي لغة تدريس العلوم ."[6]وإنّ تقاعسنا عن تعليم العلوم باللغة العربية هو الذي أدّى إلى هذا التدهور، وكان علينا النهوض باللغة العربية، من خلال نشاط بحثي ومعلوماتي جاد، واستحضار إمضاءات التراث العربي وإدماجها في لحمة النموذج المعرفي المعاصر، أمام إنجازات الحاضر التي يعرفها مجتمع الإعلام الحديث، ولذا لزم التفكير لتأهيل العربية وتطويعها، لاستيعاب التدفّق الحضاري الحديث، ولتكون في مستوى التغيّرات المجتمعية التي تقلّب معالم الحضارة ووسائلها باستمرار .

نصّت دراسة للبنك الدولي والتي شملت 60 دولة أكثر من 60 ألف جهة انتهت إلى أنّ حاجة الدول النامية لتحقيق النّمو الاقتصادي تكمن في رفع مستوى المعرفة لأفراد المجتمع، وليس إلى مساعدات إنسانية، حيث يشير تقرير الأمم المتّحدة حول التنمية البشرية العربية لسنة 2003 أنّ1 ، 6من السكان العرب لديهم إمكانية استخدام الإنترنت، بالمقارنة مع 69 % في بريطانيا، وأنّ هناك 18 جهاز كبتار لكلّ ألف شخص عربي مقابل 78 جهاز كبتار لكلّ ألف شخص في العالم، وفي آخر إحصائية تقول إنّ عدد العرب المستخدمين للإنترنت هو 26 مليون من أصل 300 مليون، أي ما نسبته 11%. رقم فظيع ينذر بالخطر؛ حيث يشير ذات التقرير إلى أنّ ما يجعل العرب دون مستوى التحدّي في بناء مجتمع المعرفة هو عدد الصحف في البلدان العربية يقلّ عن 53 صحيفة لكلّ ألف شخص، مقارنة مع 258 صحيفة لكلّ ألف شخص في البلدان المتقدمة، وهذا كلّه بسبب ما يعانيه البحث العلمي من انخفاض في الإنفاق، وغياب الدعم المؤسّسي؛ حيث تخصّص كلّ الدول العربية مجتمعة نسبة 1 % من دخلها القومي، في حين نرى الدول الأخرى لا تقلّ نسبتها عن 3 %، دون الحديث عن عدم إيلاء البيئة العلمية المواتية شروط الإنتاج، بَلْهَ الحديث عن التهميش، وعن قتل الرغبة في الإنجاز والانتماء، وعن الشعور باللامبالاة... صعوبات

ومشكلات تحتاج إلى علاج شاف، للقضاء على التخلّف العلمي والمعنوي الذي ترسّخ فيها وتعشعش واستفحل، فمتى نستفيق من غفوة تخلّفنا ! ألا يمكننا الخروج من فكرة الترييف، وبناء اقتصاد مبني على المعرفة، فالجزائر اليوم تتوفّر على عدة مزايا؛ إمكانيات مالية ضخمة، طاقات شبانية هامة، مناخ للأعمال قابل للتحسّن، الخروج من الأزمات الاقتصادية ...علينا فقط الخروج من تبعية المحروقات، لأنّه على قدر ما يكون البلد تحت ضغوط معيّنة، على قدر ما سيعمل على تجسيد إصلاحات تصبّ كلها في بناء الاقتصاد المعرفي، وقد دلّت العديد من التجارب أنّ البلدان التي لا تمتلك ثروة بترولية، وهي التي تمكّنت من بناء اقتصاد معرفي كماليزيا والهند وكوريا الجنوبية والصين واليابان. كما أنّ مشروع إيتانا أكّد المسألة المتمثّلة في ردم الهوّة المعرفية بين بلدان العالم المتطوّرة والعالم العربي، عن طريق نشر المعرفة بشكل فعّال وعلى نطاق واسع، وترجمة الأعمال الكلاسيكية للحضارة الغربية في العلوم الإنسانية ، وترجمة الأعمال التي تتعلّق بالعولمة وبناء المجتمع المدني. كما نشر الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي وبرنامج الأمم المتحدة UNDP تقرير التنمية الإنسانية لعام 2003 نحو إقامة مجتمع المعرفة، والذي يتركّز حول سبل تجاوز المعوّق الرئيس هو نقص المعرفة" ولأنّ مجتمع المعرفة مرتبط أشدّ الارتباط باقتصاديات المعرفة كمصدر هام لثروات الأمم اليوم، فإنّ تنمية الرأسمال البشري يعتبر مطمح الأمم الحيّة، لذلك تعدّ رعاية الإبداع وترقيته من بين المتطلّبات الحالية للمجتمعات المتطوّرة، نظراً لما لهذا الأمر من أثر إيجابي على المستويين الاقتصادي –الاجتماعي والثقافي – الحضاري"[7]، وأشار تقرير الأمم المتّحدة لعام 2002 حول التنمية البشرية في العالم العربي بأنّ أهم نقيصة تعانيها الدول العربية هي المعرفة، وتتمثّل في ضعف ونشر وإنتاج المعرفة، على الرغم من وجود رأس مال عربي مهمّ، ويمكنه في ظروف مغايرة أن يكوّن بنية أساسية قوية لقيام نهضة معرفية، وينتهي التقرير إلى رؤية إستراتيجية لإقامة مجتمع المعرفة في البلدان العربية تنتظم حول خمسة أمور وهي:

1. إطلاق حريات الرأي والتعبير والتنظيم، وضمانها بالحكم الصالح،

2. إنّ المعرفة لا تنمو في فراغ، بل تتأثّر منظومة المعرفة بمحدّدات مجتمعية ثقافية واقتصادية وسياسية، ومن المكوّنات الثقافية الهامة في تناول قضية المعرفة اللغة العربية؛ إذ أنّ اللغة محورية في منظومة الثقافة، لارتباطها بجملة مكونات الثقافة من فكر وإبداع وتربية وإعلام وتراث وقيم ومعتقدات

3. يجب أن يكون المسعى عربياً لاستعادة المكانة التي بدأت تفتقر إليها العربية في عصر لا يعترف بالكيانات المفتّتة، ولا يفسح مجال المشاركة إلا أمام القادرين على التنسيق بين قدراتهم،

4. يجب التنبيه إلى خطر إهمال اللغة كمرتكز للتقدّم والتماسك الثقافي والعلمي والاقتصادي والسياسي، فكلّ بلاد العالم تدرّس العلوم بلغاتها القومية، سعياً إلى توطين المعرفة وتعميمها،

5. إنّ المسؤولية تقع علينا جميعاً، ولقد أصبح ضرورياً الاستعانة بالتقنيات العلمية الحديثة ودراسة الوسائل التي تتبعها اللغات الأخرى، وتكثيف الترجمات، وإعداد معاجم المصطلحات في فروع المعرفة عبر إشراك المجامع اللغوية والمدارس والجامعات والهيآت الإعلامية وجمعيات حماية اللغة، وتفعيل القوانين الصادرة بشأن حماية هذه اللغة في المكاتبات الرسمية واللافتات التي تشوّه وجه المدن العربية بالكتابات الخاطئة.

فإلى متى تغفل البرامج العربية للإصلاح الاقتصادي توطين التكنولوجية بالعربية وإلا متى يبقى أولو الأمر يتلهّفون على فرض اللغات الأجنبية، ظانين أنّ ذلك سيقضي على ضعف مستواهم، بل لن يتمكّنوا من تطوير تفكيرهم إلا من خلال دراستهم للمواضيع إلا باللغة العربية، وهذا ما تؤكّده كثير من الدراسات التجريبية، ولماذا لا نمعن النظر في البديل العراقي في التحكّم في التكنولوجية، ألم يتحكّم في محو الأمية ذات يوم، ولماذا لا نقرأ تجارب اللحاق

بالرّكب العالمي في منجزات الصين واليابان وماليزيا والهند ...أليس حقيق بنا تمثيل بعض خصوصياتها، أليس من حقّنا العمل على توطين المعارف العلمية وتبيئتها بما ينسجم مع الواقع العربي، لتسهم في تفعيل جهود الفئات المستنيرة في العالم العربي في البناء والعطاء، بما يسهم في تعزيز عملية النّمو الإبداعي والحضاري.

إذا كنّا تأخّرنا كثيراً، فالأمر لم يعد يحتمل المزيد، وإنّنا غادرنا قرناً مليئاً بالإنجازات، ودخلنا قرناً حاسماً فيه تحدّي المعرفة، وهو استمرار لتحدٍ سابق في مجالات الحداثة والتقدّم العلمي والتكنولوجي، فلم يحصل لنا شرف المشاركة في حضارة البخار، فهل نبقى سلبيين في حضارة الكِبتار، وحضارة المعلوميات المرمّزة ، وهل نبقى متفرجين والعالم يتّجه نحو اقتصاد المعرفة الذي تزداد فيه نسبة القيمة المضافة بشكل كبير، وأصبحت فيه السلع المعرفية أوسع المعلومات من السلع الهامة ، وتأخذ اللغة العربية شرخاً أكبر من السابق، رغم أنّها أصبحت مرتبطة بالاقتصاد والتنمية أكثر من أيّ وقت مضى، فاللغة العربية في تكنولوجيا المعلومات تقدّم فرصاً اقتصادية للوطن العربي، كما أنّ الإخفاق فيها محفوف بالمخاطر .وهكذا يجب التأكيد مراراً بأنّ الثورة العلمية الهائلة التي تصاحب مجتمع المعرفة، لابدّ لها من توفّر نظام تعليمي يحقّق لها الجودة، ويمنح الفرصة للحصول على خبرات تعليمية تلبّي الاحتياجات الآنية والمستقبلية، لدفع عجلة التنمية الشاملة، فأصبح التعليم لا يرتبط بالمدرسة وفترة التلمذة فحسب، ولكنّه تعليم مستمر، يسمح بحقّ الاختيار وحرية الاختلاف، وحيث أصبح المحرّك الأساس لمنظومة التنمية الاجتماعية الشاملة ، والوسيلة الفاعلة لتمكين الإنسان من الخبرات والقدرات، ولإيجاد فرص العمل المتاحة في الإنتاج.

إنّ وقع الثقافة العربية المعاصرة في خضم فيض الأفكار، والصوَر والقِيَم القادمة المواكبة لمجتمع المعرفة، يسمح لي بأن أعيد طرح السؤال الذي أثاره

شكيب أرسلان: لماذا تراجع العرب وتقدّم غيرهم؟ وتفسير العروي للأزمة الثقافية المعاصرة بأنّها اختلال العلاقة بين القول والفعل، بين التوفيقية الملتبسة واقتصاد القدرة على الحسم .

إنّ العولمة اللغوية التي نعيشها ونحسّها تعني في إطارها الخاص، هيمنة لغة قوية اقتصادياً وإنتاجياً ومعرفياً على اللغات الضعيفة، ومنها اللغة العربية، فهل يعني ذلك أنّنا في المستقبل القريب خارجون من جنة المعرفة؛ حيث الشرط الأساس ليس استيراد المعرفة أو استعمالها بكفاءة، بل إنتاجها كقيمة مُضافة للإبداع والابتكار، وقاعدة ارتكاز مهمّات التنمية الإنسانية، ونعلم أنّ اللغة العربية تفتقر إلى المعارف العصرية، وبالتالي ليست طريقاً آمناً للوصول إلى بناء المجتمعات المعرفية المعاصرة، وإلى العيش بأمان في مجتمع تغمره آليات ترفع من سوّيته، وتجعله يعيش عصره، ومجبراً عند ذلك أن تنعدم وظائف اللغة الاقتصادية، وهذا يعيق اللغة العربية، فتعيش على هامش التاريخ، وهنا يضعف الطالب والمطلوب، فما موقفنا نحن العرب إزاء هذا الشرخ الملموس، وما السبيل إلى الرُّقي بلغتنا وجعلها تدخل الجانب العلمي والاقتصادي، والوقوف أمام اللغات المنتجة للعلم؟

لا يجب أن نعيش على التاريخانية، ونعود إلى اتّهام اللغة العربية على أنّها سبب التخّلف، بل إنّ العائق في ذويها الخاملين الذين لم يعملوا على ترقيتها، ولم يجعلوها تعيش المعاصرة، أولئك الشُّداة المقصّرين العاجزين عن العمل، والذين عسعس فيهم التردّد والتراجع، وعشعش فيهم الخمول والتكاسل، وقد كان هذا سبباً في أنّها أبعدوها من الجوانب العلمية في المنظومات العربية، وقصّروها على الجانب الأدبي والتاريخي والديني، ورسّخوا فينا شعار: العربية لغة التأبين والأدب الفصيح والشعر. إنّها مغالطة كبرى نريد من جيل القرن الواحد والعشرين أن يرفع هذا اللّبس، وأنّ كلّ لغة يمكن أن ترتقي إذا وقع الاهتمام بها، وخاصة اللغات

الطبيعية والتي لها القوّة الداخلية والمواصفات العلمية التي تدخل غمار العلمية دون عناء، مثل العربية .

4 . ما الطريق إلى مجتمع المعرفة؟ إنّ المدخل الأساس لمجتمع المعرفة هو الارتقاء بمؤسّسات نشر المعرفة، ودعم مراكز البحوث، والرفع من نسبة الحائزين على براءة الاختراع، ومدى استعمال المجتمع للإنترنت على نطاق واسع، والابتعاد عن الورق في التخاطب، ونسبة العمالة في مجال التكنولوجيا، والتركيز على المعلومة المرسلة إلكترونياً، ويضاف إلى هذا عقد مؤتمرات الفيديو والدردشة الصوتية والمصوّرة... وإنّ الطريق إلى مجتمع المعرفة يجب أن ندخله بلغتنا، فلا مكان في هذا المجتمع للغة لا تتقبّل توظيف التقنيات المعاصرة، وبذا يحتاج مجتمع المعرفة إلى الوعي التامّ للمعلومات بلغة القوم، على أن تكون هذه اللغة منتجة في أبعادها للمعلومات، وإلى إنتاج أنظمتها ومرافقها، وقد يقبل بالمعلومة المترجمة، ولكنّها لا تستطيع وحدها التأسيس لمجتمع المعرفة، والذي يتطلّب أن تكون المعرفة وتطبيقاتها بلغة القوم .ومن هنا فنرى أنفسنا أمام أمر خطير، وهو النقص الكبير الذي تعانيه لغتنا في جانبها العلمي، وكيف يمكن استدراك التأخير، وكيف يمكن إعداد إنسان العصر لمواجهة متطلّبات الحياة في ظلّ العولمة؛ التي يعتمد فيها المعلومات والحاسبات والشبكات والاتّصالات .

الخاتمـــة: يجب أن نعلم بأنّ البقاء للأعلم في مجتمع المعرفة؛ باعتبار اللغة وعاء المعارف والعلوم، ووسيلة التأثير في العمل والشعور، وأداة التفهّم والإبداع، وأنّ هُوية الأمة هي لغتها، كما أنّ المجتمع المعاصر يقرّ بالحقوق اللغوية والديمقراطية، والتي لا تتحقّق لدى شعب لا يمكنه التحدّث علمياً بلغته، ولا يستعمل الوسائل المعاصرة في حياته اليومية، وبلغته الأم والمعهودة، فنحن

في وضعنا الحالي أحياناً رؤوس بلا أجساد، وأحياناً أجساد بلا رؤوس؛ باعتبارنا قليلي استعمال لغتنا في العلوم، وأنّ أكثر نخبتنا لا تستعمل لغة الشعب، فهم الرؤوس التي لا تلتقي بالأجساد في الأفكار والتوجّهات المشتركة إلى جانب أنّ اللغة في عمومها ليست أداة للاتّصال واكتساب المعرفة فحسب، بل مظهر أساس للذاتية الثقافية، ووسيلة لتعزيزها، سواء بالنسبة للفرد أم الجماعة، وهذا ما أقرّته اليونسكو عام 2003م، إلى جانب تحديد أهمية أدوار اللغة العربية ووظائفها في تشكيل الهوية العربية التي تتنامى عبر الثقافة الأصيلة والأصلية، فمن هنا نروم إستراتيجية وطنية أشبه بالدستور الذي يجب أن تتبنّاه وزارات ذات العلاقة بالتربية؛ وتأخذ في الحسبان الثغرات ذات العلاقة بالإصلاح التربوي ذي البنية العميقة، وما له علاقة بتكنولوجيا العلوم، وكيفية استدراك التأخير، وتعمل على تعميم اللغة العربية في قضايا العلم .

وأرفع التوصيات التالية:

1 . الرفع من سويّة اللغة العربية بالاهتمام بترقيتها علمياً،

2 . محو كلّ ما يعترض بناء مجتمع المعرفة في ظلّ التحدّيات المعاصرة،

3 . العمل على توطين العلم، وبناء قدرة ذاتية في البحث والتطوير الثقافي في جميع النشاطات المجتمعية،

4 . العمل على ردم الفجوة المعلوماتية، وإنتاج نموذج معرفي ذي خصوصية ثقافية عربية،

5 . البدء بإقامة هياكل الحكومة الإلكترونية .

مجتمع المعرفة والخصوصيات الثقافية والحضارية العربية هل من تعارض؟

أ.د/ شوقى جلال عثمان [*]، مترجم
وعضو المجلس الأعلى للثقافة – مصر

مضى النصف الثاني من القرن العشرين مشحونًا بعوامل تحول جذري غيرت المشهد العام للعالم، ووضعته على أعتاب مشهد جديد، ويعلن نهاية منظومة ومخاض التحول إلى منظومة عالمية جديدة.... عالم جديد يتشكل مع نهاية الألفية، توافقت عوامل عدة لتؤكد النهاية والبداية.

نهاية حقبة الاستعمار الرأسمالي الصناعي الأوروبي؛ وبداية استقلال حركات التحرر الوطني التي حقق بعضها نجاحًا وأخفق البعض الآخر.

صعود مجتمعات شرق وجنوب آسيا لتؤكد حضورها المؤثر على أصعدة السياسة والاقتصاد والفكر، وإخفاق مجتمعات الشرق الأوسط الكبير وأفريقيا، باستثناء جنوب أفريقيا.

سقوط اليسار واليمين التقليديين في الفكر الماركسي والليبرالي الغربي.

وشهد العقدان الأخيران:

جهود الغرب الأقصى (الولايات المتحدة الأمريكية) لترسيخ وراثتها لسلطة وهيمنة الغرب باسم النظام العالمي الجديد، أو باسم العولمة.

---

[*] مفكر مصري وعضو هيئة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة بمصر، من مؤلفاته "سوسيولوجيا الفشل العربي" وله العديد من الترجمات منها الثقافة والتقدم لصموئيل هانتينغتون

وشهد العقدان الأخيران أيضًا ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي حفزت إلى نشوء المعلوماتية كأساس مادي لمجتمع جديد هو مجتمع المعرفة. وأحدثت ثورة تكنولوجيا المعلومات في سياق التحولات الآنفة الذكر ثورة بعيدة المدى طالت جذور الثقافة، والفكر ، والاقتصاد، وعلاقات الإنتاج ، وقوى الإنتاج، والبنى الاجتماعية، وفائض الإنتاج المعرفي، ووظائف الأنشطة الاجتماعية من تعليم وغيره، وكذا مفهوم ودور وحدود الدولة. ونظرًا لأن الثقافة أو التراث الثقافي هما محور وأداة ثورة تكنولوجيا المعلومات، ونظرًا لتباين المجتمعات في هذا الشأن، فقد عادت الثقافة، أو الخصوصية الثقافية والحضارية للمجتمعات لتحتل الصدارة في الحوار والصراع والسعي للهيمنة.

ويعبر عن هذا مانويل كاسيلز في كتابه" عصر المعلومات "بقوله" :أصبح توليد الثروة وممارسة القوة وابتكار رموز ثقافية رهن القدرة التكنولوجية للمجتمعات والأفراد ، حيث تكنولوجيا المعلومات تمثل قلب هذه القدرة.

وأصبحت تكنولوجيا المعلومات أداة لا غنى عنها من أجل الإنجاز الكفء لعمليات إعادة الهيكلة الاقتصادية الاجتماعية، وظهور العمل الشبكي باعتباره القوة الدينامية للنشاط الإنساني.

واتخذت المؤسسات والحكومات في الاقتصاديات الرأسمالية عددًا من الإجراءات والسياسات أفضت إلى رأسمالية من نوع جديد: عولمة الأنشطة الاقتصادية المحورية والمرونة وإدارة القوى... رأسمالية مرنة سريعة الحركة والتنقل مترابطة شبكيًا، وتملك إمكانات الاتصال عن بعد، وتخزين ومعالجة المعلومات، وقرارات مركزية ولامركزية في آن واحد.

وصحبت هذه التحولات عملية نشوء حركات اجتماعية قوية انتشرت فجأة في كل أنحاء العالم الصناعي هي حركات ثقافية تنشد تغيير الحياة في كل مظاهرها وليس السلطة فقط، ونشرت هذه الحركات أفكارًا جديدة، وتولدت عنها

أحلام طموحة متباينة الأهداف من مثل حركات الحفاظ على البيئة، والحركات النسوية، والدفاع عن حقوق الإنسان، والحريات الجنسية، والمساواة العرقية، وديمقراطية الشعوب.

وطبيعي تمامًا أن يتسع نطاق المطالبة بالحريات وتطبيق الديمقراطية ليمثل تحديًا قويًّا للنظام الأبوى (البطريركى) سواء بالنسبة للأسرة، أم بالنسبة لنظم الحكم، وكلاهما ثقافة سائدة في العديد من المجتمعات غير الصناعية، ومن بينها المجتمعات العربية.

وتغير مفهوم الطبقة الاجتماعية، ومن ثم تغيرت طبيعة التحالفات وشكل ومحتوى الصراعات الداخلية الاجتماعية. لم يعد الصراع الطبقي، كما ذهب ماركس في الماضي، صراعًا بين البروليتاريا، العمال الكادحون الأجراء، وبين أصحاب الأعمال الأفراد الرأسماليين المستغلين داخل حدود الوطن، ولكن تغيرت طبيعة المُنْتَج وأدوات الإنتاج وهما المعلومة/المعرفة/العمل الذهني المكثف، ومنتجي المعلومة/المعرفة، والمهن المساعدة أو المصاحبة من مديرين ومهنيين وتقنيين. ومن هنا أصبح هؤلاء، وليس البروليتاريا الوطنية، هم قوى الإنتاج في علاقات كوكبية شأن الشركات الكبرى متعدية القوميات التي تمثل شبكات كوكبية. وأفضى هذا إلى تصدعات اجتماعية أساسية وحقيقية مميزة لمجتمع المعرفة. وتتمثل هذه التصدعات فى حالة التشظي الداخلية لقوى العمل بين منتجين معلوماتيين وقوى العمل العامة العادية التي كان الظن في السابق أنهم هم القوى المحركة للتاريخ.

ونشأت مع هذا أيضًا ظاهرة الإقصاء الاجتماعي لقطاع مهم في المجتمع مؤلف من أشخاص مستبعدين انتهت فترة صلاحيتهم الحضارية وأسقطهم المجتمع الجديد من حسابه وأضحوا مجرد عمال مستهلكين. ونشأت تحالفات بين بؤر أو قوى شبكية على الصعيد العالمي بين المنتجين المعلوماتيين وأيضًا في

المقابل بين النخب فى المجتمعات المختلفة، وكذا بين الشركات الكبرى. وأدى هذا إلى تحول جذري في مفهوم الديمقراطية النيابية ودور الدولة وسيادتها ومعنى التفويض الاجتماعي الذي ربما يفضى إلى ما يسميه مانويل كاسيلز الدولة الشبكية .ونشأت كذلك تحالفات شبكية عالمية بين أبناء النخب.

وأصبحت الثقافة هي منبع القوة والأساس الذي تقوم عليه التراتبية الاجتماعية والعالمية في عصر مجتمع المعرفة، وهى أيضًا رأس الحربة في معارك القوة في عصر المعلومات. ذلك لأن المعارك الثقافية سوف تدور داخل وعن طريق الميديا والقدرة على فرض رؤى وسلوكيات وقيم جديدة، فضلاً عن التلاعب الرمزي لحساب القوى المختلفة المتصارعة كوكبيًّا. صفوة القول إن العالم يصبح ساحة صراع ثقافي ومجالاً لانتخاب ثقافي على صعيد عالمي، إنه صراع بقاء أداته ومحوره الثقافة.

ويجمل مانويل كاسيلز صورة التحول الثقافي الجديد بقوله" :طوال التاريخ تولدت الثقافة من خلال شعوب مشاركة معًا في الزمان والمكان، يجمعهم زمان ومكان واحد ."وفي ظروف حددتها علاقات الإنتاج والقوة والتجربة. وتعدلت الثقافة نتيجة مشروعاتهم وحروبهم بين بعضهم لكي يفرض كل مجتمع على الآخر قيمه وأهدافه ونظراته. .... معنى هذا أن التشكيلات أو التصورات الزمانية . المكانية كانت دائمًا حاسمة لمعنى أي ثقافة، وللتطور الفارق لكل ثقافة.

ولكن في ظل الإطار الفكري العام أو البارادايم المعلوماتي سوف تنشأ ثقافة جديدة نتيجة تجاوز الأمكنة وطمس معالمها، ونتيجة إفناء الزمن بعد أن كثفت التكنولوجيا الزمن في لحظات قليلة تفرغ المجتمع من تعاقبه أو تسلسله حسب إدراكنا التقليدي، وتفرغ التاريخ من تاريخيته وتعيش المجتمعات في

فضاء التدفقات وفي الزمن اللا زماني أو في ثقافة الخائلية الواقعية real virtuality والآنية المباشرة .

وسوف يكون الاتصال عبر الكومبيوتر متجاوزًا الفضاء والزمان التقليديين عاملاً حاسمًا في المواجهة الثقافية وفي صوغ ثقافة المستقبل .وطبيعي أن يكون هذا الاتصال طليقًا يحفز على المشاركة الحرة وذا مضمون أو محتوى منافسًا أو كُفئًا يؤهله للمشاركة والبقاء .إنه مجتمع الحوار الكمبيوتري في شفاهية من نوع جديد، وهو أيضًا مجتمع التوثيق الكمبيوتري، إن مجتمع المعرفة بعبارة أخرى هو المجتمع التفاعلي على الصعيد الكوكبي.

ويستلزم مثل هذا الحوار حضورًا ذهنيًّا، وتساميًا عقيديًّا، وقدرة على التكيف الآني، والحسم بين المتناقضات، ويستلزم ابتكارًا وإبداعًا فوريًّا، بمعنى تجاوز الحوار المعتمد على التقليد وعلى شهادة التاريخ أو المرجعية الكاريزمية للسلف.

ويجري الاتصال داخل مجتمع المعرفة على صعيد كوكبي وفق آلية ونهج جديدين، مما يعنى التحول إلى ثقافة جديدة عالمية الأفق والمستوى.

والاتصال هنا يصوغ حتمًا شكل الثقافة، لأننا عادة لا نرى الواقع كما هو، بل كما تصوره مجازًا اللغة، إذ الثقافة/اللغة/ الرمز يمثل حجابًا بين الإنسان/المجتمع والطبيعة. وتخلق الصور المجازية التي تجسدها اللغة محتوى ثقافتنا،، ونظرًا لأن الثقافة تتوسط عملية الاتصال وتؤثر فيها وتحدد نهجها وهدفها فإن الثقافات نفسها، أي منظومات المعتقدات والقوانين التقليدية في المجتمعات والتي صيغت تاريخيًّا في صورة منظومات، تتحول بشكل أساسي، وتتحول أكثر فأكثر مع الزمن بفعل المنظومة التكنولوجية الجديدة.

ولكن حري أن نوضح أن نشوء مجتمع المعرفة، وبسبب اقترانه بالعولمة، لا يعني سيادة التجانس الثقافي كوكبيًّا أو هيمنة ثقافة ما كوكبيًّا

باعتبارها ثقافة العصر، ذلك لأن المجتمعات سوف تؤثر وتستجيب في صورة ردود أفعال على نحو مختف إزاء عمليات ومقتضيات وشروط التطوير، وفقًا للخصوصيات التاريخية والثقافية والمؤسسية لكل منها حتى وإن طال التطوير هذه الخصوصيات.

ويقول في هذا الصدد مانويل كاسيلز:

إن تنوع السياقات الثقافية التي يظهر ويتطور فيها اقتصاد المعرفة لا يحول دون وجود نموذج مشترك للأشكال التنظيمية في عمليات الإنتاج والاستهلاك والتوزيع .وسوف تكون القسمة المشتركة هي أن عمليات توليد المعرفة والنشاط الاقتصادي والسلطة السياسية والقوة العسكرية ووسائل الاتصال ستمثل جميعها تحولاً عميقًا، تأسيسًا على البارادايم أو الإطار الفكري لمجتمع المعرفة، وسوف تكون المجتمعات أكثر ارتباطا والتزامًا بمنطق العمل الشبكي للثروة والقوة والرموز العاملة وفق هذا المنطق. ذلك لأن تكنولوجيا المعلومات ستؤدى إلى دمج العالم في شبكات تواصل على أساس نفعي في صورة مجتمعات افتراضية أو خائلية متباينة. ويعني هذا بالضرورة حدة المنافسة أو المعارك الثقافية على صعيد خائلي أيضًا.

وتشير بدايات مجتمع المعرفة إلى نشوء أزمة انتقالية تفرغ مفاهيم ومؤسسات حقبة الصناعة من المعنى والوظيفة اللتين كانتا المبرر لوجودها، من ذلك مثلاً الطبقة والتمثيل النيابي البرلماني والسلطة والدولة–الأمة، إذ سنكون بصدد تكوينات طبوغرافية من نوع جديد، تتوزع فيها قوى وعلاقات المجتمع/العالم وفق أسس ومعايير ومبادئ ودلالات وظيفية جديدة، مثال ذلك أن الدولة–الأمة سوف تفقد الكثير من سيادتها نتيجة تحول علاقات قوى الإنتاج والسياسة إلى علاقات شبكية كوكبية للثروة والقوة، ويؤدي هذا أيضًا إلى

انحسار قدرة الدولة على تمثيل إقليمها وأراضيها إزاء هذا التحدي الجديد، ولذلك تصبح الهويات التي تضفي شرعية قومية على الدولة والمؤسسات الداخلية غير ذات موضوع لأنها تأسست على قيم ومبادئ الدولة–الأمة أو القومية وما سُمى بالعقد الاجتماعي، وأصبحت هذه جميعها فارغة من الدلالة في إطار البارادايم الجديد.

وطبيعي أن يفضي هذا إلى إثارة نزاعات وصراعات ثقافية وفكرية بشأن مثل هذه الموضوعات التي ترسخت محورًا لتحديد الانتماء ومعنى الكيان الاجتماعي ويتجلى هذا واضحًا في المجتمعات العربية التي ألفت الحديث عن هوية لغوية أو دينية.

ويعقب مانويل كاسيلز على هذا بقوله " : لن يحول هذا الوضع الجديد دون نشوء هويات جديدة فرعية أشبه ببؤر تتجمع وفقًا لهويات المشروع المستقبلي .project identities وستكون هويات مقاومة، ويعني هذا نشوب معارك لانهائية حول الرموز الثقافية للمجتمع، هي في جوهرها معارك انتخاب ثقافي لا نهاية لها. وطبيعي أيضًا أنه لن يفوز فيها الجامد المتصلب أو السلفي لتناقضه مع طبيعة ثقافة الحضارة الجديدة.

الخصوصية الثقافية والحضارية

تعددت بتعدد الدارسين تعريفات كلمات، ولا أقول مصطلحات، الحضارة / الثقافة / الخصوصية / الهوية... الخ. ونجد كمثال من يرى الثقافة تعبيرًا عن هوية/ماهية جبلية، ومن ثم يرى أن هناك مجتمعات أسيرة ما يسميه ثقافة التخلف، وأخرى تنعم بثقافة دينامية هي ثقافة التقدم والإبداع والعبقرية. هذا ما يذهب إليه لورانس هاريزون وصمويل هنتنجتون ونيوت جنجريتش .ومن عجب أن نجد مؤتمرات الفكر العربي الإسلامي تنزع إلى القول بثبات وجوهرية

الهوية/الثقافة/الحضارة وإن اختلفت زاوية النظر. لذلك تؤكد هذه المؤتمرات المتواترة على ضرورة ما تسميه" ثوابت الفكر والثقافة حفاظًا على الهوية والتزامًا بالتراث غير المفهوم وغير المحدد علميًّا. وتتحول مثل هذه المفاهيم والرؤى القاطعة إلى قيود تكبل حركة المجتمع وتصيب الفكر بالجمود إذ يتعين عدم الخروج عن النص.

بيد أننا نرى غير ذلك. وحيث أن التعريفات متباينة وفقًا لزاوية النظر أو لانحيازات أيديولوجية فإن لنا أن نقدم تعريفات إجرائية نراها ملائمة لمقتضى الحاجة، أعني أنها تلبي الرغبة في إزاحة النزعة السكونية والتحول إلى رؤية أو موقف دينامي يؤكد التنوع فى كل هذه المفاهيم على الصعيد الأفقي وكذا على صعيد الامتداد الزمني التاريخي لتطور المجتمعات.

الحضارة إبداع اجتماعي للأدوات المادية (التكنولوجيا) والمعنوية (الإطار الفكري/القيمي) أى الثقافة استجابة لتحديات وجودية يفرضها الواقع المتجدد بتفاعله مع الإنسان المجتمع من أجل بناء ما يسمى الموطن الملائم niche construction. وهذا تعريف دينامي، إذ يدمج الإنسان/المجتمع كأحد مكونات البنية الحضارية بسلوكه وفكره وقيمه، وباعتباره طرفًا فاعلاً في حوار نشط مع الطبيعة على صعيد إيكولوجي، ومن ثم خصوصيته، التي هي حصاد وتجلى استجاباته، من واقع حاله.

وتكون بذلك الثقافة منتجا اجتماعيا لتكييف فرص ومناخ ونهج الفعل والتفاعل والاستجابة، نظرًا لدورها في تشخيص ظواهر الحياة والوجود وتحديد سبل التعامل، إنها بذلك إطار الفعل والتفاعل ومحدد السلوك والاستجابة للتكيف والبقاء، ولهذا فإن دراسة الثقافة فى ازدهارها وانحطاطها تستلزم دراسة حالة الفعل والتفاعل والنشاط الإبداعي للمجتمع. ومن ثم فإن الفكر الاجتماعي والثقافة الاجتماعية كلاهما رهن الفعالية الإبداعية المادية والمعنوية للمجتمع،

أي الحضارة المتجددة. معنى هذا أن الفكر أو الوعي الوجودي بالذات حدث تاريخي يجري في بعدي الزمان والمكان، ونقطة انطلاقه ليست خارج الظروف الحافزة والمكيفة له، وهو الواقع بأبعاده. وكذا الذات العارفة جزء من نسيج الموضوع الذي تعرفه. ولا وجود لتراث ثقافي في المطلق خارج شروط تكونه في التاريخ، أي الزمان والمكان.... والمكان أو المجتمع ليس محايدًا في فعاليته، وليس حدثًا مكتملاً، ومن ثم الثقافة متنوعة، متعددة، متطورة ومتغيرة صعودًا وانحطاطًا.

أما عن خصوصية الإنسان/المجتمع، فهناك:

أ .خصوصية النوع... أي مستوى التطور الارتقائي

ب . خصوصية على المستوى الحضاري المحلي والعالمي والتي تعنينا هنا. وهذه هي حصاد ما اكتسبه المجتمع على مدى تاريخه فى تطويره للغة وعناصر ثقافته واستجاباته وأساليبه المميزة فى العمل وفي تنظيم البنية والعلاقات الاجتماعية ....الخ،

وملاءمة هذا كله للمسرح الجغرافي الذي تجرى عليه الأحداث. وتتميز هذه الخصوصية بقابلية التطور والتنوع والتكيف خلال علاقات العمل الاجتماعي التي يجري في إطارها ويعبر عنها النشاط الثقافي الاجتماعي.

لذلك نقول الخصوصية منتج وحدث تاريخي في إطار الفعل والتفاعل الاجتماعيين، أي العمل الاجتماعي والإبداع الفكري. إنها صيرورة تاريخية نشأة وتكوينًا وتطورًا بناء على خصوصية النوع الإنساني والظرف الوجودي، معنى هذا بحث الخصوصية في تطورها التاريخي الاجتماعي وبيان عوامل الازدهار والانحسار ومظاهرها في الحالين، لذلك ليست الخصوصية، كما يذهب البعض، انتماء لفظيًّا إلى فكر أو عقيدة وليست حدثًا اكتمل انتقائيًّا في زمن ما، بل هي

منتج وتعبير عن حالة وفعالية المجتمع وعن النشاط الإنتاجي الإبداعي والمنتج الفكري الثقافي... الواقع الحضاري المتغير.

بناء على ما سبق يمثل مجتمع المعرفة تعبيرًا رمزيًّا عن طور حضاري جديد. إنه تعبير عن ثورة تكنولوجية متمركزة حول المعرفة أدت إلى تحول أسلوب التفكير والإنتاج والاستهلاك والتجارة والإدارة والاتصال والحياة والموت . وسوف تكون له تجلياته الثقافية، وقضاياه الفكرية، ومفرداته اللغوية، ورؤاه الفنية، وسوف يؤثر بعمق فى الثقافة والخصوصية، ولكن سوف تتباين وتتنوع بتنوع استجابات المجتمع.

تحديات مجتمع المعرفة

يحدد إعلان المبادئ الصادر عن القمة العالمية لمجتمع المعلومات WSIS. جنيف 2003 وتونس 2005 . التحديات التي تواجه العالم، ومن بينه العالم العربي، في سبيل بناء مجتمع المعرفة ، وطبيعي أن المجتمعات العربية تواجه، أو تعانى، ما هو أكثر وأخطر من هذه التحديات لما تكشف عنه من تناقض مع ما يسمى" خصوصيتها الثقافية ."وهذا ما سوف نعرض له.

إن الانتماء إلى مجتمع/اقتصاد المعرفة يعني كما يقرر إعلان المبادئ:

3. تسخير إمكانات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات للنهوض بأهداف التنمية: استئصال الفقر المدقع والجوع ومحو الأمية والمساواة بين الجنسين، وتمكين المرأة والارتفاع بمستوى الرعاية الصحية، وهذه جميعها غائبة في المجتمعات العربية التي تعيش بغير إستراتيجية تطوير حضاري وطني مما يباعد بينها وبين الجهود اللازمة للانتماء لركب حضارة الصناعة وعصر الثورة المعرفية، إذ أن من بين هذه التحديات ما يراه البعض يتنافى مع الثقافة الاجتماعية والعقيدة السائدة، وتؤكد الإحصاءات أيضًا حالة الفقر المدقع علميًّا

وتعليميًّا وارتفاع نسبة الأمية وتدني الحالة الصحية بل وحرمان الغالبية من أبسط حقوق الرعاية.

4. يؤكد البند 3 عالمية كل حقوق الإنسان والحريات الأساسية في شمولها، والديمقراطية والتنمية المستدامة، واحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية (حرية المعلومات وحرية التعبير والاعتقاد وحق المشاركة الإيجابية للمواطن في إدارة ومتابعة ومراقبة شئون بلده)، وكذلك الحكم الرشيد. ويرى الإعلان أن هذه جميعها كلٌ متكامل، وغني عن البيان أن هذه جميعها شروط غائبة عمدًا وقسرًا في المجتمعات العربية، ومن ثم هي هدف جوهري يتعين إنجازه إذا شئنا التطلع إلى الانتماء للعصر.

5. يؤكد الإعلان فى البندين 7، 8 أن للعلوم دور مركزي في تطوير مجتمع المعلومات أو مجتمع المعرفة؛ وأن التعليم والمعرفة والمعلومات والاتصالات هي بؤرة تقدم البشرية، ويعرف الجميع أن العلم والبحث العلمي ومغامرة المعرفة العلمية تمثل جميعها الفريضة الغائبة فى الثقافة الاجتماعية وفي السياسة العامة للمجتمعات العربية. ويكفي أن نعرف أن المجتمعات العربية تخصص لميزانيات البحث العلمي ما لا يزيد عن 0.5% من إجمالي الناتج القومي، وهي نسبة تكاد تكفي رواتب الموظفين. هذا بينما تخصص كوريا الجنوبية 2.5% وإسرائيل 3% والولايات المتحدة 3% من إجمالي الناتج القومي .

وتؤكد الإحصائيات – كذلك – أن العالم العربي ينتج في مجال المعرفة وإصدارات الكتب تأليفًا وترجمة حوالي ستة آلاف عنوان في السنة، ويبلغ نصيب العلم فيها أقل من 2%. ولا تزيد إصدارات الترجمة عن 350 عنوانًا في السنة في كل العالم العربي، 270 مليون نسمة، هذا بينما تصدر إسرائيل حوالي

450 عنوانًا مترجمًا فى السنة، وتترجم أسبانيا (38 مليون نسمة) أكثر من عشرة آلاف عنوان في السنة مع الاهتمام بالعلم.

هذا فضلاً عن تدني مستوى التعليم الجامعي في جميع حقول المعرفة، ثم ارتفاع نسبة البطالة خاصة بين خريجي الجامعات، وأكثر من هذا أن طريق الحراك الاجتماعي مسدود أمام هؤلاء بسبب تعطل حركة التطوير الاجتماعي.

4. يقر الإعلان في المادة 24 أن القدرة على النفاذ إلى المعلومات والأفكار والمعارف والمساهمة فيها هي مسألة أساسية في مجتمع معلومات/معرفة جامع، وواضح أن مجتمع المعرفة يعني تحولاً جذريًّا عن أعراف وعادات راسخة وعن عناصر معوقة ضمن تراث ثقافي نصفه جملة بالعراقة في المجتمعات العربية التي ألفت فردية الحاكم المطلق، وألفت التمايز الثقافي بين السلطة والعامة، وأن السلطان هو الحاكم الحكيم، وكأن عراقة التراث تحول دون الإبداع والتجديد.

5. ويتكامل مع هذا ما قررته المادة 29 بشأن بناء القدرات كشرط جوهري، إذ تقرر ضرورة أن يتاح لكل شخص فرصة اكتساب المهارات والمعارف اللازمة لفهم مجتمع المعرفة، وفهم الاقتصاد القائم على المعرفة، والمشاركة فيهما بنشاط، والاستفادة الكاملة منهما.

ولن يتسنى تحقيق هذا الهدف إلا من خلال إستراتيجية تطوير حضاري وعقد العزم على التغيير الجذري والشامل لهيكل المجتمع والعلاقات الاجتماعية وتعظيم رأس المال البشري للمجتمعات العربية فى صورة الحريات والتعليم والنهوض بالبحث العلمي والصحة العامة.... إلى غير ذلك من شروط بناء مجتمع جديد.

ويتأكد هذا في ضوء ما تحدده المادة 31 من أن التعليم في ظل مجتمع المعرفة أصبح ذا مضمون ونهج جديدين، إنه ثقافة اجتماعية جديدة، إذ تقرر المادة أن التعليم المستمر وإعادة التدريب والتعلم عن بعد وغير ذلك أمور تسهم جوهريًّا فى إعادة تشكيل المواطنين كعناصر فاعلة في المجتمع الجديد. ويعود الإعلان ليؤكد في المادة 33 على ضرورة تدعيم القدرة الوطنية في البحوث والتطوير في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وتقرر كذلك المادة 34 أن الاندماج الإيجابي في اقتصاد المعرفة يعتمد إلى حد كبير على زيادة بناء القدرات في مجالات التعليم والمعرفة التكنولوجية والنفاذ إلى المعلومات.

6. وتتناول المادة 49 أمورًا تتعلق بالسياسة العامة بين الدول. ونرى الحاجة إلى توسيع نطاق تطبيقها لتشمل السياسة العامة بين الدول والسياسة العامة للدول محليًّا. ذلك أن مجتمع المعرفة يستلزم التمكين المعرفي والثقافي والسياسي للمواطن بما يسمح له فى إطار المجتمع العالمي التفاعلي، وفى خضم طوفان المعلومات، بالفهم النقدي لمحتوى المعارف المطروحة محليًّا وعبر شبكة الإنترنت .ولا يتأتى هذا إلا بالنسبة لمواطن حر التفكير، غنى بالحصاد المعرفي، يعيش فى مناخ سياسي داعم يؤكد الثقة بالنفس والمسئولية، ويملك فرص الحصول على المعلومات والمعارف والقدرة على النقد العقلاني في ضوء إستراتيجية قومية لتطوير المجتمع هو أحد صانعيها بفضل توفر شروط مساهمته الحرة والإيجابية. وهذا ما يفتقده المواطن العربي أو الرعية العربية.

7. تقرر المادة 52 أن التنوع الثقافي هو التراث المشترك للإنسانية جمعاء. ومن ثم يتعين على مجتمع المعرفة احترام الهويات الثقافية والتنوع الثقافي واللغوي والتقاليد والأديان، ويمثل هذا النهج ثقافة جديدة أو غريبة بالنسبة لما هو سائد داخل المجتمعات العربية، إذ يتعين عليها تطبيق حرية

التنوع الثقافي والتنوع العقيدي دينيًّا وسياسيًّا وفكريًّا فى داخلها قبل الدعوة إلى الالتزام به دوليًّا، ويتعين كذلك التحلي بالتسامح العقيدي كثقافة راسخة، والتخلي عن الانحيازات الأيديولوجية إزاء الآراء والمعتقدات السياسية والعقائد الدينية المغايرة، بل والتخلي عن الانحيازات الأيديولوجية في النظر إلى التاريخ فى مراحل سابقة رغبة في الكشف عن حركة أحداث التاريخ في موضوعية وتأكيد الوعي التاريخي الصحيح وحرية القراءة الجديدة والتأويل الجديد لأحداث التاريخ ومساره.

إن مجتمع المعرفة، كما أسلفنا، مجتمع تفاعلي على الأصعدة المحلية والإقليمية والدولية، وأيضًا على الصعيد التاريخي بمعنى تفاعل مع فكر وثقافة وأحداث الماضي وتجديد الرؤية العلمية.

العرب ومجتمع المعرفة

لنا أن نسأل بعد ذلك: لماذا الخوف من العولمة ومجتمع المعرفة؟ ومن الخائف؟

أ . حكام ونخبة تقليديون جفّت ينابيعهم ويرفضون التطوير ويؤكدون حرصهم على ما يسمونه قدسية الثوابت؟

أم

ب . شعوب أو عامة تقليديون بالوراثة وأسرى التجهيل على مدى القرون التي صاغتهم على هذا النحو فكانوا هم دائمًا ضحية ما يسمى زيفًا الاستقرار والثبات والخوف من الفتنة بغية المحافظة لحساب الحكام؟

وحين نقول الخوف من العولمة ومجتمع المعرفة على الخصوصية، هل الخوف على الثروات الإبداعية التي أنتجتها الشعوب على مدى التاريخ دون الخوف من الجمود والتخلف؟

أم الخوف على عادات سلوكية وتكوينات نفسية مرتبطة بواقع تاريخي مضى؟

أم الخوف من غلبة قيم مناهضة للتقليد المعوِّق للتغيير؟

أم إيثارًا للقعود والقناعة بالاستيراد والاستهلاك والتبعية بديلاً عن النضال وإجهاد الفكر للتمييز بين الإيجابيات والسلبيات ومن ثم نعفي أنفسنا من مشقة الاقتحام بجسارة تبعات ومسئوليات التحدي بكل رهاناته ونغير من واقعنا ونتجاوز أنفسها؟

أصبح جليًّا أن العالم الآن يقف على أعتاب ثورة معلوماتية ومعرفية متسارعة بشكل هندسي بفضل تسارع تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات . وأضحى العالم حلبة سباق ورهانات بين الأمم المتقدمة والناهضة في الغرب وفي شرق وجنوب آسيا. وتسعى دول مثل الولايات المتحدة لتكون هي مرجع ومستودع المعلومات ومصدر المعرفة بكل ما يشوبها من انحيازات أيديولوجية.

والسؤال الآن عن الكيفية التي يواجه بها العقل العربي هذا الطوفان، وهو عاطل من عدة معرفية ملائمة ولا يملك سوى رصيد" معرفي وحتى زمانه وهو كل إرثه الماضي. هذا بينما الانتماء إلى مجتمع المعرفة يعني، فى أبسط الأمور، القدرة على المساهمة الإيجابية وأن تكون المجتمعات عنصرًا فاعلاً مبدعًا فضلاً عن استيفاء شروط ومقومات الصلاحية لنشر المعرفة عبر الشبكة الإلكترونية كمادة ووثيقة معتمدة قابلة للبحث والنقد، وتمثل إضافة جادة وجديدة، أو تمثل بلغة الاقتصاد سلعة مقبولة وقابلة للرواج عالميًّا.

ويوضح الدكتور نبيل علي عالم هندسة اللغة الحاسوبية فى دراساته العديدة والغنية العقبات التي تواجه أو تتحدى المجتمعات العربية على طريق الانتماء لعصر المعلومات ومجتمع المعرفة .يقول كمثال فى كتابه" تحديات عصر المعلومات :"إن المجتمعات العربية ضمن الشرائح الدنيا في التوزيعات

الإحصائية الخاصة بالفجوة الرقمية. إذ لا يتجاوز نصيب العرب من إجمالي مستخدمة شبكة الإنترنت 5%، فى حين تبلغ نسبة العرب إلى إجمالي السكان العالمي 4%. وتأتي البلدان العربية في ذيل القائمة من البلدان النامية فيما يخص عدد مواقع الإنترنت ومستخدمي الشبكة، ناهيك عن مستوى التفاعل الإيجابي بين الإنسان العربي ومصادر المعلومات وسلبية المتلقي العربي إزاء المحتوى. هذا بينما يستلزم اقتصاد المعرفة مزيدًا من الترابط بين المعرفة العلمية والتطبيق التكنولوجي على صعيد المجتمع؛ ويستلزم تطويرًا للإنسان، أي رأس المال البشري، من حيث المهارة والاستعداد والمشروع المستقبلي. ويمثل هذا الوضع تهديدًا خطيرًا إذ يضع المجتمعات العربية داخل دائرة الإقصاء أو التهميش.

وتكشف المجتمعات العربية عن بؤس شديد فى مجال إدارة المعرفة توليدًا إبداعيًّا واستثمارًا وظيفيًّا، ومرونة دينامية في الاكتساب والاستغناء والتطوير. وطبيعي أن مثل هذا الوضع المتدني يجعل من المجتمعات العربية فريسة للأقوى في صراع الانتخاب الثقافي الكوكبي مما يهدد بالهيمنة الثقافية، ونصرخ مرددين" الغزو الثقافي ."ويؤكد د. نبيل علي أن هذه الفجوة الرقمية المهولة لن تكون فقط عائقًا على الطريق، بل إنها سوف تؤدي إذا ما اتصلت إلى فجوة لغوية تهدد ثقافتنا وهويتنا. (د. نبيل على، *تحديات عصر المعلومات*، دار العين للنشر . القاهرة 2003، ص27-38)

إن الوفاء بمسوغات التحرك على طريق الانتماء لمجتمع المعرفة والمشاركة الإيجابية في حضارة العصر يستلزم تغييرًا جذريًّا شاملاً كل مقومات بناء الإنسان/المجتمع العربي : التربية والتعليم، والعلاقات الاجتماعية، وهيكل المجتمع في تجاوب مع شروط الديمقراطية . ويستلزم ثورة ثقافية بمعنى إعادة تنظيم البنية الذهنية للإنسان العربي على النحو الذي يهيئه بداية لاستساغة

ثقافة مجتمع هادر التغيرات، مجتمع الدفق المكاني والزمني حيث تغير مفهوما المكان والزمان كما يقول مانويل كاسيلز. ويستلزم ثورة فى الإعلام وفي أسلوب التنشئة الاجتماعية على نحو يخرج عن التقليد الموروث لمجتمعات مضى عليها قرون.

وتمثل التربية والتعليم فى المراحل المختلفة أداة المجتمع في صناعة أو صوغ الإنسان بما يؤهله عنصرًا فاعلاً ومشاركًا إيجابيًّا على مستوى حضارة العصر، ومن ثم التطوير المطرد للمجتمع. وأخطر ما في التربية والتعليم التقليديين في العالم العربي هو منهج التلقين واستظهار النص وهي أساليب تنمي السلبية وترسخ مبدأ تحريم الخروج عن النص، أي سد السبيل أمام الإبداع وحرية التفكير. وتدعم الثقافة وتتكامل مع هذا الجهد؛ وكذا الإعلام والتنشئة الاجتماعية جميعها تعمل جاهدة، في واقعها الراهن، من أجل الحفاظ على الموروث وبشكل انتقائي باسم الاستقرار والمحافظة أو بلغة تنطوي على غواية ودغدغة الوجدان" الحفاظ على ثوابت الفكر العربي والثقافة العربية والخصوصية ."هذا على الرغم من تناقض هذا المنهج مع حقائق علمية ظاهرة هى أن كل حضارة لها خصوصيتها الثقافية.

وطالما أن المجتمعات العربية لا تملك إستراتيجية تطوير حضاري، فإنها عاطلة من رؤية مستقبلية وعاطلة من نظرية لبناء الإنسان ورافضة لثقافة التغيير، وتعمل على ترسيخ النزعة المحافظة. وطالما أن المجتمعات العربية تقبل الاستسلام والاتكال على الحاكم إذ بيده الأمر والنهي والحكمة والتغيير، فإن كل ما يتعلق بالسياسة والمجتمع أمور مردها إلى الحاكم بينما التطوير شأن عام وقضاياه تمثل سياسة عامة تعني الإنسان العام. وننسى في غمرة هذه الغواية باسم الحفاظ على ثوابت التراث والخصوصية أن المجتمع لا يمكنه

الدفاع عن نفسه وعن هويته إلا إذا كان مجتمعًا متقدمًا منتجًا لوجوده وثقافته في تجدد مطرد، ومن ثم قادرًا على تمكين ذاته وتأكيد منعته والدفاع عن نفسه.

وحري أن ندرك أن المعرفة ليست كمًّا تراكميًّا مهما زاد حجمها، بل المعرفة إبداع اجتماعي نسقي واستثمار توظيفي هادف في تكامل بين فنونها، ونشاط تجديدي من خلال الفعل والفكر في تغذية متبادلة ومطردة. ويثمر هذا كله منهجًا جديدًا لتنمية المهارات الذهنية وتطويرًا متجددًا لعناصر وعلاقات البنية الذهنية.. أي يثمر عقلاً جديدًا، وإنسانًا جديدًا، مع عالم متجدد مما يحدونا، بل يوجب علينا، ألا نرى مستقبلنا فى الماضي، بل المستقبل إنجاز متوالٍ أسس له السلف ماضيًا، ونؤسس له حاضرًا، وتؤسس له الأجيال من بعدنا.

الهوية والقيم الرمزية في "مجتمع المعرفة"

د.بومدين بوزيد، كلية العلوم الاجتماعية . جامعة وهران

تمهيـــد

تسعى المساهمة إلى محاولة فهم العلاقة بين الرمز والقيم الثقافية في "مجتمعات المعرفة" سواء القائمة أو المأمولة في بلداننا العربية . الإسلامية، وسيكون الحديث عن المحتوى الثقافي والتراثي الذي يعتبر جزءاً من الصناعة

الإبداعية للتدليل والمقارنة، وهو حديث عن التراث والواقع المعاصر في نفس الوقت.

على أساس هذه العلاقة . أي علاقة القيم الثقافية والتراثية بمجتمع المعرفة . نحاول فهم كيفية استثمار ذلك في توطين مجتمع المعرفة عندنا، وجعل اللغة العربية هي إحدى منجزاته وأداته . أي التعبير عن تجلياته وأسسه القاعدية . .

إن التطور التكنولوجي المعلوماتي قد يكون عاملاً مساعداً على بروز الخصوصيات الثقافية وتطويرها والحفاظ عليها، لكن ليس بالشكل التقليدي، ولكن بتطويرها وتحويلها إلى جزء من وسائل التنمية المستديمة وضمان حقوق الأفراد والجماعات، خصوصاً إذا علمنا اليوم أنّ أبرز تأثير للثورة المعلوماتية يمسّ قضايا اللغة والأخلاق والقيم، فاللغة تعتبر أساس المعارف الإنسانية والاجتماعية الأخرى، إضافة طبعاً إلى التفكير العلمي والفنون، فهذه المعارف تشكّل ميادين ثلاثة لتجليات التطور المعرفي " *العلوم الفيزيائية والحيوية، اللغة والعلوم الإنسانية الاجتماعية، والفنون*"، حسب التحديد المفهومي لمجتمع المعرفة الوارد في بعض التقارير والبحوث :*استغلال المعرفة كأهم مورد للتنمية، وبناء القدرات للبحث عن المعلومات وتنظيمها ومعالجتها وتحويلها* "[10].

إذاً مجتمع المعرفة هو مجتمع خاصيته الأساسية وقاعدة تكوينه استثمار كم المعلومات الغني من أجل معالجتها وتطبيقها لأغراض التمنية الإنسانية، وهذا ما جعل إصطلاح " المعرفة كصناعة " أو "اقتصاد المعرفة" من أكثر

---

1 . يمكن العودة هنا إلى تقرير التنمية البشرية سنة، 2003، وقد عدنا إلى التقارير الصادرة بعد هذا التقرير التأسيسي لمفهوم مجتمع المعرفة منها تقرير اليونيسكو:

Vers les sociétés du savoir, Ed. UNESCO, 2005.
www.unesco.org/publications

المصطلحات تعبيراً على ذلك، وحين تكون المقارنة هنا بين هذه المجتمعات المتطورة التي استفادت سابقاً من الثورة الصناعية والثروات المستعمرات، واليوم استفادت من الثورة التكنولوجية التي كانت بدايتها الخمسينات من القرن الماضي، وبين مجتمعاتنا العربية . الإسلامية التي بقي خطاب نخبها منذ القرن التاسع عشر أسير الثنائيات " العقل والنقل"، التقليد والتجديد" ... إلخ[11].

هل من الممكن اليوم تجاوز ذلك نحو معرفة جديدة؟ معرفة تقوم بدءاً بتطوير لغتنا العربية وتطويعها وتوطينها وكذا قيمنا الثقافية والرمزية؟، إذا ما استطعنا ذلك لن نبق مستهلكين للمعلومة ومستوردين لتكنولوجيا المعلومة، هنا يكون الإبداع والابتكار هو المدخل الحقيقي للوصول إلى مجتمع المعرفة، نكون به وله قد حقّقنا إنجازاً لغوياً متطورًا، كما تكون الثقافية والقيم من مداخل "اقتصاد المعرفة" الأساسية ومن نتائجه كقاعدة مادية تسهم في الاقتصاد والتنمية البشرية

مجتمع المعرفة: المفهوم والخصائص

أ . المفهوم

يرى الباحثون المتتبعون لقضايا المعرفة ومجتمعات المعرفة أن مفهوم "مجتمع المعلومات العالمي" الذي يعني التركيز على الجانب التكنولوجي الاتصالي، هو المقدمة التاريخية والحضارية للوصول إلى "مجتمع المعرفة"، أي استغلال الموارد التي تتيحها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فمنذ سنوات قليلة فقط انتشر هذا المفهوم كبديل عن الأول، ولو أن في بعض الكتابات مازال الاصطلاح الأول قائماً، هذا التوصيف في المرحلتين طبعاً يخص البلدان

[11] أ بومدين بوزيد، *قضايا التنوير والنهضة في الفكر العربي، المعاصر*. تأليف جماعي . ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، سنة 1999، ص 7.

الغربية المعرفية[12]، من هنا فإن بعض البلدان العربية قد تنتسب إلى المجتمع الأول " مجتمع المعلومات"[13] وهي مرحلة أساسية قد يتمّ فيها تضييق الفجوة المعرفية التي تعمل على تصدّع المجتمع الإنساني.

إن مجتمع المعرفة مفهوم أوسع من مفهوم مجتمع المعلومات، يقصد منه استغلال المعرفة كأهم مورد للتنمية، وبناء القدرات للبحث عن المعلومات وتنظيمها ومعالجتها وتحويلها "استخلاص المعرفة من كم المعلومات الهائل من أجل تطبيقها لأغراض التنمية الإنسانية، علاوة على ما تسهم به المعرفة في تنمية القطاعات الاقتصادية المختلفة، تمثل صناعة المعرفة قطاعاً اقتصاديا قائماً بذاته، مثل البحوث والتطوير وصناعة البرمجيات، وصناعة الإعلام والإنتاج الإبداعي[14]، كما يستخدم بعضهم هذا المفهوم "*مجتمع المعرفة يتجاوز النفاذ إلى المعلومات وإتاحتها للجميع، إلى تحويلها إلى موارد ملموسة من المعارف النظرية والتطبيقية والأساليب الهندسية والتكنولوجية والتنظيمية التي تسهم بصورة مباشرة في التنمية المستديمة للمجتمع، وتضمن توفير الاحتياجات*

---

[12] . هل يمكننا هنا أن نستخدم "المعرفية" كصفة تميزية بدل لفظ الصناعية الذي كان يلحق بالبلدان الغربية؟، ترى ماذا يقابلها كصفة بديلة عن المتخلفة أو النامية أو الثالث التي مازلنا نلحقها كنوع لجنس "للدول غير المعرفية"؟

[13] . يمكن أن نعتبر بعض البلدان العربية في طور بداية مجتمع المعرفة أو هي أقرب إلى المرحلة ما قبل أي "مجتمعات المعلومات العالمي".

[14] نبيل علي، *إقامة مجتمع المعرفة كمحور للنهضة*، مجلة "المستقبل العربي" عدد 342، أغسطس/ آب 2007 ص 83. يعتبر نبيل علي من أبرز الباحثين في موضوع المعلوماتية والرقمية ومجتمع المعرفة، من مؤلفاته التي رجعنا إليها هنا كتابه: *الثقافة العربية وعصر المعلومات:رؤية لمستقبل الخطاب العربي*، الصادر عن سلسلة "عالم المعرفة" الكويتية سنة 2002.

الضرورية، وتكفل الحريات الأساسية للجميع"[15]، وعلى هذا الأساس تقسم المعرفة إلى:

أ . المعرفة العلمية "الفيزياء والبيولوجيا" والتقاء المعلوماتية مع التكنولوجية الحيوية أدى إلى " صناعة الدواء".

ب . المعرفة الإنسانية، كعلم اللغة وهو ركيزة الفروع الأخرى، إن تكنولوجيا المعلومات أدّت بالعلوم الإنسانية إلى حلبة الاقتصاد المعرفي بعد أن وفّرت لهذه العلوم نسقها التكنولوجي الخاص بها المتمثل في تكنولوجيا اللغة، هندسة الذكاء الاصطناعي ، هندسة المعرفة، الجغرافيا البشرية، علم الثقافة.

ج . المعرفة الكامنة وراء الفنون، فنون عصر المعلومات، الفن الرمزي ، الفن المفهومي، الفن الاتصالي، وهنا كيفية المعرفة هي تمحيص المعرفة الكامنة وراء الفنون، وهي عنصر أساسي في تكامل معرفة عصر المعلومات، كما أنها معرفة تنأى عن الفصل بين الطبيعيات والإنسانيات من جانب وتسعى لاختراق الحواجز الفاصلة بين العلوم والفنون من جانب آخر ، "المعرفة الكامنة وراء الفنون مدخل نظري أساسي لإحدى التكنولوجيات المحورية لاقتصاد المعرفة، ونقصد بها تكنولوجيا الوسائط المتعددة التي تمتزج فيها الرموز المختلفة : نصوص ، أشكال، أصوات"[16] .

هكذا لأول مرّة في تاريخ البشرية أمكن للتكنولوجيا أن تجمع مابين الفيزيائي المتمثل في عتاد الكومبيوتر والذهني المتمثل في برمجياته والبيولوجي المتمثل في استخدام العناصر البيولوجية في بناء الكومبيوتر، اليوم تكنولوجيا المعلومات في لقاء مثير مع الثقافة، لقاء مثير مع الإنسان صانع هذه الثقافة

---

[15] . نبيل علي، *الثقافة العربية وعصر المعلومات:رؤية لمستقبل الخطاب العربي*، الصادر عن سلسلة "عالم المعرفة" الكويتية سنة 2002

[16] . المرجع نفسه، ص

وصنيعتها، ولقاء لا يقل إثارة مع مجتمع هذا الإنسان الذي أفرزته هذه الثقافة وتلك التقانة[17].

إضافة إلى النفاذ إلى مصادر المعرفة هناك أيضاً استيعاب المعرفة أي تحليل وتبويب وفهرسة واستخلاص مفاهيم، أي استغلال المعرفة القائمة في توليد معرفة جديدة غير مسبوقة، أو معرفة بديلة تحلّ محل معرفة متقادمة لا بد من تحطيمها.

هكذا العقل الغربي منذ الاستقراء الأبيكوني " فرنسيس بيكون" وصولاً إلى مفهوم القطيعة عند غاستون باشلار، والثورة أو الانقلاب في العلم عند توماس[18] كوهن يستعير مفهوم التحطيم والتدمير والتحول الانقلابي، وهي استعارات قادمة من ميادين السياسية والحرب والعلاقات لتعبّر عن جوهر الطبيعة العلمية والثقافية للمجتمعات الغربية التي تربط بين مرحلة تاريخية وأخرى، عبر التغيير المنهجي وإعادة القراءة والتأويل لتراثها وقد شكلّت الرؤية البروتستانتية تفسيراً جديداً للدين المسيحي ترافق مع بروز الرأسمالية والتحطيم الذي أصاب المناهج المعرفية والفلسفية والأدبية، وهي توافقات على مستوى الانتقال من عصر معرفي تقليدي لعصر معرفي جديد.

إن تعبير "مجتمع المعرفة" اليوم هو توصيف ليس لطبيعة المعرفة بقسميها الإنساني والتجريبي، ولكن للاقتصاد والسياسية والعلاقات الدولية والاجتماعية، وهذا التنوع الكثرة الصاعدة في جدل نحو وحدة معرفية متميزة، هي تعبير كذلك عن جدل نزولي من تقنيات للمعرفة جديدة، نحو تعددّ في المعرفة[19].

---

[17] . المرجع نفسه، ص 90

[18] . توماس كون، *بنية الثورات العلمية*، تر: سالم يفوت، الدار البيضاء، المغرب سنة 2005,

[19] . استعمال عبارة *الجدل الصاعد والجدل النازل*" تعبير أفلاطوني عن نظريته المعرفية التي ترى هناك عالم من المثل نتلقى منه المعرفة والصور ونترقى إليه صعوداً.

ب . الخصائص

تتميز الصناعة السمع–بصرية اليوم بالتنوع كما أنها تتمتع بالحيوية كصناعة النشر مثلاً "من الكتاب إلى أرقى الألعاب الكمبيوترية"، هي صناعة فكرية وجمالية فنية ديناميكية تتسم بقوّة الإبداع، فصناعة الكتاب وترويجه مثلاً أصبحت جزءًا من الصناعات المعرفية الذكية، كما أن الوسائط المعرفية التكنولوجية تخدم الكتاب، ومن هنا يزول الخوف عند الكثيرين من كون الكتاب آيل للزوال، وقد تلقف البعض منا هذا الخوف في مجتمعات عربية تسيطر عليها الأمية، كما أن علاقتها بالكتاب إنتاجاً وقراءة ضعيفة، مقارنة على الأقل بما يصدر سنويا عند الإسرائيليين والأتراك، فالاقتصاد اليوم يعتمد على الموارد الثقافية والقدرة على الإسهام في أشكال أصيلة للتعبير في مجتمعات المعلومات، وتعطى اليوم القيمة لقوة العمل الإبداعية بمثل القيمة التي كانت تعطى للمعادن في السابق[20]، إن الفجوة بيننا وبينهم ليست هي الرقمية فقط، ولكن حتى في الصناعات الثقافية التقليدية، التي لم تصبح بعد
عندنا صناعية بالمفهوم المعاصر، سواء بسبب التسيير التقليدي للشأن الثقافي أم غياب مستثمرين في هذا المجال.

إن التحولات الجارية اليوم في دول غربية وآسيوية تتجه نحو ما يسمّى "اقتصاد المعرفة" حيث يصير التطور في مجالات الصناعة السمع–بصرية جزءاً من العملية الاقتصادية، وهذا ما يدعو إلى إعادة الرؤية والفهم لمعاني الثقافة والعملية الإبداعية، ففي المراحل التاريخية السابقة كان المصنع أو المعادن أو الشركات الاقتصادية العابرة للقارات هي جوهر العملية الاقتصادية

[20] . جون هرتلي، *الصناعات الإبداعية* ج2، تر: بدر سليمان الرفاعي، سلسلة "عالم المعرفة" . الكويت . عدد 339، مايو 2007، ص231.

والبنية التحتية الأساسية، أما اليوم فالمعرفة هي المصنع الجديد الذي تتسم بالخصائص التالية:

1. ذو طبيعة جمالية، غير أن هذه الطبيعة الجمالية لا تقاس بالتقييم التقليدي والنقدي الذي يخضع للنظريات الجمالية ولكنه يخضع لعمليته الإبداعية المرتبطة بإنشاء أشكال جمالية جديدة لها مردودها الاقتصادي والتأثير السياسي والاجتماعي، وعلى الرأي العام.

2. إن سمة المعرفة الجديدة التي ترتكز على المعلومة والمعلوماتية يمكن أن تعاد وتستهلك أكثر من مرّة، وفي ذلك تأخذ طابعها الاجتماعي وقدرتها الدينامية على التطور عكس البضاعة الاقتصادية المنتجة لاستعمال واحد ولفرد واحد، وهذا الطابع التكراري ألاستعمالي للمنتوج الثقافي يعطي له روح التنوع في الاستعمال، والصيغة الجماعية التي تقوي روح التنافس والمغامرة.

3. بفضل هذه المعرفة تتحول الثقافة والقيم الرمزية إلى قيم للتقدم والدفاع عن الحريات والديمقراطية، وهنا يقع التنبيه على أننا في العالم العربي سنشهد صراعاً جديداً بين الثنائيات التقليدية التي عرفناها منذ الأفغاني، وعبده، وفرح أنطون، بين التقليد والتجديد، الإسلام والحداثة، وهي صراعية في جزء منها مزقت العقل العربي وشلّت قدراته نحو عملية إبداعية حقيقية بدل جدل شبيه بجدل الكلاميين الذي حذر منه الغزالي في القرن الخامس الهجري، "إلجام العوام عن علم الكلام"، إن الثقافة والقيم وتداخلاتهما مع الجماعة في تكوينها واستمرارها يشكل في العالم العربي أهمية مواجهات جديدة وتفكير جديد إبداعي.

4. المعرفة الجديدة أو المصنع الجديد سوف لن يحتاج في الغالب إلى كثير من الشروط التقليدية للقيام بدوره الإنتاجي، بل يكتفي بقيمة واحدة وهي القوة الإبتكارية . الجمالية التي قد تأخذ هذا الطابع أو ذاك ثقافياً، أي أنها

تصطبغ بالقيمة التاريخية والثقافية للمجموعات المنتجة لهذه المعرفة، وهنا سيصبح من العسير رفض العملية الاستيرادية كمستهلكين، بحجّة أن ذلك يحمل طابعاً خصوصياً لثقافة غريبة عنا، أي أن الحفاظ على الهوية لن يتم بثرثرة التحذير والتهويل من أن قيمنا معرضة للغزو بل تصبح العملية الإبداعية هي الحصانة الوحيدة الحقيقية وليس بقرارات وتشريعات تمنع استيراد هذه المعرفة أو تلك هذا الكتاب أو ذاك، ومن المضحك إلى حدّ السخرية أن نعالج مثلاً ظاهرة التطرف وتفشي السلفية الجهادية بمنع هذا الكتاب أو ذاك، في حين ننسى أن نقدم على الأقل لماذا هذا التأثر الذي يكتسح عدداً كبيراً من الشباب؟ ولماذا لا ننتبه إلى ألعاب الفيديو وتأثيراتها ؟ وهل بإمكاننا أن نجيد النشر في الألعاب الإلكترونية؟.

إن الخصائص التي أشرنا إليها ليست الوحيدة بل هناك خصائص أخرى لاقتصاد المعرفة، ولكن حاولنا تلمس بعضها لنحدث عن التصورات التقليدية للثقافة والكتاب والنشر، إننا لا شك مقبلون على تبعية جديدة، على هيمنة جديدة، سنستورد "الصناعات المعرفية" ونبقى مستهلكين لها إن لم يكن هناك إقلاع حقيقي نحو عصر جديد في عالمنا العربي، يبدأ من انهيار حقيقي لأنماط السلطة التقليدية التي لم تستطع أن تنجز مهامها الحضارية، وفي إعلامنا اليوم نهتم بالتقارير الخاصة بالديمقراطية وحقوق الإنسان ونهمل أو نقلّل من قيمة التقارير[21] حول المعرفة والتعليم الجامعي والأمية، وهي تقارير في جوهرها ترتبط بالتقارير الاقتصادية والسياسية، وهذه التقارير وإن كان بعضها يحاول خلق

[21] . جلّ التقارير . رغم أهميتها وشفافية بعضها وموضوعيتها إلى حدّ ما . إلا أنها توحي بفكرة حتمية التخلف لهذه البلدان النامية ومنها العربية طبعاً، كما أن بعض هذه التقارير عادة لا يشارك في تحريرها مختصون من البلد الذي يقدمون تقريراً حول حقوق الإنسان فيه أو التنمية البشرية أو الصناعات الثقافية.

اليأس عند الرأي العام العربي، والقناعة بأن لا مخرج لنا إلا بالخضوع للهيمنة الغربية، وهي هيمنة واقعة فعلاً وستزداد سوءاً في العقود القادمة أمام اقتصاد للمعرفة جديد لن تعود فيه مصادر الطاقة هي الأولى.

بعض هذه التقارير يعطي وجهاً شاحباً لمستقبلنا لكوننا ما زلنا لم نستطع استيعاب التقدم والتطور الحاصل اليوم في الغرب وبعض المجتمعات الآسيوية، إنّ احترام حقوق الإنسان والدفاع عن الحريات والديمقراطية هي قيم ثقافية ومعرفية تدافع عنها المجموعات قبل أن تكون قناعة وتشريعات للسلطة القائمة، ولكن حين تستمر معنا قيم التعدي على حريات الآخرين وتشجيع الجهل وانتعاش الخرافة حتى في عودتنا إلى تراثنا ليس كاستثماره جمالياً وصناعياً ولكن كخرافة والتماس البركة، وتتقاطع هذه المسائل مع سلطة قائمة على ما تسميه المعجزات التاريخية وترسخ قيم الزعامات الكاريزمية وتتفشى في عهدها العودة للامعقول مترابط، كل ذلك مع الرشوة والفساد المالي بطبيعة الحال، سنكون أمام قيم تحول دون الإبداع وصناعة معرفة جديدة، كما أن ذلك عامل جوهري في فهم لماذا آلاف الشباب يتجه نحو السلفية الجهادية والعلمية كقناعة حقيقية في مواجهة مجتمع يراه "دار كفر"، إن ذلك يتآزر ويتغذّى من بعضه.

مهما كانت الخطابات الثقافية أو السياسية اليوم المحددة بآليات هي في جوهرها –كما قلت عائقاً– أمام القدرة على التجديد والإبداع والمشاركة المثلية في الحضارة الإنسانية القائمة، والتي ستتطور بسرعة فإننا بالتأكيد ستفرض علينا هذه المعرفة الجديدة التخلي عن كثير من القضايا المستهلكة في فكرنا العربي المعاصر.

الهوية والقيم الرمزية في مجتمعات المعرفة

يسوق أحد علماء الاجتماع قصّة للتدليل على عقلية أمة يلقي كل طرف المسؤولية على الآخر، وكيف أن إبداع عملية الرخاء مرتبط أساساً بتطوير قيم ثقافية جديدة، مفاد هذه القصة أن مسؤولين كولمبيين "كولومبيا" كلفوا مجموعة بحث وميدان لإعداد بحث حول وصول كولومبيا إلى أن تكون أكثر رخاء عن طريق التصدير إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بدأ الفريق في نيويورك بالبحث عن مشتري حقائب اليد، وتجمعت بيانات على أن أسعار حقائب اليد المصنوعة في كولومبيا مرتفعة جداً وأقل جودة، وعادوا إلى كولومبيا لفهم السبب، فكان السؤال لماذا قلة الجودة؟ توجهوا إلى أصحاب المصانع: فقالوا "ليس هذا خطأنا" ولكنه خطأ المدابغ المحلية التي تمدهم بالجلود، وسعر الضريبة هو وراء ارتفاع سعر الجلد، سافر فريق البحث ليبحث عن أصحاب المدابغ فقالوا أيضاً "إن هذا ليس خطأنا" ، إنه خطأ المجازر، فذهبوا إلى أصحاب المجازر فكانت الإجابة نفسها، وقالوا لهم "إن المسؤول عن رداءة الجلد" هم رعاة البقر الذين يوسمون أبقارهم بالكي بالحديد المحمي حتى يمنعوا رجال العصابات من سرقتها، فذهبوا إلى مربي الأبقار فكانت الإجابة "إن ذلك ليس خطأهم" ولكنه خطأ البقر الغبي الذي يحك جلده على الأسلاك الشائكة ليهرش جلده ولإبعاد الذباب الذي يعضّه، فتأكد هذه الفريق الباحث في الأخير أن صنّاع حقائب اليد في كولومبيا أعجز من أن ينافسوا سوق الولايات المتحدة الأمريكية لأن البقر أبكم[22].

إنها طبعاً ثقافة تلقي اللوم على البقر، وهي ثقافة تقف أمام التقدم والوصول للرخاء، وقد لا حظ ألكسيس دو توكفيل[23] أن نجاح الديمقراطية في الولايات

---

[22] . أورد هذه القصة أحد الباحثين ضمن كتاب: لورانس إي. هاريزون، وصموئيل هانتينغتون، *الثقافات وقيم التقدم*، تر: شوقي جلال، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، سنة 2005، ص 449

[23] Alexis de Tocqueville, De la démocratie en Amérique,

المتحدة الأمريكية يعود إلى القيم الثقافية الموروثة التي ساعدت على ذلك، وهي تتلاقى مع النظرية الشهيرة التي تعود إليها اليوم بعض الدراسات الأنثربولوجية والاجتماعية لماكس فيبر[24]، من كون الرأسمالية نجحت تاريخياً بفضل القيم البروتستانتية والتأويلات الجديدة للإنجيل، غير أننا نلاحظ بعض هذه الدراسات في محاولة ربط التقدم بالقيم الثقافية تتناسى تماماً أن تخلّف الشعوب التي تسم ثقافتها بأنها لا تساعد على التنمية والتقدم، هي في الغالب شعوب عاشت منهوبة الحرية والأرض في العهد الاستعماري، ولا زالت هيمنة الغرب جزءاً من عوامل تخلفها اليوم، كما أن هذه الرؤية الانثربولوجية تجد من يعطي لها تأويلاً جديداً في فهم الصراع العالمي اليوم مع الإرهاب كموقف صموئيل هانتينغتون[25]، الذي يصور لنا أن حدود العالم هي حدود دموية بسبب الخلاف الديني والحضاري، وقد تكون رؤيته مفسّرة لبعض الظواهر الصراعية الدموية لكنه عامل ليس كافياً وحده لفهم ظاهرة الإرهاب والعنف.

نعم قد تكون القيم الرمزية والثقافية عندنا عامل إعاقة نحو التقدم، ويمكننا أن نذكر كيف أن قيم الجهاد تحولت إلى التكفير والتدمير الذاتي والجماعي، والعودة هذه إلى التراث الجهادي المشحون بالتعصب للرأي والتمذهب المتشددّ يبرز جانب القيم الثقافية والتراثية التي لم نطورها، ولم تكن هناك تنمية بشرية حقيقية في العالم العربي . الإسلامي، ونحن اليوم نعيش ما يسمى "مجتمع المعرفة" في المدن الذكية العالمية ندرك مدى عجزنا وإخفاقنا المهيل في تقديم

---

[24] . المرجع نفسه، ص، 167.

[25] . مثلت العودة إلى ماكس فيبر وهيجل والمثالية الألمانية توجهاً عاماً في فلسفة التاريخ المعاصر في الأبحاث الأنجلوسكسونية، وهناك من ينتقد هذا التوجه كونه يعيد طرح ما صاحب ذلك من رؤية نمطية ثابتة للثقافة، إذ غالباً تعتمد هذه الرؤية الثقافوية تصنيفاً مسبقاً يقسم المجتمعات إلى مجتمعات قابلة للتطور والتحديث والديمقراطية وأخرى لن تستطيع ثقافتها أن توصلها لذلك.

أنفسنا عالمياً، على أننا أمة ذات تاريخ حضاري وتستطيع التعايش وتحويل قيمها الرمزية والثقافية إلى عامل تطور وتقدم.

هل يمكننا القول أن التأطير الثقافي التقليدي يتجدّد بصورة أخرى عبر سلفيات متعدّدة التي هي قراءات تخضع لنفس المعايير التقليدية في العلاقة مع قيمنا وتراثنا ، وشبيه بهذا العودة إلى التصوف والطرقية[26] في أكثر أشكاله الموغلة في الغيبيات والدروشة، بعيداً عن حقيقته الباطنية الإنسانية؟.

هنا نكون أمام تحدي جديد: كيف نحول قيمنا إلى قيم تساهم في التقدم وإنبات قيم حضارية جديدة تؤمن بالتعدد والمواطنة والحرية؟.

قد يكون هذا السؤال هو تنويع لسؤالنا التقليدي النهضوي: كيف نتقدم؟ أو لماذا تقدم غيرنا وتخلفنا نحن؟ وبالتالي إذا كان كذلك ستكون الإجابة معروفة سلفاً وتنويعاً يمسّ ظاهره، مع استمرار تباين الرؤى والمنهجيات التي عشناها مدّة قرنين من الزمن تقريباً، وفي الوقت الذي نشعر أننا ندشن عصراً نهضوياً جديداً نكون معيدين لخطاب النهضة في مفاهيم وقوالب جديدة، ولكنه المضمون الواحد هو الحاضر معنا في الحالتين.

طبعاً لا أتحدث هنا على التزاوج بين الأمل والخوف من مستقبلنا في ظلّ هيمنة العولمة ومجتمعات المعرفة، فالخوف يزداد عند بعضهم لكون أن الهوّة ستتعمق أكثر، بحكم أن التقدم الحضاري اليوم يعرف سرعة أكبر كسرعة المعلومة والوصول إليها، أي أن التقدم اليوم يختصر الزمن والمسافات بدرجة

---

[26] . نفرق هنا بين العودة من أجل معرفة أكثر بالتراث الصوفي وفهمه وتطويره كتجربة إنسانية ومعرفية، واستثماره كقيم للمحبة والحوار وإثراء قيمنا المعاصرة، وبين العودة التوظيفية السياسية الفجّة أو العودة كهروب من الواقع، هذه العودة نلحظها في بعض البلدان العربية . الإسلامية كالجزائر مثلاً الذي اتخذ ردّ فعل ضدّ النزعة السلفية الوهابية، والدعوة للمصالحة التي وجدت السلطة في زوايا الطرقية سنداً دينياً قوياً

أقوى من العقد الزمني السابق، إضافة إلى كون الموارد التقليدية للاقتصاد مازالت هي القاعدة المادية عند شعوبنا ، في حين أن مورد المعرفة والمعلومات هو المورد الفعال الذي لا ينضب ويزداد غنى وتأثيراً ومردودية، هذا المورد الذي تتوفر له تربة منبتة كالحرية والعقلانية والديمقراطية، وهو فضاء سياسي ملازم لفضاء الشفافية ومحاربة الفساد، ولمجتمعات تعرف فيها المواطنة القاسم المشترك بين المواطنين المدنيين بغض النظر عن الاختلاف الديني والمذهبي والعرقي، كما أن العالم الغربي المتقدم اتجه نحو الوحدة وزوال الحدود التقليدية والإيديولوجية، وحدث تغيير في جوهر العملية التربوية والإعلامية.

هذه الشروط " المعلومة كاقتصاد، والديمقراطية والمواطنة، والوحدة الاقتصادية، وتقدم التعليم والتربية والإعلام" هي التي وفرت بيئة "مجتمع المعرفة" تكاد أن تكون غائبة في مجتمعاتنا، من هنا يكون التشاؤم وزيادة الشعور بالتفاوت، كما يكون الخلاف من أين نبدأ؟ وما هي المداخل إلى "مجتمع المعرفة" ؟.

هل تكون البداية بالديمقراطية والحريات وترسيخ قيم المواطنة كمداخل لمجتمع المعرفة أم بالتحكم في المعلومة والالتفات إلى الإصلاح التربوي والتعليم والثقافة كمداخل قاعدية . أي أن الحديث عن الإصلاح السياسي يبقى مؤجلاً ؟.

هذا طبعاً مأزق البدايات الذي لا زمنا كذلك منذ قرنين وتنوعت الإجابة حوله، ولكن كان المضمون واحداً تقريباً، وهنا نودّ الإشارة إلى أنّ عصر المعلومة لا وطنية له ولا أرض له، بمعنى أنّ صعوبة بقاء احتكاره طويلاً كرأسمال الشركات أو الثروة الاقتصادية التقليدية في يد الغرب تفتح أمامنا أمل الوصول إليها والتحكم فيها، كما أن طبيعة العلاقات العالمية اليوم تختلف عن

العلاقات زمن الحرب الباردة، من هنا يكون الأمل بدل الخوف، في كوننا نستطيع تحقيق النهضة الجديدة.

إن صناعة الثقافة أو الإبداع تقوم على الأسس التالية:

أ . المادة التراثية والثقافية والجمالية، وهي تشكل تجربة تاريخية لأمة ما، إضافة إلى المحصلات المعرفية الجديدة في شكل نصوص أو جماليات فنية، وهذه المادة المعرفية في الغالب تكون مادّة خام وتتعرض منذ قرنين للقراءة والتأويل دون أن تتحول إلى ثروة حقيقية فاعلة . أي علينا تحويله إلى قاعدة للتطور والتقدم بمعالجته وجعله يحيا معنا مرّة ثانية

ب . معالجة وقراءة هذه الثروة التراثية والمعرفية ليس بالاستعانة بمناهج التحليل الجديدة اليوم كـ "تحليل الخطاب" ولكن بالاستعانة بالتقنيات الجديدة اليوم المستخدمة في المجال المعلوماتي والبيولوجيا، أي كيف نستثمر ذلك تقنياً ونستوحي من هذا التقدم الحاصل في هذين العالمين اللذين يسيران نحو التوحد كما رأينا ذلك سابقاً، هذا الأساس يعتمد كذلك على استخدام شبكات الاتصال وقنواته المتطورة، إن التكنولوجيا تعمل على إسقاط الحواجز الفاصلة بين المادي واللامادي وتجلّى ذلك في "تكنولوجيا الواقع الخائلي"، فالواقع الخائلي هو نوع من التسامي الرمزي، تخليص من واقع الجسد، لقد اختلط في الخطاب الخائلي بين التكنولوجي والميتولوجي والابستمولوجي.

هل يمكن أن تنجح تكنولوجيا المعلومات فيما فشلت فيه ثلاثية "الفلسفة، والعلوم، والفنون" عن طريق دمجها لهذه المعارف الثلاث في وحدة رمزية مكثفة ومتسقة، ومن خلال كشفها عن شبكة العلاقات التي تربط بينها[27]؟.

سنشهد من جديد عودة الدين والقيم الرمزية ولكن ليس في شكل احتجاجي أو رفض للواقع ولكن كجزء من بنية معرفية تستثمر في قيم الإبداع

[27] ـ نبيل علي، المرجع نفسه، ص 449

والحرية وزيادة الثروة المعرفية كثروة اقتصادية، بمعنى أن الإحياء الديني ظلّ عندنا جهادياً في جوهره مقاوماً للاحتلال والغزو، وكان دائماً ملاذاً أمام إخفاق البلدان العربية والنامية في الوصول إلى التنمية، وسعى الغرب إلى توظيف ذلك في زمن الحرب الإيديولوجية الباردة، ومازال الإسلام الجهادي . الرافض للعولمة والهيمنة الغربية له مناصروه وظروفه التي يعيد فيها تشكيل نفسه وقوته، ويجد تعبيره الأقوى في الجماعات المسلحة، ولكننا مع دخول عصر "مجتمعات المعرفة الجديد" سنكون أمام حتمية جديدة لا نستطيع الفكاك منها تتمثل في:

. تحول الدين والظواهر الروحية إلى جزء من الثروة الجمالية والثقافية والاقتصادية، وهنا لن نكون أمام صراع تاريخي بين العلمانية والدين أو بين الحياة والآخرة، إذ أن التدين سواء كسلوك فردي أم انتماء جماعي سنعيد قراءته وفق التطورات الجديدة التي لا تطرح قضية الله كعائق أمام العقل مثل القرنين السابقين، ولو أن التدخل الديني سيبقى له حضوره فيما يتعلق بقضايا الجينوم والتدخل البشري في الطبيعة الإنسانية.

. إضافة إلى الدين ستكون الثروة الرمزية من لغة وقيم عامل غناء للفرد والمجموعات، وسيشهد هذا العالم الرمزي تطوراً وتجديداً، وننتقل من ثنائية التقليد والتجديد إلى أن يكون التقليد جزءاً من العملية التنموية، ومن أسباب توطين مجتمعات المعرفة في البلدان العربية والإسلامية، كما أن إشكالية اللغة لن تكون عائقاً، فالتطور الرقمي والتكنولوجي يساعد على تطوير اللغة وتحديثها والتعامل معها مهما كانت طبيعتها النحوية والصرفية، وهنا نكون أمام تحدي حقيقي، وهو كيف نجعل من اللغة العربية لغة التواصل، وبناء قاعدة مجتمع المعرفة، فاليوم يتأكد أن التقدم نحو هذه المجتمعات يقتضي استخدام اللغة المشتركة التاريخية دون انغلاق لغوي نحو الآخر، وهنا يكون علينا تأصيل الوضع العالمي للغة العربية.

المنظومة اللغوية والعلاقات الثقافية والدلالية الجديدة في مجتمع المعرفة

أو

اللغة العربية بين معرفة الحضارة وحضارة المعرفة

أ. د.محمد طيبي[*]: جامعة وهران

[*] عالم اجتماع، ومستشار لعديد من الهيئات الرسمية والدولية في قضايا السكان والتنمية والمدينة، من مؤلفاته : العرب والهوية

إن أتاك حديث المعرفة فالتفت مرتين في حال ثقافة الإسلام إلى ما يلازمها من تحويمات أهل العرفان الباحثين في ثنايا المجهول عن كشف يقربهم ليس من نسبية الحقائق و لا من قلق الوقائع و فشل التجارب التي هي قائمة في ذواكرهم منذ بواكرهم، و إنما يسبحون أحيانا وراء ما يفتح لهم و عليهم من فضاء علم اليقين الذي هم به يعتقدون جزما أنهم مسلمين[1]

فثمة إذن مخاييل للمعرفة متنوعة ينابيعها و متعددة مصادر إلهامها. و تبقى المعرفة الإنسانية و من خلال التبويبات التي تتصف بها بسبب مواضيعها و مناهج مقارباتها و أيضا بسبب وقعها و تأثيراتها على معيشة البشر بخاصة و مسار الحضارات بعامة. فإشكالية المعرفة لا تنحصر في نمطية واحدة حتى ولو كونت جوهر الاجتماع البشري في مرحلة من مراحل تطوره ونمائه. فإن كان تساقط المفاهيم له ما يبرره، فإن السقوط في حبال الخوف من حتميات التحول الذي تمليه حاجات العمران المتنامي ليس فيه مخرج من المأزق الحضاري، و إنما الأمر يبقى دائما مرتبط بالتعويل على منظومات الفكر التي لا تتطور سوى ببناء القواعد المادية للمعرفة التي تثور بدورها النشاط البشري و تملي عليه فرضا تنمية وسائط الاتصال التي ليست اللغة سوى عنصر من عناصرها.

فالمعلوماتية لم تكن "ثورة" [2] كما يعتقد فلاسفة المسلمين و من واكبهم في عمليات الخلط بين إنتاج المعنى و التغني بالألفاظ البعيدة عن سلطان المفاهيم، و إنما هي أصلا رحى الحداثة المتجددة و الجديدة و غايات صياغة نظم و تثبيت قيم و فتح لا يتوقف عن الاكتشاف. فبالموازاة لهندستها المتواصلة للغتها كمعلوماتية، فإنها تفرض على لغلت العقل سواء التقني القديم أم النقلي التابع تحديات تطويع أنساقه اللغوية بغية تسهيل استيعابه لمقدراتها و تمرير

احتوائه داخل قيمها الزاحفة تصورات للكون و تخيلات لجمال و استهلاك للموارد.

إن المعرفة وبغض النظر عن تعقيداتها و وظائفها ومرد وديتها في الإنتاج الاجتماعي، فإنها و من خلال ملامح الفاعلين في ميادينه تضبط الأطر الاجتماعية تراتبييا ووظيفيا و قيميا فتهندس بذلك و خلال مسار تأثيرها في المعيشة و الذوق، معالم مجتمع قد يكون مجتمعها – المجتمع الصناعي ثم المعلوماتي ثم مجتمع المعرفة– أو قد يكون أيضا مجتمعا تابعا لها سوقا واستهلاكا و استعمالا.

فليس مجتمع المعرفة كما يروج له حدث خارق و لا منقطع عن صيرورة التاريخ. فهو ليس سوى امتداد بنيوي و تنظيمي لمفاهيم عمران بشري حملتها مدنيات متعاقبة و متدخلة ومتجابهة أحيانا. معها نشأت اللغات و نمت بل و تنامت حاملة على عكس غيرها من المجتمعات المتأخرة مفاهيم نمائها و دلالات فلسفتها و تعابير قيمها و جماليات خيالها و العربية و أكثر من اللغات ذات الأصول الإغريقية واللاتينية قد تصدرت قبل غيرها جبهة انتاج مفاهيم الحضارة سواء بالنحت أم التركيب فاحتضنت حواضنها كلها ميادين معرفية وصلت الى البشرية دقيقة وبقت إلى يومنا هذا دقيقة.

والمجتمع المعرفي الذي تصاغ مفاهيمه اليوم في حقول الفلسفة والفكر الجيوسياسي ليس بآلة تقنية وإنما هو مجموع عجائن اجتماعية حضارية كما كان شأن المجتمع الصناعي وقبله المجتمع الزراعي، ذلكم أن ليس هناك مجتمع بدائي كما يعتقد الماركسيون تحديدا وإنما ثمة مجتمع البدايات الذي يتحرك نحو مجتمع النهايات. هذه العجائن السلسة التي تلغي من حاضر البشرية و مستقبلها كما كان الشأن بالنسبة لماضيها مفهوم القولبة البنيوية للمجتمع البشري وتكذب مفهوم التلاقي والتماهي النهائي للنظم الاجتماعية إنما

تخضع للعبقرية الإنسانية وللخيال الخلاق للأجيال المتعاقبة لتهندسها وفق منطق العقل و حساسية الجمال.

واللغة في هذا المقام عامل أنسنة النظم و مصدر تمايزها و صورة جمالياتها و مرجع خيال أهلها. إن الخيال لا يغيب عن كل بناء مجتمعي و بالتالي فالحمولة اللغوية تشحن و بقوة المعاني و الدلالاتي و تعطي لمجتمع المعرفة الموضوعي و ليس الأيديولوجي نكهة تعدديته وكنه تنوعه.

مجتمع المعرفة أصل التكوين:

ينحدر "مجتمع المعرفة" السائر في طور التكوين والتقولب من أحضان مجتمع المعلوماتية. إنه يعتمد في مسار تبلوره على قيمة إبداعية العقل وإستراتيجية التربية والتكوين ووعي بحضارة لا بد أنها منتصرة على معيقات العقل النقلي والنفعي البسيط. إنه مجتمع نوعي وقاطرة تسابق سرعة الإبداع والابتكار وتحاكي بلا ملل ولا كلل سلطة السؤال وسلطان المعرفة.

إن مجتمع الفتوحات المعرفية الذي يلبس الاقتصاد فيه صفات اللامادية يعلن وبصيغ جديدة و ترميزات وجدانية مبتعدة عن ترع التقليد و ترهات التنفيذ الأعمى لطغيان قيم الخوف من مغامرة العقل عن أفكار وقيم جديدة.

فاقتصاد المعرفة تجاوز معرفة الاقتصاد موضوعا و نشاطا وهو يسعى تدريجيا إلى رسم معالم جديدة للاقتصاد من حيث المقاصد و الماهية.فيه ترتفع و بقوة غير مسبوقة وتائر تنافس عبقريات الأمم فاتحة مجالات جديدة للاقتصاد وهو اقتصاد الذكاء وقوة العبقرية التي تتجاوز في مفعولها ومدلولها عبقرية القوة.

فمن ثقافة المر دودية التي طبعت منطق التراكم الرأسمالي التقليدي يتحول التنافس حول مرد ودية المعرفة و فعالية الرأسمال المعرفي المرتبط في

هيكلته ليس بصناعة العبقرية فحسب وإنما بصناعة إنسان المعرفة كتجاوز انطلوجي لمعرفة الإنسان.

إن اتساع رقعة رهانات المعرفة سيعيد محورت العلاقات الحضارية وتلمس إسقاطات ذلك على العلاقات اللغوية وسيولة خطب الاتصال ومغيرة منظومة التبادل الرمزي. هذا المد التحولي العميق الذي سيعيد هندسة المخيال من جديد راسما معالم أمالا عظمى جديدة للبشرية كلها سيفرض لا محالة أنماطا مؤسساتية دستورية وثقافية تتجاوز التقسيمات الحالية للفضاءات الحضارية وتفرض منطقا احتكاريا قد يتجاوز العرقيات من الانتماءات والقناعات من الديانات.

مجتمع المعرفة وإشكالية العلاقة بين القدرات والسلوك البشري:

إن الترابط بين المعرفة والمقدرات والسلوك [28]يترجم دوما عمرانا بشريا قائما على استثمار للعبقرية و تسخيرا لقوة الفعالية من خلال فعالية
النظام ليصل تلك القراءة المتواترة لمنطق صناعة القوة التي يعلو بها الحق أو ينتصر عليها الباطل. ففي مجتمع المعرفة تتخذ القوة بعدا لا متناهيا من حيث أنها امتداد ليس لقوة الماديات الفانية والقابلة للفناء وإنما هي مد ينبوعي لا يجف بل يتواتر مجددا الأنواع مخترقا الأبعاد مغامرا نحو أللا منتهي. فالإنسان لن يبق واحد البعد ولا محدود الأفق ، بل ستتبدد أمامه صناعة القيم الراهنة وتنتهي مفاهيم الحدود وتذوب مصوغات الوجود التقليدية فتجتاحه قيميا ليس

[28] Voir A. Marlow (1908-1970) et la question de la théorie des motivations et aussi Richard Cyert dans son approche relative à la théorie du comportement humain.

فقط أسئلة التجديد اللا متناهي لواقعه بل لوجوده و وجدانه و منظومات تعبيره و تراتيبيات عبره.

هي ذي الرؤية التي تطل على المدارك لتعبد المسالك فتغير جبهات المعارك وتدك تدريجيا ذهنيات المناسك لكنها لن تبعد نواميس المهالك.

بين فكر "المحرك" ومحرك الفكر:

يكشف محرك غوغل العملاق عن أهدافه العظمى التي يتوخى تحقيقها على الأمد المرسوم علميا وليس "الأمد البعيد" الذي تتبناه الرؤية الفاقدة لأدوات التدبير والتحكم.

– تنظيم تدفق المنظومات الإخبارية الكونية. وبها تصنع هيمنة الأفكار وتمركز قيم السلوك الذي يسوق لباقي البشر الذين قد يدخلون منطقا جديدا من منطق الاستلاب الذي رتبت له ومنذ قرون منظومات العمل الرأسمالي.

– دراسة نظم التأثير ودرجات تأثيرها ومن خلال تنتج آليات التحكم في الوعي والذوق البشري و تعمم كمعايير مهمينة تمتد فعاليات الى كل منتوجات الخدمات الاتصالية والجمالية.

– التحكم في أنماط التفكير التي ستوجه البشرية نحو تقاليد وعقائد بدأت تتبلور راهنا في منظومات الأخلاق الأوروبية التي تخلصت من ظلال روابط القرابة باستثناء اليهود هناك، والميل الى التنكر الى الشرعية القرابية والميل الى فردانية لا تحقق نفسها سوى فيما هو استهلاكي.

– التحكم في وسائط الاتصال ذات الصلة بالقرار وصناعة الرأي، وفي هذا الشأن تتدخل نظريات النظم التي تتمكن من التحكم الفعلي في نظرية السلوك وعلاقتها بنظرية اتخاذ القرار الذي به تتحقق الهيمنة وتتوج مجهودات الفكر الجيوسياسي.

وبين كل هذه العوامل يندس عامل اللغة الذي لا يظهر كمحو لتحقيق الأهداف لكن ومن خلال تاريخ الرابطة بين الحضارة واللغة يتكشف أن الحضارة المهيمنة تفرض لغة الهيمنة وبالتالي فإن التقسيم الحضاري الحاضر والمستقبلي سيفرض لا محالة تقاسمات للفضاءات اللغوية تؤدي إلى تراتبيات لغوية تتحكم فيها ليس الانتماءات وإنما الضروريات التي يمليها سوق المعاملات والتبادلات وتفتح لها سوق الجماليات الضرورية لتوسعها. فليس ثمة من مفاجأة إن صارت اللغة الصينية مستقبلا لغة الهوية والغواية والتبادل إن انكمشت قوة الإمبراطورية الأمريكية.

هذه صناعة الوعد والوعيد التي تسعى إلى صناعة الوعي وقولبة الأذواق فهل هي قادرة على تحقيق برنامجها هذا بواسطة القولبة والعولمة اللغوية؟ وهل مجتمعات المستقبل ترضخ لهذه القولبة وتضحي بموروثاتها التي تتماهى فيها وتتباهى بها أمام الأمم؟

إن كانت الإستراتيجية قائمة على مبدأ الاجتياح المنظم لجغرافيا الغير، فإن تطبيقاتها على جغرافيا الرموز ولكل لغة جغرافيتها الرمزية، ليس بالعملية المضمونة نتائجها. لقد كشف التاريخ وبخاصة تاريخ الهويات، تلك الارتدادات التي تتطلبه أجسام الثقافة البشرية فتجعلها تحيا بعد أن كانت رميما وتقذف بها إلى بوابة الهوية لتصبح حاملة لمشاريع النهضة و الحداثة والعودة إلى التاريخ. حدث هذا أساسا مع اللغة العربية في الجزائر ويحدث مع اللغة العبرية في كيان إسرائيل.

إن مجتمع المعرفة المرتكزة أسسه ونظمه و مصادر قوته على إنتاج المعرفة وتسويقها مادة سلعية ليس بالضرورة مجتمعا آليا وتقنيا، بل لعل فيه تبزع من جديد رهانات الهويات والتصلب في الانتماء والذود عن أحواض الذات، ولعل في مجتمع المعرفة ترقى الإنسانية إلى حس قيمي آخر يجعل من

الاختلاف رحمة ومتعة، فهل من المنهجي النظر إلى مجتمع المعرفة بالمرجعية الإيديولوجية الراهنة؟

ندخل من هذا الزاوية ليس فقط باب الاجتهاد وإنما ترعة الخيال ومنطق الفكر الإستراتيجي

مصير فلسفة اللغة وأبعاد لغة الفلسفة

حضارة المعرفة القائم عمادها على لغة الصورة الرقمية صناعة وفنا وخيالا وافتراضيات ألغت أحيانا المسافة بين الواقع والخيال. فهي الآن في طور دمجهما ليتحولا إلى مرفأ هادئ لتسويق الأحلام بل ولتخيل الأحكام التي تواكب الذاتية البشرية في رحلتها المستقبلية نحو الأفق اللا محدود.

فاللغة النصية وكل اللغات النصية التي أبدعت في صناعة البديع من الصور البلاغية ستواجه وقد بدأت تواجه سلطان الصورة كلغة جديدة في فعالية الاتصال الحديث التي سيرتكز عليها مجتمع المعرفة.

فمن نظرية النص و مفاهيم الخطاب النصي[29]، ستتزحزح التواصليات الثقافية نحو نظرية الصورة وما تفرزه من مفاهيم نطرحها هنا افتراضية وفرضية مثل "التصاور" الذي يغذي تواصليات التزاورعبر الشبكات وسيميائية الصورة وسلطان اللون والصورة وحرب الصور بل وحروب المخيال الافتراضي.

إننا أمام شاعريات بلا نثر ولا شعر، بل أمام شعائريات تسري بالوعي والحس والذوق خارج معيار الليل والنهار وبعيدا عن الزمن المعلوم وإنما تشرنقه وتنمقه لتصنع منه ما تريد دون أن تترك له فرصة معرفة ما يريد وما لا يريد.

---

[29] أنظر دراستنا " اختراع التاريخ في رواية اختراع القفار للطاهر جاعوط. مجلة كلية قسم اللغة العربية و آدابها ، العدد 15 ص 130

فاللغة لم تعد ذلك الكائن الذي تعودنا عليه ورضعنا من حليب نصوصه وبكينا مع وقفات شعرائه وتيه فلاسفته وانكسارات متصوفته. إن اللغة وكل لغة صارت تفاوض تجديدها وتجددها بالنظر الى ما يفرضه سلطان الصورة على شبكات الاتصال والتواصل الحديث.

لغة الصورة و صورة اللغة :

إن الصورة في سياق هذا التحليل ليست ذلك الشكل المتداول والحامل لعلامات ودلالات الشيء مجسدا ملونا وإنما صارت في إطار مفاهيم علوم الاجتماع والاتصال تحيل إلى ذلك السيل المتواترة صوره ورموزه و خطبه ودلالاتها تنتهي بصناعة رأي أو تحديد أحكام ورسم مكانات قد تمس شخصا أو أمة أو ظاهرة أو قضية. فالصورة بهذا المعنى إحالة إلى واقع هوية ووضع ثقافة أو سمات ظاهرة. فحضارة الصورة زحزحت صورية النص وسلطانه بل وهي في طور تحجيم سلطانه في صناعة القيم والآراء التي هندست الصور الذهنية والفكرية والقيمية القديمة ورسمتها معابر بين الثقافات والأمم فكان للغة من حيث بيانها وللنص من حيث بلاغته وللقول من حيث سلاطته والخطابة من حيث فصاحتها، النصيب الأوفر في صناعة صور الحضارات ومكانة الأمم وميزات الثقافت. أما اليوم فالنص ولغته قد تحولا تدريجيا إلى ربيب لأدوات تعبيرية مستلهمة خيالها من المخيال الفني التشكيلي العتيق ومستعملة آلة التصوير التقني الذي جعل الصورة محكا لتصوير الأحداث والواقع و مصدرا أوليا لمصداقية الخبر.

إن الاتصال النصي والإعلام المكتوب لم يعودا من حيث الصناعة والانتشار وبخاصة من حيث التأثير، قادرين على صناعة الرأي وتوجيهه مثل الاتصال السمعي، فكان تحريرها أسهل واسبق عن تحرير الاتصال التلفزيوني

الذي ينعت ب"الاتصال الثقيل" بالنظر إلى قوة تأثيره في صناعة الرأي ونشر القيم.

إن هذا المسار المشهود والمشاهد في عالم الاتصال والمرتب صناعة ومقاصد ونهايات بمجتمع المعرفة جعل كل لغات العالم أمام تحديات ما حدثت من قبل، إنه بصدد فرض لغته الاتصالية والتعبيرية التي تقتضيها الصورة وتفرضها السرعة وتتطلبها جماليات التعبير الصوري وليس النصي كما ساد حتى الآن.

اللغة العربية ورهانات الاتصال الحديث

إن كان ثابتا اليوم للباحثين أن مجتمعات اللغة العربية من عرب أو ممن أندمج واستعرب لم تتمكن بالرغم من الهبة النوعية التي طبعت فضاء النهضة ورسخت بموجبها علامات العودة إلى الذات وإلى العلم منذ مطلع القرن العشرين، إلا أن دخول حلبة التنافس العلمي الخلاق الموجه ليس لاسترداد عذرية هوية وإنما لتسطير طريق نماء حضاري قائم بذاته لم يثمر لا نماذج تنموية ولا خلاص هوية وإن لزم الإشارة إلى ذلك، التأقلم شبه الخصب الذي أظهرته حواضن اللغة العربية مع ما تقتضيه النهضة العلمية والتقنية سواء استيعابا أم دلالات ومفاهيم.

فإن تعذر على الدارس تقويم تفاعل اللغة العربية تعبيرا ومدونة مع إفرازات الصناعات الثقافية التي تمثل اليوم الوعاء المرجعي لمجتمع المعرفة ومنظوماته الاتصالية قيما ومواد وفلسفة،

فإن المشهد الثقافي العربي يوحي بجملة مؤشرات قد تكون معالم لطرح الفرضيات الممكنة التي تخص مصير اللغة العربية أمام مقتضيات مجتمع المعرفة الكوني.

فلقد أدت نهضة الطباعة و صيت الإذاعة وثقافة الصحافة إلى تحول عميق ساهم في حفظ المنونات من التراث العربي العتيق حيث انقض من التلف الرأسمال التراثي العربي وهو يغذي اليوم المنظومات الثقافية كلها.

إن هذا التخصيب بين تقنيات الاتصال ومراجع الثقافة العربية قد مكن الوجدان العربي من التلاحم مع مقتضيات السؤال وفكر الإشكاليات الذي تبخرت بحيرته ونشفت مصباته، فكان أن ساير بخوف الأسئلة المحرجة التي طرحتها تحديا الحداثة البشرية المعاصرة.

وبين الخوف والانطواء والانثناء أمام مغامرة العقل الحديث والاستنارات المنبعثة من أرحامه أو الآتية أضواء من الأرحام الثقافية الأخرى، استنار العقل العربي فدخل بلغته متكئا دوما على لغات أخرى، سياق المحاكاة وسباق العبقريات التي نال منها ما نال من الثمار التي تسهم إلى قدر كبير في صناعة حضارة البشرية التي يتبجح الغرب كعادته أنه صانعها الأوحد.

إن اللغة كل لغة مثلها مثل المرأة القابلة على الولادة تزحم بمفاهيم فضفاضة وتقريبية لكنها تنتهي في سوق التداول المعرفي لتصبح مولودا لغويا وهي بزخمها تزاحم اللغات الأخرى وتحاكيها.

فاللغة العربية لا تحتاج شهادة إثبات هوية من باب أن تاريخها ارتبط بتواريخ حضارية عظمى كانت اللغة فيها شهاب العبقرية ومنارة التنفس والتنافس الحضاريين[30]. ففي جهدها التأصيلي والأصيل تحيل اللغة العربية إلى حالة عبقرية لم تسعفها البيئة ورهانات صراع الأمم أن تتربع على عرش الحضارة إلا باقترانها الحيوي بالظاهرة القرآنية وما تمخض عنها من فتوحات

[30] دراسة دور مدرسة طليطلة في الترجمة و التي انطلقت منها النهضة العلمية الأوروبية. فكان مؤسس جامعة اكسوفرد قد تعلم فيها و اعترف في كتابه أنه تعلم المنطق من العرب.

فلسفية وعلمية انتهت إلى حضارة طبعت هوية اللغة العربية قبل كثير من اللغات التي صارت اليوم تحاكي الحضارة ة وتتماهي فيها بندية وإبداع.

فمن باب أنها لغة هوية[31] وتحمل كل مقومات هوية لغة، فإن اللغة العربية تبقى لغة استنهاضية لا تجف خمائرها ولا تعفن، بل قد تنحصر أو تحاصر لكنها ومن خلال علاقة مد وجزر مع الفكر والحياة، لا تلبث أن تشرق من جديد كلما عاد أهلها الى رشدهم وديدانهم.

فمجتمع المعرفة سيطرح على اللغة العربية وجموع المجتمعات الناطقة بها رهانات تكاد تكون تحديات، بعضها مرتبط باللغة كلغة وبعضها مرتبط بالمجتمع ونمائه.

فمن حيث تحديات اللغة كلغة وظيفية وتعبيرية يتضح وعلى ضوء علاقة اللغات الأخرى بذاتها أي كونها لغة موضوع لعلوم اللغة، فإن تطوير اللغة لا يقتصر على المجهود الإحيائي التراثي الذي يحصر المسائل في قدرة الماضي على خدمة الحاضر والمستقبل وإنما الأمر يتعلق بما يسمى إستراتيجية اللغة نفسها كعمل علمي، ولغة الإستراتيجيات كون المسالة اللغوية تمثل عاملا من عوامل الجيواستراتيجية المعاصرة.

وعليه لا يمكن للغة العربية أن تدخل رواق السباقات التي يفرضها مجتمع المعرفة إلا إذا فعلت البحوث العلمية الحديثة في أمر سلطان بلاغتها و ذلك:

1- تطوير القواعد المنطقية والخطابية التي يقتضيها الاتصال الحديث.فالدراسات اللغوية الأكاديمية التي تعج بها البحوث الجامعية وإن استلهمت وإلى حد بعيد نظريات اللسان الحديثة، فإنها لم تتمكن وحتى الآن من

[31] محمد الطيبي " العرب الأصول و الهوية" راجع الفصل الخاص بعرب اللغة. دار الغرب وهران

احتواء الإشكالية المعرفية للغة العربية واكتفت بالساق الساق بالساق دون أن تفتح للمعرفة التنظيرية كما هو بالنسبة للغات الأخرى لا شأنا ولا آفاق،

إن بحوثنا في مجال علم اللغة العربية لم يندمج بعد في المقاربات المتعددة الاختصاص التي تتقاسم اللغة مواضيع و إشكاليات ليس لدراستها كلغة وإنما لاستنطاق دلالاتها واستخراج مخزوناتها ونقد مفهوماتها بغية نقش معاني جديدة للتراث.

2- توسيع القواعد الاجتماعية للتواصل، إن اللغة ليست مجرد مدونات تعبيرية وإنما هي حاضنة المعاني وحاضرة التداول البشري. ولا يمكن لأية لغة أن تهندس خارج الفيض الاتصالي الاجتماعي الذي يغذيها بذاتيه وتغذيه بمعانيها.

3- نسج علائق للقواعد التداخلية في عمليات تسيير التداول والتبادل في مجال الاتصال والتبليغ ، وهي متابعات علمية لنجاعة الاتصال بلغة من اللغات تكشف عن فعالية التبليغ وقدرة تغطية المعاني و توفير ما يمكن أن أسميه الأريحية اللغوية[32]

4- تنويع الخمائر المعرفية وتوسيع قواعدها الاجتماعية مع انتشار سريع للتحصيل الثقافي بالوساط الاتصالية الحديثة.

هذه الخطاطة قد تمثل معالم إستراتيجية لغوية استباقية بالنظر إلى أن التقويم اللغوي قد خرج عن سياقه المعتاد متجاوزا اللغة كبنيات متجها نحو فعاليتها في منظومات الاتصال العلمي والمعرفي. إن التدفقات الإعلامية والمعلوماتية قد تغرق اللغة أو تحيدها فتفتقد قدرات المواكبة فتحل محلها لغات تخترق ثم تحتوي يوميات التواصل وتفرض عاداتها على عادته. إن الرهانات

[32] إنه مفهوم شخصي يمكن ترجمته Le confort linguistique

هنا لا تفرضها شعارات هوية و لا خيارات جمالية و إنما الحاجة إلى فهم دقيق وعميق للخطاب المعرفي و وثوب سريع إلى مدونات التبليغ والإخبار.

إن اللغة العربية وبالنظر إلى رأسمالها اللفظي وبنياتها الاشتقاقية وقدراتها التصويرية وملكاتها التوليدية، إن دخل أهلها معترك مجتمع المعرفة وتموقعوا فيه بصفة من الصفات،

قد تفي وإلى حد بعيد متكئة على سيولة اللغة الوافدة إليها من لغات العلم الأخرى، بمتطلبات الاتصال ومتطلبات التواصل التي قد يفرضها مجتمع المعرفة. إن الحالة اللغوية العربية ليست هي حالة اللغة العربية، فثمة مسافة يتعين دراستها بين المدونة اللغوية العربية من حيث منطق استيعابها للحالات المعرفية الوافدة تواصليا والخيال اللغوي العربي من حيث احتوائه لموروثه اللغوي من جهة ومن حيث توظيف هذا الموروث إبداعيا في استيعاب المعارف سواء المنتجة أم الوافدة. ليس ثمة مجتمع حي يعيش ويحيا خارج رحى الإبداع ودون ديناميكية تفكير تكفل نظم عمرانه وتطوع ذهنية إبداعه وترقي مخيال تصوره لذاته ولوجوده ولغيره من أنماط العمران البشري، فمن حال اللغة العربية اليوم وبغض النظر عن قدراتها الاختراقية لمنظومات المعارف والعلوم أنها أثبتت وبلا منازع ازدواجية بعدها، البعد الهوياتي والبعد الشبه عالمي حاليا والعالمي بتفوق ماضيا.

فإشكالية العلاقة بين اللغة العربية ومتطلبات مجتمع المعرفة ليس تحيل الى مشكلة وإنما إلى إستراتيجية لا يمكن تناولها سوى خارج القطعيات من الأحكام بالارتكاز على مساند متعددة من الفرضيات وإلا دخلنا عالم الهوس الفكري الذي أصاب منطق التفكير العربي منذ زمن صارت الأجيال تفاوض بعسر التخلص من تبعاته على ما يسمى مجازا "العقل العربي"

فليس مجتمع المعرفة قدرا قد يفرض قولبة الثقافة وعولمة القيم وإنما المسالة تكمن في أن مجتمع المعرفة قد يفرض تراتيبيات حضارية جديدة قد نتوقعها أو قد لا نتوقعها. ذلكم أن احتكار المعرفة لا يتطابق من حيث منطقه و فضاءاته منطق احتكار التكنولوجيا. فمن علم الآلة تتزحزح البشرية الى علم المعرفة التي تعيد رسم الخارطة البيانية و التراتيبية للنشاط البشري وما يقتضيه من اقتصاديات ذات مرجع تراكمي وتبادلي جديد.

لا شك أن مجتمع المعرفة سيكون مجتمعا مفتوحا أو لن يكون، تفتح فيه فضاءات تنافس العقول وحوارات العبقريات وبكل اللغات، دافعة بوتائر التنمية إلى تقاسميات نفعية وتقسيمات جديدة للثروات البشرية التي **سوف لن** ينتجها عقل أمة بمفردها وإنما ستتكاتف عقول الأمم كلها على تطويرها وتنويعها و توزيعها، هي الأفق التي يجب أن ننظر إليها لأن احتكار الحضارة ضرب من السراب والعزلة اللغوية وهم و انغلاق الثقافة عجز وتبديد النخب انتحار.

فإن سار فلاسفة العرب اليوم في خط النقد العقيم لرهانات مجتمع المعرفة، فإن سوق هذه المعارف ستغرق أسواقنا وأحلامنا حيث يخرج النقد عن مصبه والعقل العربي عن صوابه وتغيب مصادر الوعي المنافس الذي يضبط عقارب الزمن العربي والإسلامي على سرعة ساعة الزمن المعرفي. لقد تجشم فلاسفة مدرسة فرونكفورت الألمان[33] من أمثال هوركخامير و[34]أدورنوا وهاربيرت ماركيز، عناء نقد الصناعات الثقافية التي سلّعت الثقافة وجمهرتها وابتذلت كثيرا من رمزياتها، لكن التاريخ، تاريخ الاتصال والمعارف أنصف بول لازارسفيلد الذي ادمج الصناعات الثقافية في المشروع التحديثي في الولايات

[33] Voir H. Marcuse « pour une redéfinition de la culture » édition De Minuit.
[34] « Les industries culturelles » les éditions Unesco p.3

المتحدة الخارجة لتوها منتصرة من الحرب العالمية الثانية بأقل الخسائر وأكبر الغنائم.

إن مجتمع الخوف والمجتمع الخائف، يضيع دوما موعده مع فرص التاريخ من حيث أنه لا يمتلك إرادة إدراكه لها ومن حيث انه وبحكم افتقاده لأدوات المنافسة، قد يتكاسل فيذهب بعيدا في تأويل الخوف وتبرير الفشل دون أي بحث موضوعي في منطق الفشل.إن من أهم الموضوعات المغرية والمفيدة في علم اجتماع العرب اليوم هو علم اجتماع الخوف وعلم اجتماع الفشل والهزائم.

إن سوق مجتمع المعرفة لا يحتاج إلى الوسائط التقليدية سواء من حيث توزيع سلعه أم نشر معارفه. فسلطة المكانة العلمية لن تشفع منظومة الشهادات العلمية والألقاب البراقة التي فرضت أحيانا تراتيبيات مشبوهة وسلطا موبوءة وتحايلات مكشوفة.

فمجتمع المعرفة لا تتأقلم فيه ولا معه الرداءة بكل أنواعها ولا تتعايش معه التوافقيات القائمة على التواطؤيات المناقضة لفعالية الفكر والكفاءة. فالحاكمية لا يقاس رشدها إلا من حيث قدرتها على تسيير مشاريع إنتاج المعارف والعلوم والحاملة في مضامينها وأهدافها فلسفة خالصة لمفهوم التقدم و المدنية والحداثة المتوهجة عبقريتها والمغامرة بقيمها.

إن أطروحة عرقية الذكاء قد فشلت بالرغم من نعيق منظري صدام الحضارات وإنما الأمر يكمن في كون اللغة أي لغة قد تسهم في تأجيج نار العبقرية أو قد تدفع بالناس إلى الوقوف على الأطلال والغوص في شرنقة مشاعر الذات المنهكة. إن المجتمع الذي لا يشغل مصفاة الذكاء و العبقرية لن يزدهر مهما كانت ثرواته و حتى ثوراته. هذا التشغيل يقتضي بالضرورة قبول الانقلاب المنتظر في سلم الترتيب الاجتماعي الذي يقتضيه سلطان المعارف

وقدرات الفكر ومقدرات الإبداع. هذا المنحى لن يتأتى سوى إذا أدمجت العلاقات المعرفية في النظم الاجتماعية لتطور من جانبها وكتحصيل حاصل نظم العمل وقيمه، واستراتيجيات التسيير والتكفل وأدواتها وعلم اتخاذ القرار وأسراره.

إن كنوز اللغة العربية لا تحدها سوى ضفاف الخيال العربي الممتد إلى مخيلة العرب البائدة بالرغم مما فيها من علامات زائدة حوتها اللغة وتجويفات الأسطورة وأثر الفعل البشري.

إن اللغة العربية وبالنظر إلى بنياتها قد برهنت على أنها لغة مطواعة ومطوعة. مطواعة من باب قدرة تناسقها مع المعاني المولدة في عبقريات أخرى ومطوعة من منطلق تمكنها من احتواء الفكر البشري اليوناني والفارسي جاعلة منه رديفا وليس مرادفا لعبقريتها.

ليست مكانة اللغة العربية ومستقبلها الحضاري مرهون بالتحديات التي سيفرضها لا محالة مجتمع المعرفة الذي سيكون متعددا و متنوعا أو لن يكون، وإنما رهاناتها كمنت وتكمن في فعالية العبقرية العربية ليس كقوة منغلقة و إنما كرافد مساهم في نهضة البشرية كلها.

يكشف مسار اللغة العربية كمنبع عبقرية بشرية وكقوة تعبيرية ورمزية على أطروحة في غاية الأهمية. إنها ليست كامنة لا في لغة النقل ولا في مكانة العقل وإنما في إشكالية إنتاج المعرفة منهجا وتأويلا وهذا قبل أن يظهر مجتمع المعرفة كمفهوم. وتتوزع إشكالية المعرفة على محاور ثلاث:

1- تزحزح العقل العربي مسلما و مسيحيا من فكر الإشكاليات نحو فكر المشاكل. ولهذا غرق في بحر التحريم والتحليل فتعلق بالنوازل وتناسى النواظم.

2- الغموض المقصود والمستمر في مفهوم الاجتهاد الذي حصره الفقه في حيز المعاملات والملامات فغابت عنه العلامات التي تنير سبل القوة وتزيح

ثقافة الخوف. وبقدر ما توسع فقه التخلف تخلف فقه القوة ومعه أصلا قوة الفقه كما رسمتها أصول الدين الإسلامي وجسدتها عبقرية أجياله الأولى.

3- الإجهاضات المتتالية للمدنية الإسلامية سواء بسبب العوامل الداخلية أم بسبب العوامل الخارجية، فليست الأيديولوجية هي من يصنع سلم تراتيب اللغات و إنما الفكر سواء التجريدي أو العملي التي تولده حواضن المدنية جاعلة منه رأس حربة حضارتها و مسوغ قوتها ومبرر أفعالها وأعمالها.

فإن كانت" فرصة القوة" و"قوة الفرصة" بالنسبة للعربية تكمنان في ارتباطها بفضاء المقدس وبذلك تبقى معبرا لا يمكن الاستغناء عنه في أمور الاستلهام الديني والتعبير الوجداني، فإن لغة مجتمع المعرفة لن تكون لا واحد ولا وحيد. من ذلك أن نخب المستقبل لن تكون لا واحدية اللسان ولا مزدوجة.فحقول اللغة ستفجرها التحولات المرتقبة للخارطة الجيوسياسية المستقبلية والتي بدأت معالمها تتضح من خلال صراع الوجود والتواجد بين الفضاء الغربي عموما والفضاء الأورأسيوي[35] الذي يجمع روسيا وبقية صقور آسيا الحاليين والقادمين.

وختاما تبقى اللغة مجرد تركيبات لعلامات ورقمنتها اليوم ليس سوى عمل تخزيني معلوماتي تخضع له كل اللغات. واللغة العربية وبالنظر الى مخزوناتها وبنياتها وحتى مرفولوجيتها ليست عصية لا على الرقمنة ولا على مواكبة متطلبات التقدم الحضاري الذي سيكشف عن بعض من ملامحه مجتمع المعرفة، ففي معرفة اللغة تتجلى أيضا لغة المعرفة، وفيهما و بهما تتخصب عبقريات الأجيال التي هي الآن في مسار تلاقحي غير ظاهر لكنه سيثمر يوما نخبا قد تكتشف أكثر من غيرها جوانب من عبقريتها في عبقرية لغتها العربية.

[35] Eurasie

من إشكالات اللغة إلى إشكالات الوعي!

أ.د/هاني نسيرة [*] –

الإمارات العربية المتحدة

إن السعي لتمهيد وتعبيد الطريق نحو مجتمع المعرفة، وأهمية نشره باللغة العربية، أمر مهم بل وفي غاية الأهمية، كما هو شأن ندوتنا الكريمة تلك، فهو سعي للتحقق الهوياتي لأمة تحيا أزمات الهوية، والشرعية والديمقراطية، تحيا لحظة نهضة متوترة، وممتدة منذ أخريات القرن التاسع عشر وحتى الآن، لم تتحقق بعد .

وصارت كل أنظمة الخلاص العربي التي طرحتها مختلف الأيديولوجيات العربية المعاصرة محل تساؤل واهتزاز كذلك، بعد أن فشلت كل وعودها بالوحدة والحرية والاشتراكية بل وبالديمقراطية المستوردة المهندسة المحمولة على بنادق نابليون، أو بوش .

أميل كل الميل إلى أن سببا رئيسيا وجوهريا من أسباب نهضتنا العربية منذ عهد محمد علي ،مرورا بخير الدين التونسي، وجمال عبد الناصر، وغيرهم، أنها كانت دائما طرحا فوقيا ينتمي لبنى السلطة الحاكمة، دون أن تتعمق وتتجذر في ثقافة المحكومين .

من هنا عاد الرهان أدراجه صاعدا من الناس– المجتمع للجماهير، ومن الجماهير للدولة والسلطة، صارت المعرفة هي السلطة كما يقول توفلر، لم نعد في عهد القادة الأفراد والأنبياء الأبطال كما كان يقول ميشيل عفلق، فقد ختمت النبوة، وصار مكان الأبطال كتب الملاحم فقط.

---

[*] إعلامي وباحث بمركز "المسبار" للدراسات والبحوث بأبوظبي، له دراسات منشورة في المجالات العربية، وقد تخصص في الكتابة عن الحركات الإسلامية .

كتب الملاحم وتاريخ الأبطال، هو التاريخ الصغير الذي حكم التاريخ وكتابته منذ عرفنا التاريخ، ولكن صار هناك تاريخ كبير هو تاريخ الجماهير الإلكترونيات.. الأفراد والتجمعات المدنية والأهلية شرط للنهضة فيما صار يعرف بالحوكمة إو إدارة الحكم الموسع Governance ، كل المسائل صارت شراكة بين الدولة والناس، كما أن حركة التاريخ صارت تصعد في جدلية متشابكة بين الفوقي والتحتي، كما أنها لم تعد قابلة للفصل بين الداخل والخارج كذلك .

مجتمع المعرفة وتحققه هو معلم واضح للنهضة العربية الثالثة التي ضاعت معالم حقبتيها الأولى والثانية، مجتمع المعرفة هو العاصم من التعصب على مستوى التشكلات المجتمعية والمذهبية داخل كل دولة، بما يرسخه من الروح المدنية Civil Spirit وقيمة التسامح ، كما أنه الطريق للتنمية التي صارت حقا إنسانيا في ظل الجيل الثالث لحقوق الإنسان، كما تمثل المخرج من التأزم السياسي، والاقتصادي، داخل الدولة العربية المعاصرة .

فالعالم العربي الآن على هامش الفعل التاريخي ،عولمة قانونها هو الانفتاح التنافسي الذي لا يصلح معه الاقتصاد الحمائي ولا المنطق الهوياتي المنتفخ والمنغلق عن حركة المعرفة والمعلومات والإلكترونيات .

ولكن نود أن نؤكد قبل عرض ورقتنا وأهم محاورها أن ثمة فرقا بين مجتمع المعلومات ومجتمع المعرفة، فحسب تقرير اليونسكو عام 2005 والذي صدربعنوان (من مجتمع المعلومات إلى مجتمع المعرفة)، والذي أكد أنه "لا يمكن اختزال مجتمعات المعرفة إلى مجتمع معلومات :"لا ينبغي لبروز مجتمع عالمي للمعلومات، باعتباره ثمرة لثورة التكنولوجيات الجديدة، أن ينسينا أنه لا يصلح إلا وسيلة لتحقيق مجتمع حقيقي للمعرفة، فازدهار الشبكات لا يمكن له

وحده، أن يقيم قواعد المعرفة. لأنه إذا كانت المعلومات فعلا وسيلة للمعرفة، فليست هي المعرفة .

فمجتمع المعلومات هو مجتمع تتوفر فيه وسائل المعرفة، أما مجتمع المعرفة نفسه فهو مجتمع الوعي المعرفي، والتنموي، والمدني، القادر على الإبداع، وعلى التجاوز في آن واحد .

لذا رأينا أن تقوم ورقتنا حول العلاقة بين مجتمع المعلومات ومجتمع المعرفة، بين مجتمع الوسائل ومجتمع الغاية، وحين نتكلم عن الوسائل فنحن نتكلم بشكل كبير عن اللغة، وعن التعريب، ولكن حين نتكلم عن مجتمع المعرفة فنحن نتكلم عن الثمار، عن قيم مجتمعية معرفية جديدة، عن قيمة الفرد والأخلاقية المسئولة، وعن قيمة الرأي العام، وتطورات تشكله عبر مجتمع المعلومات ومنطق الشفافية Transparency عن قيمة التسامح، والتفكير العلمي، وتجاوز الانتماءات الأولية المغلقة، عن مجتمع الفعل والإبداع.. الخ .

وقد رأينا أن يكون عنوان ورقتنا هو " مجتمع المعرفة من إشكالات اللغة إلى إشكالات الوعي "وقد رأينا أن تكون على المحاور الآتية:

المحور الأول :مجتمع المعرفة وتحقق الهوية: غياب إشكال التعريب :

حيث تنطلق هذه الورقة من فرضية أساسية هي أن مجتمع المعرفة لا يواجه مشكلة هوياتية فهو مجتمع متحقق، متصالح مع تراثه، وعصره ، متى تحقق في العالم العربي، ومجاله بالأساس هو الوعي، والثقافة السائدة، التي لا يمكن اعتبارها وحدة مصمتة لا تقبل التطور ولا يؤثر فيها التراكم ولا الانفتاح على الآخر، كما أن لغته وهويته لا تمثل عائقا ولا حائطا في هذا التعرف والاستفادة والإفادة في ظل العولمة التي لم تعد تعترف بالحدود، ولا تغيب عن لحظة من لحظاتها الصورة..التي تسكن هذا الوعي .

المحور الثاني: مجتمع المعلومات .. بقاء إشكال التعريب :.

والفرضية الثانية التي يسعى البحث لمناقشتها والتعاطي معها هو أن مجتمع المعلومات تبقى فيه إشكالية التعريب، والهوية، لأنه يستخدم آليات التعلم والتعليم، والتعرف والتعريف، وهو يعيد الإشكال القديم في تعريب العلوم، ولكن مجتمع المعلومات ما بعد الحديث وما بعد الصناعي، أسرع بمراحل من مجتمع العلم الحديث قبل الدخول في مرحلة الذكاء ما بعد الصناعي، كما أن آلياته وهياكله ليست ضد هوياتية، بل يمكن تشكيله بمختلف اللغات وتتيح فضاءاته ذلك، ولم يعد سهلا حجب هوية أو ثقافة ما عن الحضور فيه، ولكن في مسألة التعلم نطرح مراحل تمهيدية قابلة للنقاش، فالمتعلم المبتدئ غير المخترع الذي يمكن أن يجعل للغته السلطة، غير المتوسط الذي يمكن أن يجمع بين أكثر من لغة، ولكن لا شك لا يجوز الانقطاع أو الانغلاق على التعريب كلية .

المحور الثالث: آفاق مختلفة.. من ثبات اللغة إلى إبداع أصحابها.

وفيه نقرأ بعض الجهود والأطروحات في تكوين مجتمع معرفة عربي، وموقف اللغة في هذا الاتجاه، بدءا من تقارير التنمية الإنسانية العربية وكذلك بعض أطروحات المراكز البحثية الأخرى، محاولين الخروج بمعالم واضحة نحو كيفية تشكل مجتمع معرفي عربي، هي كما أكدنا سبيلنا العملي، وربما الوحيد، لاستعادة دور فاعل في التاريخ والسياق العالمي، بعيدا عن ضجيج الكلامولوجيا العربية التي سادت في حقب سابقة .

الفصل الثالث: وسائل بناء مجتمع المعرفة

نحن والثقافة العلمية

أ.محمد سعيدي[*] ، جامعة الجزائر

السؤال البديهي الذي يُطرح عند إثارتنا لموضوع الثقافة العلمية هو: هل لنا نحن العرب، ونحن نعيش عصر الثورات العلمية التكنولوجية المتدافعة، ثقافة علمية وفي أي مجال من مجالات حياتنا تنعكس هذه الثقافة، وبداهة كذلك، فإن الجواب عن هذا السؤال واضح؛ إننا لا نملك هذه الثقافة؛ وبالتالي فإنها لا تنعكس لا في حياتنا العامة ولا في تسيير شؤوننا، وهذا ما يجعل طرحنا للموضوع أكثر ضرورة وإلحاحا.

وهناك قضية أخرى ينصرف إليها الذهن؛ هل توجد هناك ثقافة علمية وثقافة غير علمية، وأين حظنا من هذه وتلك، هذا إذا كان البعض منا ما يزال يفرق بين الطابع العلمي للعلوم الدقيقة، والطابع اللا علمي للعلوم الاجتماعية، والعلوم الإنسانية بالمصطلح الكلاسيكي. وقد يشير الذهن لدى البعض منا، ويذهب به بعيدا إلى ذلك النقاش الذي كان يجري منذ اصطدمنا مع الغرب وأدى إلى تلك الثنائية الثقافية؛ بل والجغرافية: ثقافة غربية مادية، وثقافة شرقية روحية. وإلى الحكم القاطع؛ الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا أبدا.

ودفعا لهذا التشويش، الذي هو واقع فعلا، والذي يفصل بين حدود، هي بطبيعتها مستحيلة الفصل؛ نستعرض في هذه المواضيع في تداخلاتها وتفاعلاتها المتشابكة، فالثقافة العلمية البحتة المنحصرة في المعارف والعلوم الدقيقة التجريدية منها والمادية التجريبية التي بلغت ذروتها في الثورات العلمية التكنولوجية المتدافعة سِباقاً، والتي تصنع العالم المعاصر؛ بما تحدثه من توازنات وتغيير في موازين القوى؛ وتأثير حاسم في العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية عالميا، فمنذ أزيد من ثلاثة قرون وهذه الطفرة العلمية

[*] [37] باحث جزائري وإعلامي، وسفير سابق له دراسات وبحوث من مؤلفاته من الاستقلال إلى الحرية

التكنولوجية الهائلة تغير حياة المجتمعات في معاشها وعمرانها؛ وتفعل فعلها في أنظمة الحكم والحياة السياسية، وفي وضع الجيوش، قوة وتنظيما، وجعلت الوفرة المعرفية التطبيقية والنظرية في العلوم التجريبية الدقيقة، وفي العلوم الاجتماعية المختلفة. كل هذا يتسارع بتلك الطفرة عبر الحروب والصراعات على النفوذ، والتوسع الجغرافي، واحتكار الثورات المادية التي يزخر بها كوكبنا المعطاء.

وكان للحرب العالمية الثانية، بما وقع فيها من تطاحن بين الإرادات، وما أحدثته من دمار بشري، تأثير حاسم في النقلة العلمية النوعية التي صاغت، ومازالت تصوغ العالم المعاصر الذي نعيش فيه، بما يحتويه من تعارض بين الإرادات، وتناقض رهيب بين قوة علمية تكنولوجية هائلة تدفع كل شيء إلى خير الإنسان؛ وبين قوى الشر والأنانية التي تدفعه إلى الجبروت والهيمنة، ومحق الآخر، وإذا كانت هذه الحرب قد انتهت بهزيمة النازية ماديا، وأزاحت الدول الاستعمارية التقليدية/فرنسا وبريطانيا/ من مواقعها، مما مكن الشعوب المستعمَرة من نيل استقلالها، واسترجاع سيادتها، فإنها لم تقض نهائيا على النزعة النازية والعنصرية، وبذور الشر الكامنة في الإنسان، ورغم أن تكوين هيئة الأمم المتحدة، بفروعها المختلفة، بعد تلك الحرب، والتي كان هدفها إزالة الحروب من فوق كوكبنا، ووَعد الإنسان بالحرية وتقرير المصير، وصيانة حقوقه الأساسية، إلا أنها خلقت شروطا لعالم جديد من التوتر، والحروب الجهوية والإقليمية التي لا تنتهي، والصراع المحموم بين القوى الكبرى حول النفوذ السياسي والاقتصادي والعسكري، بل والثقافي، كل ذلك تحت عنوان الحرب الباردة العنيفة بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي، أو تحت النظام الدولي الجديد المشحون بالقلق، وأخطار المجهول بعد نهايتها، ومن الغريب أن الفاعلين في الأحداث المأساوية الحالية، هم أولئك الذين أوقدوا الحرب العالمية

الثانية، وحددوا مكاسبها؛ وهم الذين أنشأوا الأمم المتحدة؛ وهم الذين يهيمنون على قراراتها؛ وهم الذين يتحكمون في مصير العالم.

والذي يعنينا هنا، ليس تفاعلات تلك الحرب وما أعقبها من حرب باردة، وحروب إقليمية وجهوية ساخنة، وما أحدثته من تغيير في موازين القوى، الذي يعنينا هنا الثقافة العلمية التي نتجت عن ذلك، ذلك الحافز الكبير الذي دفع الدول الكبرى التي شاركت في الحرب العالمية الثانية؛ المنتصرة والمنهزمة إلى الاندفاع في تعزيز البحوث العلمية في الجامعات ومراكز الدراسات والبحث العلمي، بمختلف فروعه؛ بهدف التفوق العسكري؛ بتطوير وتكثيف أسلحة الدمار الشامل؛ خاصة النووية منها والبيولوجية–الكميائية، مع الآلة الحاملة لتلك الأسلحة من بواخر وطائرات عملاقة، مع التفنن في ابتكار التجسس بواسطة الأقمار الفضائية، وغيرها من الوسائل الأخرى الخفية والعلنية، وقد وصل التنافس الشرس بين القوى العظمى إلى الأجواء الفضائية، واستراتيجية حرب النجوم اليرقانية المشهورة.

وقد كانت نتيجة ما جرى بفعل ذلك المسعى المحموم إلى التفوق العسكري هو ما أنتج ما يسمى بالثورة العلمية التكنولوجية، وفي سيطرة تلك القوى العظمى المتصارعة على البحار والمحيطات، والأجواء الفضائية مما خلق أوضاعا بيئية خطيرة أصبحت تهدد الحياة على كوكبنا العامر، ويثير إشكالات معقدة حول مستقبل البشرية، والذي يعنينا هنا هو أكثر تلك النتائج الهائلة التي أحدثتها الثورة العلمية التكنولوجية على الحياة المدنية، وبلورتها لمفهوم الثقافة العلمية، تأثيرها على الوفرة المادية، وبروز مجتمعات الاستهلاك، وامتداد شبكات الشركات متعددة الجنسيات التي تحكم قبضتها على العالم، وتفرض شروطها السياسية والاقتصادية، وحتى الثقافية، وتملي قوانينها

وتشريعاتها الخاصة، وما أحدثه عالم الكمبيوتر والانترنت في إلغاء المسافات، وأنماط التسيير الإداري والاقتصادي.

هذه الثورة التكنولوجية العلمية، بامتداداتها في الفضاءات العسكرية والاقتصادية والسياسية والمعرفية هي التي تشكل الثقافة العلمية في الغرب الأوروبي–الأمريكي، وتحدد معالم الثقافة الإنسانية، بافتقارنا إليها جملة وتفصيلا، ولم تعد هذه الثقافة العلمية المتجذرة عند حد المعارف العلمية الدقيقة، بل تعدّتها إلى العلوم الاجتماعية بمختلف فروعها، فأصبح كل فن منها، مهما كان تجريديا، يخضع للدقة العلمية الصارمة، بمناهجها وتحليلاتها ونتائجها؛ من اللسانيات إلى علم النفس، مرورا بالاقتصاد، والسياسة وعلم الاجتماع والتاريخ والحضارات، وأصبح كل شيء لدى المتحكمين في الثقافة العلمية يخضع لمبدإ عام؛ الدقة العلمية، والحقيقة العلمية، والروح العلمية والمنهج العلمي الصارم، وتقوم بهذا الدور، وتصحح مساره الجامعات، ومراكز الدراسات والبحث العلمي في تلك البلدان، وأي قرار هام يتخذ هناك على أي مستوى وفي أي مجال من مجالات الحياة المعاصرة يخضع لتلك المراكز، ويكون الرأي يُسيّر السلطة، وليست السلطة هي التي تضع الرأي وتسيره عندما تكون الثقافة العلمية غائبة.

يقول المهلب بن أبي صفرة ذلك القائد العسكري المحنك، عندما كان عند العرب عقل وعقلاء:

" البلاء كل البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه وليس لمن يبصره " يكفي الزائر لأي ولاية من ولايات أمريكا الكبرى، حتى ولو كانت الزيارة قصيرة وعابرة، ليرى كيف أن تلك الجامعات ومراكز البحوث العلمية مزروعة زرعا في قلب المدن وحولها في الغابات، مرتبطة ومتشابكة مثل الدماغ البشري الحي، وقد كان المحرك الأساسي لتلك الثورة العلمية التكنولوجية المتدافعة هو العقل؛

العقل المتحرر من تلك القيود الفكرية والعقائدية، ومن الأفكار والأحكام المسبقة، العقل الحر الطموح، المكتشف دائما، المتطلع، باستمرار، لاكتشاف أسرار المجهول، فهذا العقل هو الذي مهد للثورة العلمية التكنولوجية الحديثة، وهو معها يشكل الركيزة الأساسية التي يُبنى عليها العالم المعاصر بخيره وشره، هذا الترابط المحكم بين العقل والعلم هو الذي يدفع البلدان المتقدمة إلى التنافس في إنشاء المراكز المختلفة بهذه العلاقة وتأثيرها المتبادل، أي إلى دراسة التوافق بين الثورة العلمية التكنولوجية المتدفقة، وبين حركة العقل في مجالات الفكر والسياسة، وابتكار أساليب جديدة في تسيير أنظمة الحكم، وتجديد الأنظمة التربوية والجامعية، والأنماط الثقافية، وتفجير براكين الإبداع الفني والأدبي، كل ذلك حتى لا يبقى العقل البشري الطبيعي متخلفا، وعاجزا عن ضبط المتغيرات التي يحدثها العلم. وهناك مراكز أخرى مختصة في المسافات بين النظرية العلمية ودخولها إلى مجال التطبيق؛ وقد كانت هذه المسافة تصل، في السابق، إلى خمسة عشر سنة؛ وهي بفضل هذه الدراسات تتقلص سنويا، حتى لا يكاد يكون هناك فاصلا بينها ذا أهمية. وأن الصراع الشرس بين القوى المتقدمة في أمريكا وأوروبا وآسيا، يدور في هذه الفضاءات التي تشكل العصر المعرفي، أو عصر المعلوماتية.

وتسعى البلدان المتقدمة التي تزدهر فيها الثقافة العلمية إلى إخراجها من محيطها النخبوي الضيق، وترسيخها في القاعدة العريضة للمجتمع منذ الطفولة، عبر الوسائل السمعية البصرية الحديثة، ومن خلال الكتب المتنوعة ذات الطابع العلمي؛ المؤلف منها والمترجم، بأساليب تبسيطية ميسرة مع الصور الملونة؛ إضافة إلى النوادي العلمية في المدارس في مستوياتها المختلفة، مع الأنشطة الثقافية العلمية التي تنظم في المخيمات ومراكز الاصطياف والواحة، يكفي الواحد منا أن يدخل إلى أية مكتبة مختصة تبيع الكتب، أو لعب

الأطفال، أو بيع الوسائل السمعية البصرية ليدرك معنى انتشار الثقافة العلمية هناك.

وبالتأكيد فإن القاعدة الأساسية لتكوين ونشر الثقافة العلمية هي الأنظمة التربوية المتطورة والمتجددة التي تربي المواطن، ومنذ الطفولة على التفكير الحر، واستعمال العقل، وطرح الأسئلة، وممارسة النقد والتحليل فيما يقرأ ويسمع ويعمل، وبهذا أصبحت الثقافة العلمية جزءاً من وعي المواطن، يحدد سلوكه في الحياة، وعلاقاته بالمجتمع، بل وعلاقاته بالطبيعة، ويبقى السؤال المطروح علينا؛ السؤال المقلق والمحرج؛ هو ما حظنا نحن العرب من هذه الثقافة المتميزة التي تحكمها المعرفة، ويمحصها العقل، الثقافة في شكلها المعرفي الدقيق، وفي صيغتها الكلاسيكية القديمة؛ المُجسدة في أفكارنا وسلوكنا كأفراد ومجتمعات، وتسيير شؤوننا الخاصة والعامة، لقد كان العلم لما يقرب من ثلاثة قرون، أو يزيد، احتكارا على العالم الغربي الأوروبي–الأمريكي لكن، ومع اقتراب القرن العشرين، تكسر هذا الاحتقار، لتدخل دول جديدة، كانت إلى وقت قريب، تعد، مثلنا من البلدان النامية المتخلفة، سباق التنافس العلمي التكنولوجي؛ بلدان آسيوية جديدة أصبحت تثير قلق ومخاوف الغرب التقليدي، وربما ستكون القوى العلمية الطلائعية في المستقبل، فقد دخلت اليابان، والصين، والهند، وكوريا الجنوبية، وماليزيا، وجزئيا اندونيسيا، الباكستان، تركيا، وربما إيران مستقبلا العالم التكنولوجي من واسع أبوابه، وإذا كانت المسافة بينها وبين الغرب، ما تزال بعيدة، فإنها تتقلص تدريجيا مع الزمن، كما أن بلدانا هامة من أمريكا اللاتينية؛ المكسيك، البرازيل، الشيلي، الأرجنتين تسير على نفس النسق، وبقينا نحن وإفريقيا /باستثناء إفريقيا الجنوبية/ في المؤخرة خارجا عن مسيرة الزمن.

إننا نفتقد الثقافة العلمية لأننا ما نزال خارج الزمن، فلم تبلغ منا تلك الثقافة مبلغ النسيج العام للمجتمع، فهي معزولة عند النخبة، وربما غريبة عنها، كما هي غريبة عن المجتمع، فالشروط الضرورية لتكوين ثقافة علمية عصرية لم تتوفر لدينا بعد، وهذا رغم ميراثنا العلمي الغني بالمنجزات العلمية العظيمة: مارسنا العلم، وعرفنا اكتشافاته في وقت مبكر من تاريخنا، مارسناه بوعي، في صيغته العلمية الدقيقة، وفي مجالاته النظرية الإنسانية، بدون عقدة، وبدون غرور، كنا منسجمين، علميا وفكريا، مع أنفسنا، ومع العالم من حولنا؛ نؤلف، ونترجم، نفكر ونجرب، كان لنا علماء بارزون في سجل التاريخ العلمي الإنساني؛ الرازي الطبيب، ابن سينا الطبيب، وغيرهم، كان لنا فلاسفة ومفكرون، شعراء كبار؛ الكندي، الفارابي، ابن رشد، ابن خلدون، الجاحظ، أبو حيان التوحيدي، المتنبي، أبو العلاء المعري، وكان الجميع يتمتع بنزعة علمية أصيلة، كنا نملك ثقافة العلم، عندما كانت ثقافة الجهل والانغلاق سائدة في العالم، واليوم نفتقر إلى العلم وإلى الثقافة العلمية، في وقت أصبح العلم منتشرا في الطريق، بلغة الجاحظ "المعاني مطروحة في الطريق"

محاولات رجال النهضة الكبار تراجعت، بل يمكن القول أنها ذهبت أدراج الرياح، رفاعة الطهطاوي الذي أدرك مبكرا أهمية العلم، وتخلُّفنا فيه؛ فأنشأ مدرسة الألسن؛ وجعل اللغة العربية تقتحم ميادين الطب والهندسة الحديثة، تراجع مسار الطهطاوي العلمي التحديثي، كما مسار محمد عبده الإصلاحي، وإعادة العقل إلى التفكير العربي–الإسلامي، كما تقهقرت تيارات التنوير الكبرى: العقاد، أحمد أمين، طه حسين، محمد حسين هيكل، ليترك المجال لثقافة الأمية، والخرافة المعادية للعقل، في غياب ثقافة علمية عقلانية، تبعث فينا روح النخوة، وتحفزنا على التقدم؛ تضعنا في مسار العصر؛ تنظم مجتمعاتنا في نسق إنساني منسجم.

تبنى الثقافة العلمية على ثلاث ركائز رئيسية: العقل؛ الجامعة، والبحث العلمي؛ الثورة التكنولوجية في مجالاتها المتعددة، وهذه العناصر مرتبطة كليا بالتصنيع واستراتيجية الحكم، وسيادة الحرية، هذه الأمور كلها نفتقدها، ولا نملك سوى شكلها وقشورها؛ إننا لم ندخل العالم الصناعي بمعناه الواسع؛ وما نملكه من مصانع قليلة هو تركيب، ونقل لتكنولوجيا لم نبتكرها، فالبلدان المتقدمة التي تحدثنا عنها السابقة منها واللاحقة؛ اقتحمت عالم التصنيع من بابه الواسع، أما البلدان التي ما تزال خارج ذك العالم فلن تتقدم أبدا، وستبقى دائما، على الهامش، يستحيل اندماجها في العالم المعاصر، مهما وفرت من العصرنة الشكلية، لقد أُجهضت كل مشاريعنا التصنيعية الطموحة التي كان يمكن أن تخرجنا من التخلف، أُجهضت مشاريع محمد علي في مصر، رغم أنها كانت متقدمة على النهضة الصناعية اليابانية بأكثر من خمسين سنة، أجهضت بسبب تدخل البلدان الاستعمارية الكبرى، بريطانيا وفرنسا، وعجز الخلافة العثمانية التي كانت تعاني من مرض الانحطاط، لم يتمكن الأمير عبد القادر من إنجاز مشروعه الصناعي الذي تحطم بفعل قوات الاحتلال الفرنسي، تحطم المشروع الصناعي لثورة يوليو المصرية تحت ضربات القوى الاستعمارية الجديدة المتحالفة مع إسرائيل، تراجع مشروع التصنيع الجزائري الحديث بسبب الضربات الموجهة للثورة الجزائرية المنتصرة، وأصبحت المصانع القليلة المنجزة في مصر والجزائر، بعدما استكملت خبرتها الفنية والبشرية مجرد خردوات، معروضة للبيع في المزاد العلني للأثرياء الجدد، وللشركات الأجنبية التي تريد منا أن نبقى تابعين، ومجرد أسواق، ومناطق عبور، كيف يمكن أن تكون لنا ثقافة علمية عصرية، في غياب مشروع صناعي عصري، وهل يمكن أن تزدهر الثقافة العلمية، وتنتشر في المجتمع في بلدان متخلفة؛ ما تزال زراعية في الأساس، تركت الفلاحة، وريفت المدن، ولم تصنع الحضارة.

كيف يمكن ترسيخ ثقافة علمية عقلانية في أنظمة تربوية تفتقر لروح العصر والمعرفة الدقيقة، وإلى الفكر النقدي الحر؛ وفي جامعات تقليدية يغيب فيها العلم الدقيق، والمعرفة الصحيحة التي تنتج الذكاء وتنير العقل؛ جامعات تقبل التخلف والتعايش معه في وئام؛ كل ذلك في غياب نظام قوي ومنسجم للبحث العلمي؛ بمؤسساته، وتمويله، في نظامه وفي نتائجه، فالتعليم العام والجامعة يغرقان في مشاكل لا أول لها ولا آخر؛ نقص في التأطير الجيد، والوسائل البيداغوجية والعلمية الحديثة، مع الاكتظاظ، وظروف الحياة الطلابية، وأسلاك التدريس، في فراغ ثقافي عام رهيب، والموسرون، بمن فيهم الطبقة الحاكمة يبعثون بأبنائهم وبناتهم لمدارس الإرساليات الأجنبية، وجامعاتها أو للخارج، ونتيجة لهذا الوضع نجد العناصر المتفوقة والأكثر كفاءة تضطر للهجرة إلى البلدان المتقدمة؛ حيث يتوفر الجو العلمي والفكري الذي نفتقده عندنا.

إن شروط الثقافة العلمية، تقتضي اندماجا قويا بين العقل والعلم والتصنيع في جو من الاستقرار والحرية، فلا يمكن لبلد أن يدخل عالم الصناعة في غياب قاعدة علمية، ومناخ تُسمّم فيه الحرية ولا يمكن للعلم أن ينمو ويزدهر، بعيدا عن بيئة صناعية متكاملة، وقد انعكس الفراغ الصناعي والعلمي عندنا على قطاعات حيوية في الفلاحة، والخدمات، وإدارة البلاد بمنهج علمي متطور.

فالثقافة العلمية عندنا تصطدم بعقبات كأداء، ولا يمكن أن تتأسس بدون إزاحة تلك العقبات؛ عقبات الاستبداد، والحرية، والتخلف، فالاستبداد هذا الموروث الشرقي المتأصل، لا يحول دون الثقافة العلمية فقط، وإنما يتعارض معها تعارضا كليا، ويشكل حاجزا سميكا أمام تقدم أي بلد؛ بل يحوله إلى بلد مُقعد، مهما كانت إمكانياته المادية والبشرية، وقد تفطن لخطر الاستبداد أحد

رجال النهضة المستنيرين، هو المفكر العربي عبد الرحمن الكواكبي فلم يفلح كما لم يفلح من كان قبله ومن جاء بعده، وكان أبو العلاء المعري الذي كان شاهدا على موجه الانحطاط المقدسة التي بدأت تزحف على الثقافة العربية العقلانية، فحاول ردّها فلم يفلح، فأنشأ هذه الأبيات المريرة

كم وعظ الواعظون منا ..... وقام في الأرض أنبياء

فانصرفوا والبلاء باق ..... ولم يزل داؤك العياء

وانعدام الحرية، بالإضافة إلى أنه يقيد العقل، فإنه يُبلّد الذهن، ويورث الإنسان الغباء، غياب الحرية شل إرادتنا، وطبعنا بالجمود، والجبن والنفاق، أفسد الحياة الثقافية وجرّد السياسة، من مهمتها النبيلة؛ السياسة كرسالة تدفع المجتمع نحو التقدم، وأبعد الثقافة عن دورها في إنارة طريقه، انعدام الحرية أفقدنا مزية الحوار، والعامل المشترك؛ دفعنا للانغلاق الداخلي، وإلغاء الآخر الخارجي، ليس الإلغاء الإيجابي الضروري لحماية الذات، وإنما إلغاء الهروب من المواجهة، ومن الحوار المنتج، بما يقتضي ذلك من عُدة العقل والقوة المادية، لقد تجردنا من الطموح، ومن تلك الحيوية التي جابهنا بها المستعمر، ومكنتنا من تحقيق استقلالنا، وحرمتنا من الإبداع الفني والأدبي المنبثق عن الحرية– الإشراق.

رسوخ الاستبداد فينا، وسلب حريتنا، وحصار عقولنا جعلنا نعجز عن إزاحة التخلف كمرض مزمن يمسك بخناقنا، إننا لو رجعنا إلى الخارطة السياسية التي تشكلت بعد الحرب العالمية الثانية، لوجدنا شعوبا وبلدانا كانت متخلفة مثلنا وأكثر، وهي اليوم تشق طريقها بثبات، نحو التقدم، وتفرض نفسها على الساحة الدولية كقوة صاعدة، يُحسب لها حسابها في الاقتصاد والسياسة، وموازين القوة العسكرية، أما نحن فقد بقينا نراوح مكاننا، نجر تخلفنا وكأنه قدر محتوم، انهزمنا في الصراع العربي الصهيوني الذي فرض علينا، ليس عسكريا

فقط، وإنما معنويا أيضا، مما جعلنا أقرب للاستسلام أمام الضغوط المسلطة علينا من كل جهة؛ وما زالت مساحة احتلال أراضينا تتسع، ومساحة قرارنا الوطني أو القومي تضيق، وكأننا في كماشة حقيقية.

إن التصدي للتخلف ليس مجرد رغبة تُعلن، أو شعار يُرفع، التصدي للتخلف الحاجز الرئيسي أمام تقدمنا، إلى مشاركة المجتمع وقواه الحية داخل أقطارنا وبينها يحتاج إلى عقولنا الفكرية والعلمية؛ يحتاج إلى مناخ الحرية النقي؛ إلى الإرادة الجماعية القوية؛ إلى اقتحام الثورة التكنولوجية، ومراكز الدراسات والبحث العلمي، إلى مركزنا في العالم، بما يتناسب مع موقعنا الجغرافي المادي، البشري في حاجة إلى ثقافة عقلانية علمية تصدِم مجتمعاتنا الراكدة؛ تهز وجداننا، وتحرك إرادتها، وتدفعنا إلى التغيير، نحن في حاجة إلى تغيير أساليبنا في التفكير، وممارسة الحكم وأساليب تسييره، إننا في حاجة إلى تحويرات جذرية في متغيرات معادلاتنا الأساسية حتى تستقيم أمورنا.

هذه هي وظيفة الثقافة العلمية التي نحتاجها، والتي ينبغي ترسيخها في مجتمعاتنا الواسعة، وعندما نتحدث عن الثقافة العلمية، فليس معنى هذا أنه ليست لنا عقول علمية حديثة، بل إنه توجد لدينا جيوش من هذه العقول موزعة على العالم، في وقت نحن في اشد الحاجة إليها، نجحنا في تعميم التعليم العام وبنينا جامعات منتشرة عبر مددنا الكبرى، وحتى الصغرى أحيانا، لو كانت هذه العقول في بلادنا، وتلك الجامعات تسير وفق معايير العصر العلمية لكان واقعنا غير الواقع الذي نعيش فيه.

يقول أبو حيان التوحيدي:

" وليس ينبغي أن يُغتر بالإنسان، إذا كان فصيح العبارة، كثير التشقيق، مديد النّفس، قادرا على السجع، سهل الارتجال، فقد يأتلف كل هذا والعقل ناقص، وقد يُفقد هذا كله والعقل راجح "

الترجمة رهان أساسي للنمو اللغوي والثقافي في عصر العولمة

أ.د عبد السلام الشدادي[*]**،**
جامعة محمد الخامس، الرباط

[*] مفكر مغربي وباحث في العلوم الاجتماعية من كتبه الأساسية إعادة تحقيق ودراسة "مقدمة ابن خلدون"

ملخـــص

تشكل الترجمة في العصر الحديث Kفي الوقت ذاته حاجة ملحة على المستوى الكوني ورهانا أساسيا للعولمة، بالإضافة إلى ذلك، هناك صعوبات خاصّة ببعض اللغات من ضمنها اللغة العربية، ترتبط بنموُّها الدلالي في العصر الحديث، لذلك تكتسي مسألة الترجمة بالنسبة لتلك اللغات ثلاثة أبعاد متلازمة: الأول يتعلق بنموِّها الذاتي، والثاني بنموّ الثقافة التي تندرج فيها، والثالث بقدرتها على الانفتاح وبموقعها على المسرح اللغوي العالمي.

لأسباب تاريخية معروفة، كُبِحت اللغة العربية في تطوُّرها الطبيعي وتوافقها مع ظروف العالم الحديث. فإلى وقتنا هذا لم تستطع أن تحقِّق بصفة كاملة ومرضية الأبعاد الثلاثة الملقاة على عاتق اللغة الحديثة،

أولا: الاقتراب من اللغة أو اللغات المستعملة يوميا وتكون لغة مقنَّنة (standardisée) بوسعها أن تؤدي جميع الوظائف الغوية التي من المفروض عادياً أن تُزاول في المجتمعات العصرية.

ثانياً: استيعاب وتحديث التراث الثقافي الوطني.

ثالثا: إدماج المعارف والمنتوجات الأدبية والفنية الحديثة والمعاصرة والقدرة على مواكبة ما يجري فيها من تقدم وتطوّر.

في قلب ذلك العجز وتلك الصعوبات نجد مسألتي الترجمة ونمو العلوم الإنسانية والاجتماعية، هاتان المسألتان لا تزالان موضع مقاومة شديدة وسوء فهم من لدن النخب السياسية والدينية بل المجتمع ككل، الشيء الذي يمنع من تفهم الأهمية الإستراتيجية التي تطبع النمو الثقافي في عصرنا وتقدير الجهود العظيمة التي يجب الاهتمام بها في هذا الميدان.

المداخلـــــــة *

كنا قد توصلنا من خلال المداخلات والمناقشات إلى أن هناك عوائق حائلة دون الوصول إلى مجتمع المعرفة، وهي ليست عوائق تقنية، ولكنها تتعلق بالإرادة السياسية والإرادة الشعبية، وهذه الأخيرة لها دور في تمكين الإرادة السياسية، ترى كيف نصل إلى هذا الهدف ؟

علينا أن نكون واعين بصورة دقيقة وعميقة بما تعنيه كلمة الظرف التاريخي أو الحالة الأنثربولوجية التي يعيشها العالم العربي – الإسلامي – ومساره التاريخي (Condition historique) ، وما هو مصيرنا مستقبلا ؟

كل المجتمعات هي مجتمعات معرفة، فالفرق يكمن في معنى المعرفة ومحيطها الاجتماعي.

هناك إشكالية سأحاول الحديث عنها في المسائل التالية:

-1- التشكيلة الاجتماعية والإطار السياسي للمعرفة .

-2- محتوى المعرفة.

-3- لغة المعرفة.

-4- المحيط العالمي لمجتمع المعرفة .

لا يمكن التحدث عن مجتمع المعرفة، إذا لم نُعرِف المعرفة ووضعها السابق ونقارن بين المجتمع الإسلامي ماضياً، وبين المجتمع الصناعي حاضرا، لنرى كيف أننا في إطار المجتمع الصناعي أوما بعده، ومن هنا سنحاول المقارنة بين مجتمعاتنا والمجتمع الصناعي الجديد؟ وما هي ملامح المجتمع التقليدي العربي الإسلامي؟

كان هذا المجتمع دولة، إذ هناك تركيبة مركزية سياسية تتبعها عدة ولايات خاضعة للدولة المركزية ولها نموذج شبيه للمركز، هناك حضر و بدو بلغة ابن خلدون .

في المجتمع العربي – الإسلامي – نحن أمام مجتمع ثنائي آخر: الخاصة والعامة.

الخاصة هم أولياء الحكم، وأمراء الحرب، والعلماء، وكذلك التجار، والصناع،أما العامة فهم الباقي من الفئات الأخرى ، أكتفي هنا بهذا الإطار السياسي والاجتماعي بدو – حضر، عامة – خاصة.

العامة غير موحدة، أما الخاصة فهي موحدة خصوصا من الناحية الثقافية واللغوية، وما هو مهم في تاريخنا هو ازدهار اللغة العربية بين القرنين الثاني والرابع الهجريين، ويمثل هذا الازدهار واقعة تاريخية كونية، كان من أصدائها أن نتج عنها حركة ترجمة كونية، ولم تر – هذه الحركة – العالم متفرقا بل رأته كمجموعة نستوعب منها كل ما هو ممكن من المعارف، وقد حققت هذا الهدف، وكانت له أهمية كونية ميزت تلك الفترة، وهو ما نسميه اليوم بالعالمية (universalité).

هناك ثقافة خاصة متنوعة يعبر عنها بلغة كتابية إلى جانب ذلك كانت هناك ثقافات مختلفة ولغات متعددة بما فيها الشفاهية .

الثقافة الخاصة تدخل في إطار نظام تعليمي، وفيها إطار بحث علمي، أما الثقافة الدنيا، لم يكن فيها نظام تعليمي منظم ولغة موحدة، ولم تخضع لضبط قوانين البحث .

هذا التقابل بين الخاصة والعامة، كانت له ميزاته، في هذه الثقافة وفي طرفيها المتقابلين، كانت المعرفة منغلقة لم تدخل في إطار تطوري يتجه إلى الكمال في المعرفة، وهنا تنتهي عملية المعرفة، من هنا انغلاقها الإيديولوجي المعرفي في ذلك الوقت، ترى بإمكان الإنسان الوصول إلى كمال في المعرفة ؟، من هنا أفق المعرفة ظل منغلقاً، إن النظام العام المعرفي، هو في ما يتجلى

اليوم فيما يسمى بالمجتمع الصناعي أو ما بعده، لأن هناك أشياء ليست بالمعنى الأسوأ، أو الأحسن، ولكني أقول– فقط – إنها مختلفة .

فيما يخص الإطار السياسي، هناك حكم مركزي إلى جانب هذا الحكم عندنا حاكم وهيئات معينة للتدبير والتنظيم، لم يكن هناك حاكم / رعية فقط، ولكن حاكم وهيئات معينة، بما يسمى عندنا اليوم المؤسسات أو الحكم الديمقراطي بغض النظر عن الطبيعة الديمقراطية لهذا الحكم أو ذاك .

من الناحية الاجتماعية كما ذكرنا هناك عامة وخاصة، لقد كان المجتمع العربي – الإسلامي أكثر تقدماً، إذ نجد طبقات ثابتة مثلاً في المجتمع الهندي، أما في المجتمع الإسلامي فكانت هناك حركية قوية، وثنائية خاصة – عامة كانت في تحول مستمر، أما الآن فإن الطبقات المتوسطة تمثل 80% من المجتمع، وفي نفس الوقت لا نتكلم عن عامة – خاصة، إن ما يميز اليوم حركة المجتمع، وجود مختصين وثقافات عامة، الاختصاص هنا لا يوجد في حد ذاته ولكن كمستوى من الثقافة، على أساس هذا التخصص هناك ثقافة للجميع وهذا شيء جديد، أي الثقافة العامة للجميع بالتبسيط، حيث أصبح سبل الوصول إلى المعرفة شيئاً أساسيا لتكوين كيان المجتمع، فالمعرفة اليوم تتطور بلا حدود وهذا شيء جديد .

إن هذه المعرفة ليس محدودة بدولة أو كيان ديني، هي معرفة كونية، فلا أستطيع أن أقوم بعمل أو علم يخصني وأتجاهل ما يروج في العالم، المعرفة شيء عالمي ومتطور بصفة لا محدودة، هذه المسألة أصبحت تسيطر بصفة كاملة على نظام العالم و المجتمعات .

أما بخصوص الترجمة، فنجد أن ما يترجم اليوم لا يتعدى 75% مما يترجم عن الإنكليزية، وهي اللغة التي تستقطب كل المعارف الراهنة، ولذلك يجب علينا الترجمة من اللغة لإنكليزية طبعاً إلى جانب اللغات الأخرى،

ويستوجب النظر في المسار المستقبلي لتوجهات الحضارة العالمية، ليست بمعنى سيطرة لغة على لغات أخرى، ولكن من منظور التعدد، ويجب أن تكون لنا لغة موحدة للثقافة، ولغات أخرى للتعبير عن ثقافات الشعوب الأخرى بصفة واقعية ومتكاملة، والسعي للاستفادة منها .

***- المداخلة تم تلخيصها من التسجيل الصوتي**

دور الديمقراطية والحكم الرشيد
في توطين مجتمع المعرفة عربيا

أ.د/ عاطف السعداوي*

مدير تحرير مجلة الديمقراطية بالأهرام

* إعلامي ورئيس تحرير "الأهرام الديمقراطي" وعضو باحث بمركز "الدراسات الخليجية" بالإمارات العربية، من مؤلفاته : " مستقبل الديمقراطية في مصر"

كعادته في تخصيص قضية هامة من قضايا التنمية الإنسانية في العالم العربي، أفرد تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2003 قضية بناء مجتمع المعرفة والمعوقات والإشكالات التي تعترضها في المجتمعات العربية، على اعتبار أن المعرفة، هي أحد ثلاثة عناصر أساسية، تؤلف فيما بينها استراتيجية التنمية الإنسانية في الوطن العربي التي يتبناها التقرير. فالمعرفة، اكتسابا وإنتاجا وتوظيفا، غدت في مطلع القرن الحادي والعشرين هي الوسيلة الكفيلة بتحقيق التنمية الإنسانية الشاملة في جميع المجتمعات المعاصرة .

ويطلق الآن، بصورة متزايدة، وصف" مجتمع المعرفة "للتعبير عن مجمل التغيرات الهائلة التي يشهدها المجتمع البشري في المرحلة الراهنة يعتبر أن المعرفة، بجميع أنواعها وصورها، قد غدت طريقا، لا سبيل إلى تجاوزه، لأي مجتمع يبتغى تحقيق التنمية في جميع مناحي الحياة. وقد أصبحت المعرفة، بصورة غير مسبوقة، محركا قويا يقف خلف معظم التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي يشهدها عالم اليوم. فالمعرفة هي غالبا ما ترسم الحدود بين القدرة والعجز، بين المنعة والوهن، بين الصحة والمرض، بين الثروة والفقر، بين العيش تحت براثن الجهل والتخلف وبين التحليق في ذرى المجد والفخار.

مجتمع المعرفة

قدرت المشيئة الإلهية أن يخلق الإنسان وأن يكون خليفة الله في الأرض، يقول تعالى" وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ."وقد اقتضى القيام بواجب الاستخلاف في الأرض أن يميز الله الإنسان بالعلم والمعرفة، قال تعالى "وعلم آدم الأسماء كلها "الذي سيكون وسيلته لإعمار الأرض ،والقيام بواجب الخلافة خير قيام .

وباعتباره الكائن المفكر الوحيد في هذا العالم، انشغل الإنسان منذ الأزل بالتساؤل عما يحيط به في الكون والحياة من ظواهر طبيعية واجتماعية وإنسانية، وذلك بهدف الكشف عن القوانين والنواميس التي تحكم حركتها. فبقدر معرفته بالسنن والقوانين التي تحكم هذا الكون، استطاع الإنسان، بدرجات متفاوتة من النجاح، تسخيرها لما يصلح بها حياته وبقاءه على هذا الكوكب.

فعبر إثارة كوامن ما أودعه الله في العقل البشري من طاقات، تتحرك تفاعلات العلم والمعرفة وتتطور مع تطور الحياة وتغير الظروف التي يعيشها الإنسان، فلا يمكن للإنسان ومن ثم المجتمع أن ينمو ويتطور في ظل سكون المعرفة وجمود العقل. وعندما يتوقف الإنسان عن اكتساب العلوم والمعارف المختلفة، يتوقف العقل عن التفاعل الحي مع تطور العالم الخارجي، ويصبح حينئذ عاجزا عن اكتساب الخبرات المفيدة، ويفقد من ثم القدرة على إدراك الحياة إدراكا واعيا وسليما. فكما أن الجسم البشري يحتاج إلى الهواء والطعام والشراب للبقاء، تحتاج مسيرة المجتمع وتقدمه إلى اكتساب المعارف المتنوعة، وتحصيل العلوم المختلفة التي تفتح للإنسان أبواب الخير والسعادة والنمو والازدهار .

وقد استطاع الإنسان، منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها، تسخير ما في الكون لما يصلح به حاضره ومستقبله .وكان شرط نجاحه دائما هو فهم ومعرفة السنن والنواميس التي تحكم الظواهر الطبيعية والإنسانية والاجتماعية المبثوثة في هذا الكون الفسيح. وهذا أمر مشروط بدرجة التطور الاجتماعي، في اتجاه الوعي بأهمية الأخذ بأسباب العلم ومناهل المعرفة .

وعبر هذا التاريخ الطويل، تراكمت المعلومات والخبرات والتجارب عبر ملايين السنين، والتى حصلها الإنسان عبر الاحتكاك العملي بينه وبين مختلف الظواهر الطبيعية والإنسانية والاجتماعية من حوله. وعبر الملاحظة والتجربة

واستخدام المنهج العلمي والاستفادة من التراكم المعرفي وصل الإنسان إلى ما وصل إليه من تقدم مذهل في علاقته بالطبيعة والكون والحياة.

وعلى هذا يمكن وصف مجتمع المعرفة، حسب ما جاء في تقرير التنمية الإنسانية بأنه" ذلك المجتمع الذي يقوم بصورة أساسية على إنتاج المعرفة ونشرها وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي: السياسة والاقتصاد والمجتمع المدني، وكذلك الحياة الخاصة، وصولا للارتقاء بالإنسان إلى بلوغ الغايات السامية التي يسعى إليها، والمتمثلة في الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية ."

محددات المعرفة

من البديهي، أن تتأثر حدود المعرفة الإنسانية ومداها وعمقها بما حولها من مؤثرات عدة، منها على سبيل المثال:مستوى الحضارة الإنسانية:

لاشك أن هناك علاقة قوية بين مستوى المعرفة والمستوى الحضاري الذي وصلت اليه البشرية في المراحل التاريخية المختلفة. وعادة ما يقاس مستوى الحضارة الذي وصلت اليه المجتمعات البشرية المتعاقبة من خلال دراسة مستوى التراكم المعرفي التي استطاعت تحقيقه. ويدل منحنى التاريخ الإنساني أنه كلما زاد رصيد المعرفة البشرية، كلما ارتقت مستويات الحضارة الإنسانية. فمن الصعوبة بمكان تحقيق أي انجاز حقيقي على صعيد الحضارات الإنسانية المتعاقبة من دون أحراز تقدم ملموس على صعيد المعرفة الإنسانية، فلولا معرفة أساليب البناء والعمارة لما تمكن اليمنيون، على سبيل المثال، من إقامة سد مأرب وبناء حضارتهم السبئية التليدة التي خلدها القرآن في سورة سبإ.

ولهذا، نجد أن دراسة التاريخ الحديث تتم من خلال النظر إلى الثورات المعرفية الثلاث، (الزراعية، الصناعية، المعلوماتية) التي شهدها العالم في

الألفية الأولى، على اعتبار أن التطور المتسارع الذي شهدته البشرية خلال تلك الحقب التاريخية المتعاقبة تزامن مع نمو تصاعدي في مستوى المعرفة الإنسانية في جميع مجالاتها .

يؤكد المعاني السابقة، ما جاء في كتاب" فلسفة العلم في القرن العشرين: الأصول، المصادر، الآفاق المستقبلية"، الذي خلص إلى أن:

تاريخ الحضارة هو تاريخ العقل، وهو تاريخ البحث الإنساني، وهو تاريخ المناهج وطرق الاستدلال وحل المشكلات. إنه تاريخ البنى المعرفية وآفاقها ومجالاتها، وتاريخ تطور موقف الإنسان بكل إمكاناته العقلية من الطبيعة أو الكون الذي يعيش فيه ويحيط به. إنه تاريخ المدنية بكل أشكالها الحضارية، وأساليبها الفنية التي يبتكرها الإنسان، للتفاعل مع بيئته تكيفا وتكييفا. وكما يقال، فإن تاريخ العلم والتفكير العلمي ومناهجه، وليس تاريخ العروش والتيجان والحروب والمؤامرات، هو التاريخ الحقيقي للإنسان، وصلب الحضارة وتواتراتها الصاعدة .

مستوى الثقافة السائدة:

من الصعوبة بمكان أن يتقدم مستوى البحث العلمي في أي مجتمع لايدرك أهمية العلم والعلماء فى تقدم مسيرة المعرفة الإنسانية. فالبحث العلمي لا يؤتي ثماره في بيئة لا تقدر المعرفة حق تقديرها، فمن دون الإنفاق السخي على البحث العملي؛ ومن دون احترام العلماء وتقديرهم؛ لا يمكن أن يكون للعلم والمعرفة دورا محوريا في مسيرة المجتمع. ويكفي هنا، أن نشير إلى أن أفول المسيرة العلمية خلال العصور الوسطى في أوروبا كان نتيجة مباشرة لاختفاء كل حياة ثقافية تقريبا، كنتيجة لانهيار الحضارة الرومانية في الغرب. وفي المقابل، كان الاهتمام بالعلوم المختلفة في العصور الزاهية للحضارة الإسلامية

في نفس الفترة، مرتبطا بوجود ثقافة تقدر قيمة العلم، وأهمية العلماء في حياة الأمة الإسلامية .

في كتابه القيم" المقدمات التاريخية للعلم"، تحدث توماس جولدشتاين عن علاقة الثقافة بتطور المسيرة العلمية قائلا:

يبدو أن التقلبات الكبرى في تاريخ العلم والمعرفة، صعودا وهبوطا، لا تحدث على الإطلاق على مستوى معزول بشكل رائع، بل تعكس الحركات الأساسية في المسار الواسع للتاريخ الثقافي .وكذلك تفعل بعض اتجاهاته وتجلياته الكبرى .وقد كانت الطريقة التي ينظر بها الناس للكون، والكيفية التي يدركون بها الأرض، مشروطة بشكل وثيق بوضعهم الثقافي، الذي كانت تحتمه منظومات السببية التي تحكم التدفق الواسع للأحداث التاريخية .

وكما هو معروف، أن المجتمع العربي يمر الآن بأسوإ فترة من تاريخه المعاصر، وخصوصا عندما يتعلق الأمر بقضية المعرفة. فالواضح أننا قد نسينا في العالم العربي، حكاما ومحكومين، أن أسلافنا قادوا، في يوم من الأيام، مسيرة العلم والمعرفة في العالم؛ وكانوا بحق حملة مشاعل الحضارة والنور التي أضاءت العالم بأسره وقادته إلى ذرى الخير والسعادة. فعندما نعود إلى تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2003 نجد أنه قد رسم صورة قاتمة لوضع المعرفة في العالم العربي في الفترة الراهنة قائلا :

إن المعرفة تبدو طريدة في البلدان العربية الآن، بل تقوم عقبات مجتمعية تحول دون قيام مجتمع المعرفة. ونخشى أن يؤدي دوام الاتجاهات الراهنة إلى تهميش دور المعرفة في المجتمعات العربية. بما ينطوي عليه من استمرار تدني الرفاه الإنساني في الوطن العربي، ويقلل من فرص بناء التنمية الإنسانية في ربوعه .هذا على حين يتحول العالم المتقدم إلى مجتمعات كثيفة المعرفة، إنتاجا واستهلاكا، مما قد يمكن لبعضها أن يستغل تفوقه المعرفي في فرض هيمنة من

نوع جديد، خيوطها حريرية، ولكن قبضتها فولاذية، وبناء عليه فإن النتيجة المنطقية لاستمرار غياب المعرفة عن الوطن العربي ليست أقل من كارثية، النتيجة المتوقعة هي استمرار العرب في موقع هامشي من تاريخ البشرية القادم .

مستوى البحث العلمي:

هناك علاقة متبادلة بين تراكم المعرفة وبين مستوى البحث العلمي، إذ كلما تقدم مستوى البحث العلمي، كلما ارتادت المعرفة الإنسانية آفاقا غير مسبوقة، تجعل المجتمعات الإنسانية المختلفة أكثر قدرة على تحقيق النمو والازدهار والتقدم. فبرغم أن جميع الظواهر الطبيعية أو الاجتماعية أو الإنسانية، قد تكون واحدة عند الأقدمين والمحدثين، بل قد يكون الاهتمام هو نفسه بهذه أو تلك من الظواهر عند هؤلاء وأولئك، ولكن الفارق الجوهري هو فارق معرفي من حيث محتوى المعرفة ومنهج البحث المستخدم، إذ كلما تحسن مستوى البحث العلمي، كلما شهد العالم تراكما معرفيا نوعيا يساهم بدوره في رفع مستوى الحياة البشرية وتقدمها في جميع المجالات .

ونستطيع أن نرى أثر ذلك في الدول المتقدمة التي هيأت للعلم أسبابه، وللعلماء المكانة التي يستحقونها، فتقدمت بذلك مسيرة المعرفة فيها، وبلغت شعوبها مستويات من الرقي والتقدم لم تبلغها تلك الدول التي غيبت العلم من حياتها وتجاهلت عن عمد حق علمائها عليها .وتقدم اليابان في الوقت الحاضر مثلا حيا على أمة تمكنت من خلال تقدير العلم والعلماء، بالرغم من افتقارها إلى المصادر الطبيعية، تحقيق ما يطلق عليه" المعجزة اليابانية "التي أصبحت محط إعجاب العالم وتقديره .

وعلى هذا الصعيد أيضا، يسجل العرب للأسف اخفاقا آخر، يضاف إلى سلسلة الإخفاقات التي يعانون منها في الفترة الراهنة من تاريخهم، إذ يتسم واقع العلم والتقنية في العالم العربي بالمحدودية، فكما يتضح من المؤشرات الأساسية التي ساقها التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام 2003، أن الدول العربية التي يشكل سكانها أكثر من 4% من إجمالي سكان المعمورة تحتل المرتبة الأخيرة بين المجموعات السكانية في العالم على صعيد الإنفاق على البحث العلمي، وعدد براءات الاختراع وحقوق التصنيع .

ويشدد تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2003 على أن تدني مستوى الإنفاق على البحث العلمي، وعدم الاهتمام بمراكز البحث والتطوير وتخلفها عن نظيراتها في البلدان المتقدمة في الفترة الراهنة، قد أدى إلى قصور في فعالية البحث العلمي الرصين عن تهيئة المناخ المعرفي والمجتمعي اللازمين لإنتاج المعرفة، فالعلم والمعرفة صنوان لا يفترقان ولا ينفصلان، فما تقدم أحدهما إلا بتقدم الآخر .

وفيما يتعلق بالبنية التحتية لصناعة المعلومات العربية، يذكر التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام 2003، أنه بالرغم من أن الدول العربية قد خطت خطوات حثيثة على صعيد توفير خدمات الإنترنت مما أدى إلى زيادة استخدامه بشكل ملحوظ، إلا أن تطور استخدامات الإنترنت يعتبر ضعيفا بشكل واضح في الدول العربية، حيث تقدر نسبة مستخدميه في الدول العربية بحوالي 1.29% من إجمالي السكان مقارنة بالمعدل العالمي 5.2 .%

السياسة والمعرفة:

يستطيع المرء أن يرى بوضوح العلاقة المتلازمة بين المعرفة وبين السياسة، فإذا كانت المعرفة هي خلاصة ما يعرفه الإنسان عن نفسه والكون

الذي يحيط به، والتي بإمكانها توجيه السلوك الإنساني على مستوى الأفراد والجماعات، في جميع مجالات النشاط الإنساني، فإن السياسة هي علم تسيير الشؤون العامة للمجتمع، وذلك باستخدام الوسائل المادية والمعنوية، وفي مقدمتها المعرفة.

وعلى هذا، فقد وضع تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2003 العلاقة بين المعرفة والسياسة في الإطار العربي على النحو التالي:

السياسة هي الإطار المرجعي الأخير، ولعله الأبعد أثرا، في تحليل محددات اكتساب المعرفة في البلدان العربية. فحيوية منظومة المعرفة رهن بشروط سياسية في كل مجتمع، لعل أهمها التمتع بالحرية، وضمانها بحكم القانون ، وباقي أركان الحكم الصالح، مع قيام نسق الحكم بتهيئة متطلبات نشر المعرفة وإنتاجها بكفاءة.(ص145)

ومن الطبيعي، أن تلعب السلطة السياسية في أي مجتمع دورا جوهريا في توجيه المجال المعرفي وتقدمه أو تخلفه، وذلك حسب طبيعة تلك السلطة، والمخزون المعرفي الذي تحمله، فكلما كانت السلطة تقدر العلم والعلماء حق قدرهم، كلما ازدهرت مسيرة العلم والمعرفة وارتادت آفاقا غير مسبوقة. وفي هذا السياق، يرى التقرير أن السلطة السياسية في البلدان العربية تعمل على تدعيم النمط المعرفي الذي ينسجم مع توجهاتها وأهدافها، وهي بالتالي تحارب الأنماط المعرفية التي تتعارض مع التوجهات العامة التي تتبناها. وذلك ما يفسر، في نظر التقرير، الصراع المعرفي في المجتمعات العربية، باعتباره صيغة للصراع حول السلطة السياسية، حيث لا يمكن للسلطة السياسية القائمة أن تتعايش مع معرفة مناهظة لتطلعاتها، ولهذا هي تسعى بكل الوسائل الممكنة لترسيخ النمط المعرفي الذي يتطابق مع طموحاتها .

وهكذا، يصور التقرير الصراع السياسي في الوطن العربي على أنه صراع ذو طبيعة معرفية، يعكس النظام المعرفي للسلطة السياسية الحاكمة والمنسجم مع طموحاتها، والذي يشكل الخلفية الفكرية التي تحدد علاقاتها مع الأنظمة المعرفية المخالفة أو المعارضة من ناحية؛ والمنظومة المعرفية السياسية المعارضة التي تتطابق مع منطلقاتها وأهدافها في الصراع السياسي والمعرفي مع السلطة السياسية والمعرفية الرسمية، من الناحية المقابلة .وفي هذا السياق، يلفت التقرير النظر إلى أن قراءة متأنية لبعض التقارير الاستراتيجية للأحزاب أو للجمعيات أو للتكتلات السياسية التي تعج بها بعض البلدان العربية، تفصح عن تبنى بعضها النمط المعرفي الرسمي، بل ويعتبر كثير منها مساند للسلطة السياسة القائمة، سواء انخرط فيها أم لم ينخرط، بينما يتبنى البعض الآخر أنماطا معرفية مناهضة لهذه السلطة ويتخذ موقعا معارضا لها، ومن ثم لمنظومتها المعرفية والقيمية .

غير أن التقرير، لا يضع كل اللوم في تأخر مسيرة المعرفة في العالم العربي على الأنظمة العربية وحدها، بل يرى أن تفريط فئة واسعة من النخبة العربية في مجال استقلالية المجال المعرفي، هو الذي أدى إلى هيمنة الأنظمة السياسية العربية عليها، حيث مكنها من استقطاب وتوجيه عدد من المثقفين نحو تبني المفاهيم والرؤى التي تخدم توجهاتها. الأمر الذي أدى، من وجهة نظر التقرير، إلى بروز نزعات تبريرية في أوساط بعض المثقفين، عملت على تعزيز الشرعية للسلطة السياسية القائمة .فالمثقفون العرب الذين تمكنوا من الوصول إلى دائرة صنع القرار لم يصلوا إلى ذلك بفضل علمهم أو استقلالهم الفكري، بل بسبب مهاراتهم في التغلغل والانخراط في السلطة السياسية. ورغم ذلك، يهمش أولئك المثقفون عندما تحتاج السلطة السياسية إلى مشورة بشأن الخيارات السياسية التي تقوم على الدراية والعلم، حيث يفضل الحاكم في هذه

الحالات، ولأسباب تاريخية واقتصادية وسياسية، أهل العلم من خارج البلاد على المفكرين المحليين .

ويخلص التقرير إلى أن الوصول إلى مجتمع المعرفة يرتبط أساسا بإطلاق حرية الرأي والتعبير والتنظيم وضمانها بالحكم الصالح الذي يتجسد من خلال المشاركة الشعبية الفاعلة، والقادرة على التأثير على مسار القرارات الحكومية التي تمس حياة المواطنين، عن طريق التأكيد على ضرورة توفر الشفافية والمساءلة الكفيلة بالحد من الفساد وتحجيم الفاسدين المؤطرة بمؤسسة قضائية نزيهة، تعمل على ضمان سيادة القانون، وفي هذا السياق، يرى التقرير أنه لا يمكن الوصول إلى مجتمع المعرفة إلا من خلال التأكيد على الديموقراطية والحرية والمشاركة السياسية. جاء في التقرير:

تحقق، لاشك، إنتاج علمي مهم في ظل حكم قهرية، خاصة في ميدان العلوم الطبيعية والدقيقة، وبالأخص ما اتصل منها بنظم التسليح، من خلال دعم قوي وتمويل سخي لهذه المجالات من قبل السلطة الحاكمة. كما يمكن تحقيق تقدم معرفي مهم في المجالات التقنية، مثل تطوير التقانة للإنتاج الاقتصادي في ظل دكتاتوية مستنيرة، كما حدث في كوريا الجنوبية .ولكن في مثل هذه الحالات لا يمتد الإنجاز المعرفي للعلوم الإنسانية والاجتماعية ولا للفنون وللآداب. وإن أفلتت ومضات رائعة من الإبداع الأدبي والفني تحت القهر، إلا أنها لا تجد سبيلا إلى عامة الناس، بسبب التضييق على نشر المعرفة، فلا تولد مثل هذه" الفلتات "إلا الإحباط لدى مبدعيها .كذلك لا تعم فائدة الإنتاج المعرفي هذا، المجتمعات المعنية بكاملها، أي لا يمتد الإنجاز المعرفي إلى تطوير جميع قطاعات المجتمع، وتحسين الرفاه الإنساني للبشر جميعا .

مفهوم الحكم الصالح

يشير مفهوم الحكم الصالح (أو مايطلق عليه أحيانا الحكم الجيد أو الرشيد) إلى ممارسة السلطة السياسية والاقتصادية والإدارية لإدارة شؤون بلد ما على جميع المستويات. وبمعنى أدق، ينصرف مفهوم الحكم الصالح إلى منظومة الحكم التي تعزز وتدعم وتصون رفاه الإنسان، وتقوم على توسيع قدرات البشر وخياراتهم وفرصهم وحرياتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ولا سيما بالنسبة لأكثر أفراد المجتمع فقراً وتهميشاً. وعلى ذلك يمكن تعريف الحكم الصالح الذي يستهدف تحقيق مصلحة عموم الناس في المجتمع على أنه" نسق من المؤسسات المجتمعية، المعبرة عن الناس تعبيرا سليما، تربط بينها شبكة متينة من علاقات الضبط والمساءلة بواسطة المؤسسات، وفي النهاية بواسطة الناس

وبذلك، يشمل مفهوم الحكم الصالح جميع المؤسسات في المجتمع، بحيث يشمل أجهزة الدولة وهيئات المجتمع المدني وشركات القطاع الخاص، كما لا ينحصر مفهوم الحكم الصالح في الاهتمام بآثار التنمية الحالية، بل يشمل التنمية طويلة الأمد، والممتدة على مدى أجيال متعددة .وتتمثل أبعاد الحكم الصالح في حكم وسيادة القانون والشفافية والاستجابة والمشاركة والإنصاف والفعالية والكفاءة والمساءلة والرؤية الاستراتيجية .

ولإدراك تقرير التنمية الإنسانية بأن مفهوم الحكم الصالح السابق هو حالة مثالية لم يصل اليها مجتمع بشري حتى اللحظة، فإنه يدعو الدول المختلفة إلى تحديد أكثر السمات الأساسية أهمية من خلال بناء توافق مجتمعي عريض فعلى سبيل المثال، يرى التقرير ضرورة توفر اتفاق مبدئي حول القضايا المجتمعية الأساسية، مثل اختيار التوازن المطلوب بين الدولة وقوى السوق؛ أو بين السلطة والحرية؛ أو اختيار أفضل الأساليب والطرق الناجعة للوصول إلى

مجتمع المعرفة، والانخراط في العولمة الجديدة. الأمر الذي يستدعي بالضرورة توفر البنى السياسية والاجتماعية والسياسية القائمة على الحرية والمشاركة والمساءلة والشفافية، والتي يمكن من خلالها تطبيق منظومة الحكم الصالح .

الجدير بالذكر، أن مقاربة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي الواردة في تقارير التنمية الإنسانية العربية المتعاقبة، تقوم على دمج أهداف الحكم الصالح مع نموذج التنمية البشرية المستدامة. وفي هذا السياق، يرى الأمين العام للأمم المتحدة (كوفي أنان) أن" الحكم الصالح هو العامل الأهم الذي يمكن من محاربة الفقر وتعزيز التنمية ."

وعلى هذا، يسعى نموذج التنمية الإنسانية المستدامة والمرتكز على منظومة الحكم الصالح إلى توسعة خيارات جميع فئات المجتمع، بما في ذلك الفئات الأكثر تهميشا مثل النساء والفقراء، مع الاهتمام في نفس الوقت بحق الأجيال القادمة في حياة كريمة، مع التشديد على تحقيق قدر أكبر من الدمج بين المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وعلى مشاركة أكبر للقوى الفاعلة على الصعد المحلية والقومية والإقليمية والعالمية .

وفي هذا السياق، تؤكد تقارير التنمية الإنسانية العربية المتعاقبة على أهمية قيام نماذج الحكم الصالح على مقاربات وممارسات محلية، تستلهم الطبيعة الخاصة بكل بلد على حدة، مع التأكيد على ضرورة النظر بايجابية وانفتاح إلى التجارب الإقليمية والعالمية الناجحة .جاء في التقرير الذي بين أيدينا:

إن بناء التنمية الإنسانية يتطلب إعمال إبداع اجتماعي، لا يقدر عليه إلا أهل كل مجتمع عربي لأنفسهم، بأنفسهم، كما تدعو التنمية الإنسانية .ولذلك يكتفي التقرير برسم الملامح الرئيسية لما يمكن أن يعد رؤية استراتيجية، تنير الطريق لبناء التنمية الإنسانية، على أن تتعهدها القوى الحية في أي مجتمع

عربي بالنقاش الجاد أولا، اختلافا قبل الاتفاق حين يكون مبررا، ثم لترى بعد ذلك ما هي فاعلة بشأنها .من غمار عملية الإبداع الاجتماعي هذه يمكن أن تنشأ حركة مجتمعية تقوم على إطلاق الطاقات البشرية الخلاقة في المجتمع المعني، وتوظفها بكفاءة في بناء التنمية الإنسانية .

في الوقت نفسه، تؤكد تقارير التنمية الإنسانية المتعاقبة أيضا على ضرورة إعطاء الوقت اللازم لنضوج التجارب الوطنية في مجالات الحكم الصالح، والتي لا يمكن الوصول إليها بين ليلة وضحاها .وفي هذا السياق، يؤكد التقرير على الشروط اللازمة للوصول إلى مجتمع المعرفة في العالم العربي بالقول :

ليست المساهمة الفعالة في إثراء المعرفة الإنسانية بالأمر الغريب على العرب والحضارة العربية، غير أن استعادة تلك المكانة المتميزة تتطلب مكافحة فعالة لإرث عصر انحطاط قد طال بأكثر مما يحتمل. ويقتضي تكامل نموذج عربي عام، أصيل، منفتح، ومستنير إصلاحات جوهرية في السياق المجتمعي لمنظومة المعرفة في البلدان العربية.

الساعة الكونية ومجتمع المعرفة –

أ.د. لوط بوناطيرو[*]، جامعة الجزائر

من حسن الصدف أنه من خلال بحوثي وخاصة البحث الخاص بالساعة الكونية له علاقة مباشرة بموضوع مجتمع المعرفة .. إذن سوف نرى في عجالة من خلال هذه المحاضرة كيف نربط بين مشروع الساعة الكونية ومجتمع المعرفة.

[*] عالم فلكي جزائري، تميز بآرائه الفلكية فيما يخص قضايا هلال رمضان والزلازل، ومن مكتشفاته الفكية " الساعة الكونية" كبديل عن خط غرينيتش".

وقبل ذلك بودي أن أقوم بمقارنة سريعة حول الكيفية التي أرى من خلالها أنا مجتمع المعرفة حاليا، بحيث أنني جعلته بمثابة النعمة، وقارنته بنعمة الماء، (نعمة العلم = نعمة الماء) مثلا وقارنته بالماء والأنهار والسدود في العالم حتى الحنفيات في البيوت على أنها نعمة، والعلم كذلك نعمة يسير على نفس الشبكة .

أما فيما يخص مجتمع المعرفة فيمكن على سبيل المثال مقارنة أنهار المياه العالمية بالحضارات الكبرى للشعوب والقبائل ويمكن مقارنة السدود بالرصيد الفكري لكل أمة كما يمكن مقارنة الحنفيات المنزلية بمعرفة كل شخص أو كل أسرة، فكل إنسان إذا يمتلك رصيدا من المعرفة على المستوى العالمي والبعض يصب في الآخر فكل المياه تصل الى بيوت الناس من منطلق المياه العالمية إلى البيت البسيط، فنفس الشيء بالنسبة للمعرفة ، فالمعارف تصب في بعضها البعض والقوية دائما تصب في الضعيفة، إلى غير ذلك حتى تصل الى كل الناس.

وهذه مقارنة خاصة بالكيفية التي أرى بها أنا شخصيا مجتمع المعرفة العالمي ومقارنته مع ما يحدث لنا، إذ كل الأمر يتعلق بالضعفاء، و كيف أنهم يعاكسون هذه النظرية عوض أن تأتي المعرفة من الأنهار فتمر عبر السدود لتصل الى بيوت الناس، فالمخترع أو المبدع له خاصية القدرة على معاكسة هذا الاتجاه، أي انطلاقا من ذاته عندما ينتج فكرا أو إبداعا، ويحاول إيصاله إلى مستوى السدود، وبعد ذلك يصب في أنهار العالم (أي في حضارات العالم) – وهذه المهمة العاتية هي الخاصية الملازمة للمفكر مهما كان على سطح الأرض، وهذا الأمر هو الذي يجعل عدم بزوغ الثقافة بسهولة في مجتمعاتنا أو حتى صبها في مجتمعات العالم .

وهذه فقط ملاحظات اجتهادا مني وأتمنى أنني وفقت .. وأمر الآن بصفة عاجلة الى ما يسمى بمشروع الساعة الكونية : هذه الساعة التي هي إنجاز توصلنا إليه وهو بمثابة – مشروع ساعة ضخمة – توضع في الفضاءات الكبرى كالساحات العمومية، المطارات، المساجد، البلديات، كما يمكن وضعها في واجهة السيارات، أو البواخر،أو الطائرات، ويمكن وضعها في المنازل، أو في أيدي الناس أيضا.

إذا فمشروع ضخم كهذا الذي يتعلق بالساعة الكونية يتطلب منا إعادة النظر في سلوكنا مع الزمن، لأننا كما تعلمون لا نتحكم في الزمن ولا نسايره كما ينبغي، فنحن المسلمون لازلنا نتخبط في مشاكل كثيرة ومنها مشكلتي رمضان و وقفة عرفات وغير ذلك،كما يعرف الغرب مشاكل من نفس النوع، وكلكم عشتم السخافات الغربية، كيف أنهم وضعوا ساعة علمية أسموها غرينيتش، ولكن سرعان ما أصبح كل بلد يضيف ساعة أو ساعتين من أجل الفصول أو من أجل الدافع الاقتصادي لكي ينهض الناس مبكرا ويشتغلون ويكون الإنتاج وفيرا، وهذه فكرة غير علمية ومرفوضة، لماذا ؟ .. لأنه وقع مساس بالساعة الطبيعية وجعلوها تسير في غير انسجام مع الساعة البيولوجية للإنسان، لأن كل إنسان له ساعة بيولوجية يتحكم فيها نظام هرمونات الإنسان، (والأطباء توصلوا إلى اكتشاف ساعة بيولوجية، ولا ينبغي لهذه الساعة البيولوجية أن تكون مخالفة للساعة الفلكية لحركية الأرض مقارنة بالشمس والقمر) وعلى سبيل المثال وجود الشمس وقت الزوال بكبد السماء، عندما تكون جاذبية الكواكب فوقها، هو الذي يساعد على تكوين الهرمونات في جسم الإنسان لتسهل له عملية الهضم وهو ما لا نطبقه في حياتنا اليومية، حيث نخالف ساعاتنا البيولوجية في الأكل وحتى في النوم، وهذا ما تنبه له الغرب فأضافوا ساعة أو ساعتين لتدارك الخلل بين الساعة البيولوجية والساعة الفلكية

على أنه تقدم علمي، بل هو تراجع علمي، فالساعة البيولوجية التي نقترحها نحن، هي الساعة الفلكية التي تمشي بانسجام مع الساعة البيولوجية، و بدون ضرورة إضافة ساعة أو ما يسمى بالقفزات الساعية، فهذه الساعة من بين إيجابياتها أنها تصالحنا مع الطبيعة ونصبح نتعايش بانسجام معها بدون اللجوء الى تغيير نظام الكون المتقن أصلا لأنه سبحانه وتعالى قد أتقن كل شيء خلقه، و لأننا لا يمكن أن نأتي هكذا ونضيف ساعة أو ساعتين وكأننا نقول أن هذا الكون لا يليق بنا ولا بد من اختراع شيء آخر بدله.

فقضية إضافة يوم في شهر فيفري كل أربع سنوات، أو إضافة يوم كامل وليست ثانية أو دقيقة أو ساعة في ظرف أربع سنوات، معنى ذلك أن هذه الساعة الشمسية غير مضبوطة، ونفس الشيء عند إضافة يوم كل أربعة قرون فهي عملية غير علمية، ونفس الشيء بالنسبة لإضافة يوم كل – 3333– سنة في شهر فيفري، و سوف نسقط يوما، وهذا لم نصل اليه بعد.

فهذه كلها ترقيعات علمية (bricolage scientifique) ليس لها أساس من العلم، فما سوف نرى بالنسبة للتقديم القمري لا يخضع الى هذه الترقيعات الزمنية بل هو يساير حركة الكواكب بحيث أن رؤية الهلال هي التي تحدد بداية أو نهاية الوحدة الزمنية مثل الشهر أو السنة أو القرن أو الألفية، فمشروع الساعة هذا له عدة مزايا لأن وراء الساعة يختبئ مشروع المجتمع المعرفي، و هذا ما يصب في مجتمع المعرفة العالمي، وكيف أن جهازا صغيرا كما ستشاهدون يعطيني كل ما أريده من زمن أينما وجدت في الزمان أي اليوم أو غدا أو السنة المقبلة أو حيثما وجدت في المكان يعني في الجزائر أو ألمانيا أو في أي بلد آخر.

فإننا بحاجة الى الوقت الحقيقي لا سيما كما تعلمون نحن مقبلون اليوم على ظاهرة العولمة، ومن يقول العولمة يعني بذلك أن العالم سيصبح قرية

واحدة، ومن البديهي حينئذ أن تكون لهذه القرية ساعة موحدة، والساعة الكونية أتت لإعادة ترتيب بيت الزمن العالمي لأن الفوضى الحالية لم تعد تجدي فيها ساعة غرينيتش فكل البلدان قد تجاوزتها، فالجزائر مثلا أضافت ساعة، وإنجلترا ذاتها أضافت ساعة على ساعة غرينيتش ما عدا المغرب فقط، الذي ما زال يعمل بساعة غرينيتش، G.M.T وملتزما بها كنظام، وإذا كان الزمن ممزقا كما ترون فكيف يمكن لنا أن نمارس العولمة بدون ترتيب بيت الزمن، وكل الأنشطة بين البلدان سواء أكانت تبادلات بنكية، أم تجارية، أم اقتصادية تمر عبر تسجيل ساعة العملية، فإذا كانت هذه الساعة تستوجب المراعاة، فمن الأجدر إسداء الاعتبار للساعتين، وهل يقصدون بها التاريخ أو الساعة الإضافية للفصول أم فيها ساعة صيفية الخ....

فنحن بحاجة الى ساعة كونية عالمية تعيد ترتيب بيت الزمن بحيث يكون هناك توقيت عالمي محترم من طرف الجميع، كيفما كان نوعه ومصدره، وليكن توقيت غرينيتش، ولكننا وجدنا في الدراسات والبحوث التي سخرناها لهذا الموضوع بأن توقيت مكة هو الأحسن والأكثر دقة علمية – (حسن من غرينيتش) لأن غرينيتش خط وهمي وضعه شخص تنبأ بمشكلة الزمن فتصدى لأهله، وإلى كبح مشكلة بداية الأيام فأختار خطا على الأرض، وجعل هذا الخط يمر أمام باب بيته، وهكذا صنع خط غرينيتش بدون حسابات فلكية، عكس خط (مكة – المدينة)– الذي توصلنا اليه بحسابات فلكية وعلمية دقيقة ، ودرسنا حركة الشمس والقمر خلال قرن ونصف فوجدنا أنها تنتظم من تلقاء نفسها في خط (مكة – المدينة)، وهذا اكتشاف جديد حيث يمكن ضبط الزمن في خط (مكة – المدينة) – وليس صدفة إذا كانت فضائيات العالم بدون علم، تعطي توقيت مكة وتوقيت غرينيتش فنحن نقول لهم : اليوم العلم يؤكد تصرفكم الذي كان مبدئيا بدون علم .

فالساعة الكونية تعيد تنظيم الزمن العالمي، وتفرض إرجاعه الى المصدر الذي هو خط (مكة – المدينة) ، والتحفظ بوقت لا نقفز عليه بساعات بل نحترمه جميعا للتبادلات بين الأمم، ومن له مشكلة مع الشروق أو الغروب في بلاده لكي يبدأ العمل مبكرا، أو ليمارس أنشطته المحلية بساعته المحلية، نضيف له توقيتا ثانيا في الساعة الكونية نسميه التوقيت الشمسي المحلي، إذا كل إنسان في العالم يحتاج الى توقيتين : توقيت عالمي للتبادل ومتطلبات العولمة، وتوقيت محلي ليعيش حياته الاجتماعية أو الدينية أو العلمية في مكانه، وهذا هو مفهوم وأهداف الساعة الكونية كما سنرى فيما بعد .

وقبل عرض الساعة بودي أن أضع هذا المشروع في إطاره التاريخي، كما يجب أن نعلم، أن هذا الزمن ثمين وغال عند كل الناس و هو الذي قيل فيه قديما – أن من أدرك الزمن أدرك كل شيء – ولا يخفى على أحد أن الله تبارك وتعالى استمد اسمه منه فسمى نفسه – الدهر – فقيمة الزمن إذا لا تعد ولا تحصى، وهذه القيمة الغالية كانت ولا تزال ملكا للحضارة العربية الإسلامية، وإذا تساءلنا كيف ذلك؟ تكون الإجابة بداهة عندما نعلم أن أول آلة وجدت لقياس الزمن هي الإصطرلاب وهذا من اختراع العرب المسلمين، كما أن ثاني آلة لقياس الزمن تاريخيا هي ساعة " هارون الرشيد " التي أهداها للملك " شارلمان" وها هي قرون تمر فيما بعد ونجد أنفسنا مرة أخرى أمام ما يسمى بمشروع الساعة الكونية، التي في إطار العولمة ستنظم بيت الزمن، وما هذه البيانات إلا مقدمة توضيحية لوضع هذا المشروع في إطاره العلمي والتاريخي في الوقت الحاضر، وكيفية تقييم هذا المشروع ، ولعل بالصور البيانية والرسومات التوضيحية أستطيع أن أقرب لكم تصور هذه الساعة لدى عرضها

وسرد خصوصياتها ، وتشغيلها في عجالة ، وقديما قيل – وبالمثال يتضح المقال .

خصوصيات الساعة الكونية

الساعة العلمية :

- تشتغل في الاتجاه الصحيح.
- ذات 24 ساعة.
- ذات تقويم قمري–شمسي.
- ذات جُمْعة 06 أيام.
- مضبوطة في الخط الزمني مكة–المدينة.

الساعة الدينية :

- تعطي أوقات الصلاة لكل بلد.
- تؤذن في الوقت المناسب.
- تعطي التقويمين الهجري والميلادي.

الساعة الفلكية :

- تعطي التوقيت العالمي المتوسط.
- التوقيت المحلي الصحيح حسب كل بلد.
- طول النهار والليل حسب البلد في العالم ويوم السنة.
- مدة الشفق الأحمر والإسفار أي الفجر حسب البلد ويوم السنة.
- بداية الفصول الأربعة حسب البروج.
- عرض الهلال حسب الليالي.

- أوجه القمر المختلفة.
- توافق التواريخ الهجرية والميلادية في الماضي، الحاضر والمستقبل.

خصوصيات الساعة الكونية

الساعة التنجيمية :

- تعطي الهيئة الفلكية في أي وقت الخاصة بالقمر والشمس في أي بلد.
- الساعات المتغيرة (الفصلية) لكل بلد.

الساعة الإيكولوجية :

- تشتغل حسب الحركة الحقيقية للشمس.
- تُجنب زيادة ساعات في الصيف وإسقاطها في الشتاء.
- تُجنب زيادة يوم لتصحيح الوقت (29-28 فيفري).
- التعامل مع المعالم الطبيعية مثل الشروق، الغروب، الزوال الصحيح والساعة والدقيقة الصحيحة.
- تشتغل في انسجام مع الساعة البيولوجية للإنسان.

الساعة الفلاحية :

- تعطي أوقات الزرع والحرث حسب موقع الشمس والقمر في البروج بالنسبة للعارفين لهذا العلم.
- الخ...

Midi
Minuit
Coucher
Lever
12
14
16
18
20
22
0
2
4
6
8
10
Samedi 15 radjeb 1426
20/08/2005
18:11:44

جدول 9 : التجزئة الحقيقية للزمن

ميكرو ثانية	ميلي ثانية	ثانية	دقيقة	ساعة	اليوم
					1 م
				1 سا	24 سا
				60 د	1440 د
10^{-6} ثا	10^{-3} ثا	100ع	60 ثا	3600 ثا	86400 ثا

اليوم	الجمعة	الشهر		السنة		النصف القرن		القرن		الألفية	50 ألف سنة
1 م	(6 أيام)	29 م	30 م	354 م	355 م	17718 م	17719 م	35436 م	354437 م	354367 م	
		5جـ+م		59 جـ	59 جـ+م	2953جـ	2.953 جـ+م	5906جـ	53906 جـ+م	59062 جـ+م	
				12 ش		600 ش		1200 ش		12000 ش	

سلم الزمن الدري ← سلم الزمن الارضي ← سلم الزمن الإلهي

ملاحظة : ـ ش = شهر؛ ج = جمعة 6 أيام ؛ م = يوم ؛ ع = عُشر ؛ يوم = يوم عند الله

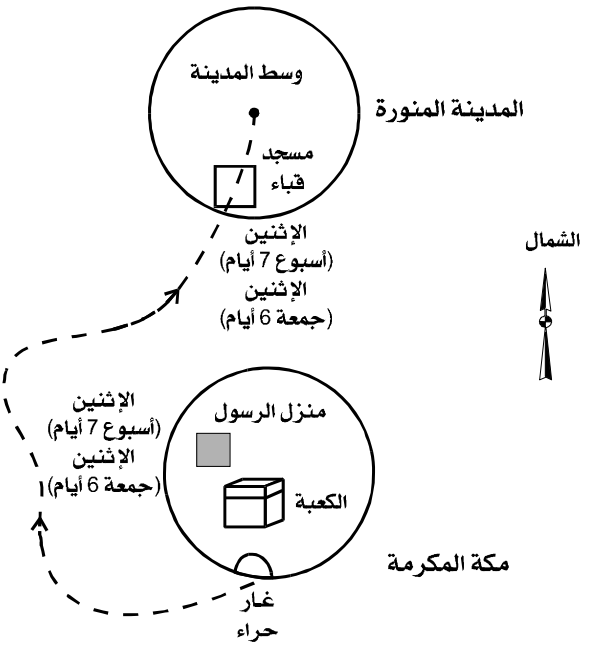
وسط المدينة
المدينة المنورة
مسجد
قباء
الإثنين
(أسبوع 7 أيام)
الإثنين
(جمعة 6 أيام)
الشمال
الإثنين
(أسبوع 7 أيام)
الإثنين
(جمعة 6 أيام)
منزل الرسول
الكعبة
مكة المكرمة
غار
حراء

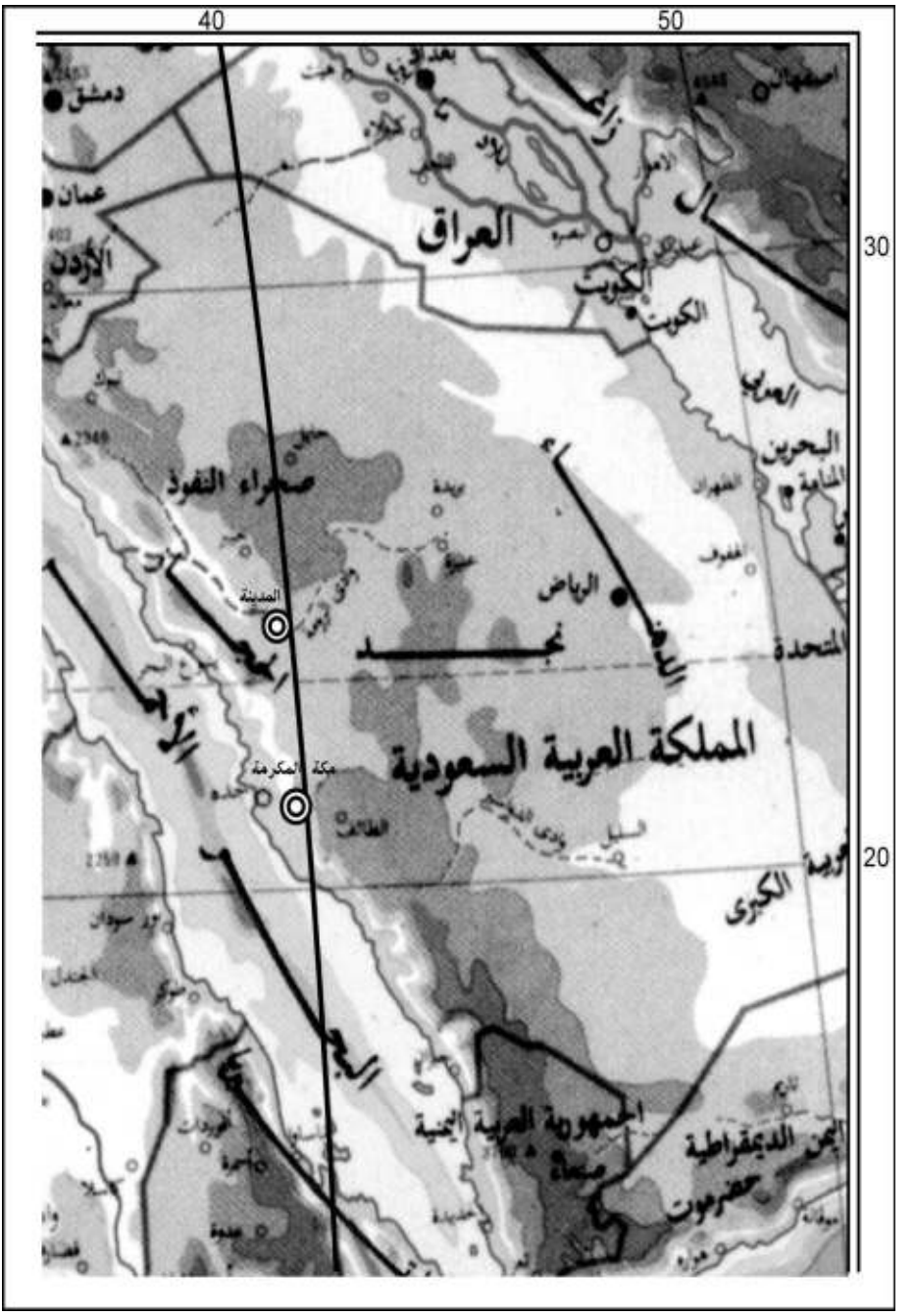
40
50
30
20
دمشق
عمان
الأردن
العراق
الكويت
البحرين
صحراء النفود
المدينة
الرياض
نجد
المملكة العربية السعودية
مكة المكرمة
الطائف
الربع الخالي
الجمهورية العربية اليمنية
صنعاء
حضرموت

استراتيجية المعهد العالي العربي للترجمة في مجال إدخال تكنولوجيا الترجمة

د.إنعام بيوض [*]، مديرة المعهد العالي العربي للترجمة– الجزائر

الإطـار العـام

1. اللغة العربية وتحديات مجتمع المعرفة
2. نظرة أشمل لمهنة المترجم
3. تكنولوجيا المعلومات والترجمة : لمحة تاريخية
4. إستراتيجية المعهد في إدخال تكنولوجيا الترجمة
5. محطة عمل المترجم المتدرب "م.ع.م.م"TTWS

[*] أستاذة جامعية في الترجمة بجامعة الجزائر ، تشغل حاليا مديرة المعهد العالي العربي للترجمة

1. اللغة العربية وتحديات مجتمع المعرفة

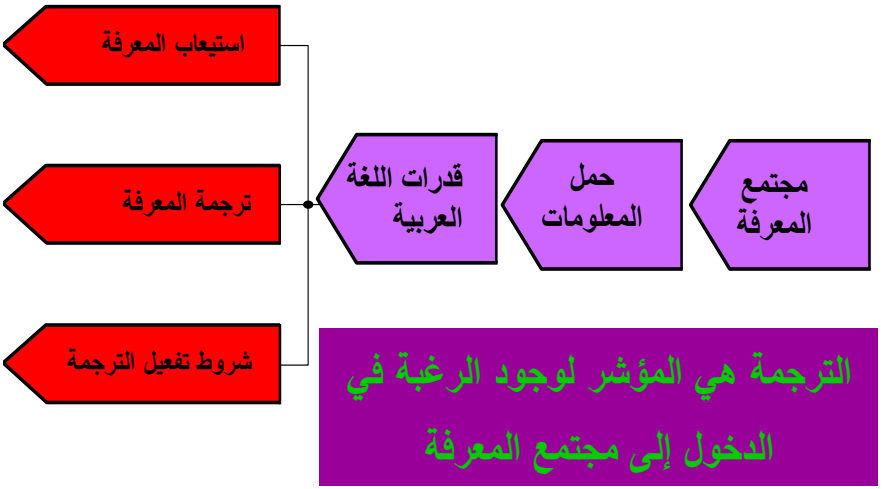

شروط تفعيل الترجمـ . ـة: المعهـ . ـد

الترجمـ ـة وتكنولوجيا المعلومات : لمحـ ـة تاريخيـ . ـة

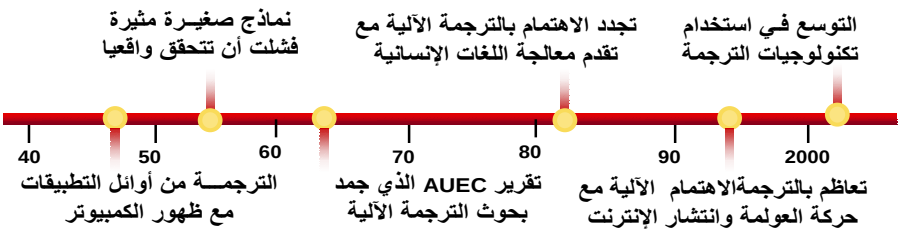

- يختلف المعهد العالي العربي للترجمة عن المعاهد الأخرى باعتبار تكنولوجيا الترجمة توجها إستراتيجيا.
- إن المعهد يسعى ليكون الجسر الذي يعبر الفجوة بين الترجمة البشرية والترجمة الآلية.
- نحن نعد خريجينا وخريجاتنا لسوق ترجمة مغايرة.
- المترجم له مجال مهني واسع، بمعنى أنه لن يعمل مترجما فقط بل هناك لخريجي المعهد مهن أخرى.
- تم تصميم خطة تدريب المعهد بحيث يوفر لخريجيه وخريجاته مسارا مهنيا path career واسعا، والذي يشمل مهنا في مجال البحوث اللغوية وتكنولوجيا اللغة والترجمة.
- لهذا فإن منهج تكنولوجيا الترجمة منهج أساسي له عدة مستويات متدرجة.

• لقد مضى العصر الذي كانت فيه الترجمة البشرية والترجمة الآلية مجالين لا يلتقيان، فنحن نعيش عصر حوار الإنسان مع الآلة، فمرحبا بكم في عالم الترجمة "الإنسالي" (الكلمة المشكلة مزجيا "إنسالي" = إنساني + آلي).

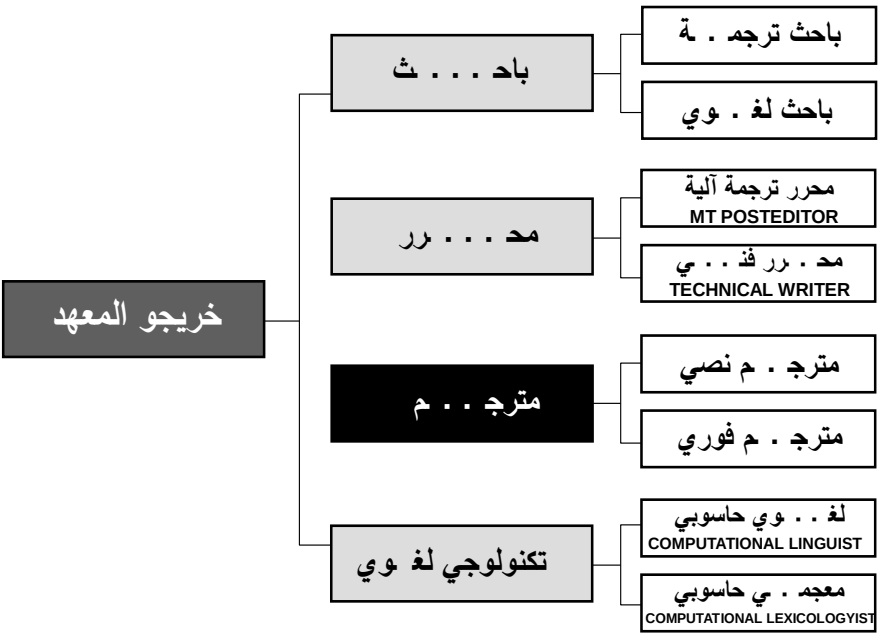

• من أهم مشكلات عصر الإنترنت هي كيفية التصدي لظاهرة انفجار المعلومات أو "حمل المعلومات الزائد information overlood".

• لذا ظهر ما يسمى خدمات ما بعد الترجمة للسيطرة على الكم الهائل من النصوص.

• كل هذه العمليات للتعامل مع النصوص تعتمد بصورة أساسية على تكنولوجيا المعلومات.

خدمات ما بعد الترجمة

مواجهة حمل المعلومات الزائد

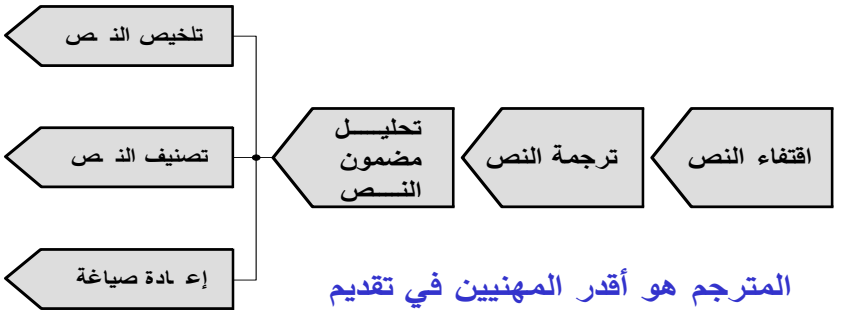

المترجم هو أقدر المهنيين في تقديم خدمات ما بعد الترجمة

تكنولوجيا الترجمة TRANSLATION TECHNOLOGY

نظم ترجمة آلية متكاملة FULL-FLEDGED SYSTEMS	على أساس القواعد RULE-BASED	INTER-LINGUA	لغة وسيط
		TRANSFER	تحويل
	يدفع البيانات DATA-DRIVEN	EBMT	ترجمة آلية بالأمثلة
		SMT	ترجمة آلية إحصائية
نظم ترجمة شبه آلية SEMI-AUTOMATIC	MACHINE SUPPORTED	TRANSLATION MEMORY	ذاكرة الترجمة
	HUMAN SUPPORTED	PRE/POST EDITING	تنقيح قبلي وبعدي
أدوات مبيوترية COMPUTATIONAL TOOLS	COMPUTERIZED CORPUSES		ذخائر نصوص محوسبة
	COMPUTATIONAL LINGUISTICS		لسانيات حاسوبية
	COMPUTATIONAL LEXICOLOGY		معجمية حاسوبية
	TERM BANKS		بنوك المصطلحات

- تكنولوجيا الترجمة لا يقصد بها نظم الترجمة الآلية فقط، بل حزمة كبيرة من التكنولوجيات

• يتراوح استخدام تكنولوجيا الترجمة من استخدام أدوات كمبيوترية كالمعاجم الإلكترونية، إلى نظم الترجمة الآلية المكتملة دون تدخل بشري.

• من أهم التطبيقات المستخدمة حاليا هي نظم ذاكرة الترجمة TM: Memory Translation

• يقصد بذاكرة الترجمة تخزين نصوص سبق ترجمتها من أجل ترجمة نصوص مشابهة بأقل جهد بشري، ويكثر استخدامها في ترجمة وثائق الشركات التي كثيرا ما تتطابق أجزاء كبيرة من كتالوجات منتجاتها على سبيل المثال.

ما الذي لا تفعله ذاكرة الترجمة ؟

مفاهيم خاطئة شائعة

• ذاكرة الترجمة لا تحل محل المترجم

• ذاكرة الترجمة لا تعرب جمل المصدر لغويا (parse) كما تفعل نظم الترجمة(MT)

• ذاكرة الترجمة تأتي . عادة . فارغة ويملؤها المترجمون بمعرفتهم

• ذاكرة الترجمة ليست مقيدة بزوج معين من لغتي الأصل والوصل مثل نظم الترجمة الآلية

• قائمة مختصرة بالمهام الأساسية التي تقوم بها نظم ذاكرة الترجمة والتي تلخصها رباعية: تخزين ما سبق ترجمته . البحث في المخزون المترجم . ترجمة المطابق . النفاذ إلى بنك المصطلحات.

تحرير الترجمة: السابق واللاحق PRE& POST-EDITING

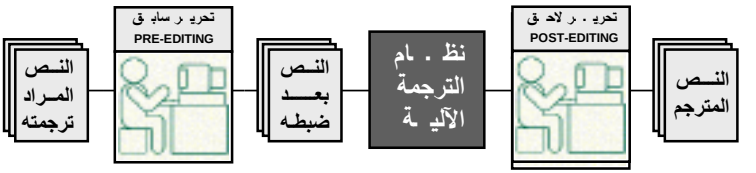

- تحرير الترجم ة الساب ق PRE-EDITING لإعداد الن ص للترجم ة
- تحرير الترجمة اللاحق POST-EDITING لتنقي ح النص المترجم آليا
- تزاي . د الطل . . ب عل . ى مهن . ة التحري ر اللاح ق
- يركز المعهد في السنة النهائية على التدريب على مهارتين أساسيتين:

HAMT: HUMAN - ASSISTED MACHINE TRANSLATION

MAHT: MACHINE - ASSISTED HUMAN TRANSLATION

دعم تكنولوجيا المعلومات لأنشطة المعهد

دع . . م تكنولوجيا المعلومات	معجمي ات إلكتروني ة	معاجم إلكترونية أحادية ومتعددة اللغات
		معاجم مترادفات إلكترونية
		قواعد بيانات معجمية
	معالجات لغوية آلي . . ة	معال . . ج صرف . . ي آل . . ي
		نظ . . ام إع . . راب آل . . ي
		نظ . . ام تشكي . . ل تلقائ . ي
		معالجات الكلام آليا (تمييزا وتوليدا)
	نظم آلي . ة للترجم . ة	نظ . . م ترجم . . ة آلي . . . ة
		نظ . . م ذاك . . رة الترجم . ة
		نظام دعم المترجم . مكتبة رقمية
	موارد معلومات محوسب . . ة	ذخائر نصوص محوسبة (أحادية اللغة)
		ذخائر نصوص محوسبة (متعددة اللغات)
		دوائ . . ر مع . . ارف إلكتروني . ة
	أدوات زي ادة الإنتاجي . . ة	مدق . . . . ق هجائ . . . . ي
		مدق . . . . ق نح . . . . وي
		نش . . . ر إلكترون . . . . ي

- يوضح الجدول كيف ستدعم تكنولوجيا المعلومات أنشطة المعهد المختلفة.
- ويستعين المعهد في ذلك ببيوت الخبرة المتخصصة في العالم العربي وفي فرنسا (جرينوبل).

1. يؤمن المعهد بأن الترجمة، خاصة الترجمة العلمية، ليس فنا بل مهارة يمكن اكتسابها.
2. المشكلة هي ندرة خبراء الترجمة القادرين على التدريس وذوي الخلفية المعجمية واللغوية والأسلوبية الكافية.
3. المشكلة الثانية: أن جميع نظم دعم المترجمين صممت أساسا لخدمة المترجمين المهنيين لا من هم تحت التدريب.
4. يؤمن المعهد أن أفضل طريقة لتعلم الترجمة هي من خلال الأمثلة المستخلصة من ترجمات واقعية.
5. تم تفتيت خبرة الترجمة deskilling إلى ما يقرب من مائة مهارة أساسية عززت بالعديد من الأمثلة التي أمهرت بتعليقات وافية لتفسير ما قام به المترجم في ترجمتها.
6. هدف التدريب هو إعداد الخريجين والخريجات للعمل في بيئة عمل كثيفة التكنولوجيا.

توجه المعهد في تنمية مهارات الترجمة

ذ . درة خب . راء الترجم . ة القادري . ن عل . ى الت . دريس

SCARCE TRANSLATION EXPERTS CAPABLE OF TEACHING

التعل . م م . ن خلال أمثل . ة مستخلص . ة من ترجمات واقعي . ة

LEARNING VIA EXAMPLES EXTRACTED FROM ACTUAL TRANSLATIONS

ذخائ . ر النص . وص المحوسب . ة الثنائي . ة اللغ . ة المتوازي . ة

COMPUTERIZED PARALLEL BILINGUAL TEXTUAL CORPORA

تنمية مهارات الترجم . ة الأساسي . ة نحوي . ا ومعجمي . ا وأسلوبي . ا

BASIC TRANSLATION SKILLS: GRM - LEX - STYLISTICS

تهيئ . ة الخريجين للعمل ف . ي بيئ . ة عم . ل كثيف . ة التكنولوجي . ا

ORIENTATION TOWARDS A TECHNOLOGY-INTENSIVE WORKING ENVIRONMENT

وضع المعهد خطة متدرجة لإدخال تكنولوجيا الترجمة تشمل المراحل التالية:

- تدريس منهج تقديمي لتكنولوجيا الترجمة.
- تصميم محطة عمل لدعم المترجم المتدرب توفر له الخلفيات النحوية والمعجمية والمصطلحية، بهدف تنمية مهارات الترجمة الثلاث: استيعاب نص الأصل . تحويل النص من لغة الأصل إلى لغة الوصل . إنتاج النص في لغة الوصل

مراحل إدخال تكنولوجيا الترجمة في المعهد

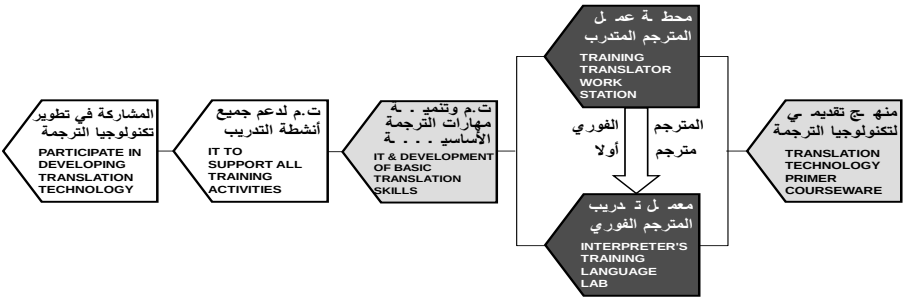

ARABIC HIGH TRANSLATION INSTITUTE	TRAINEE TRANSLATOR WORK STATION	المعهد العربي العالي للترجمة

طـــور المتـــدرب ☐ TRAINEE MODE

طـــور المـــدرس ☐ TEACHER MODE

طـــور المطـــور ☐ DEVELOPER MODE

FACILITIES			FUNCTIONS

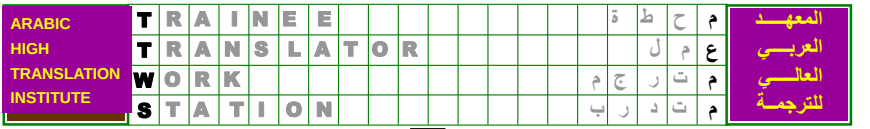
ARABIC HIGH TRANSLATION INSTITUTE
TRAINEE
TRANSLATOR
WORK
STATION
المعهد العربي العالي للترجمة
TRAINEE MODE
TEACHER MODE
DEVELOPER MODE
طـــور المتـــدرب
طـــور المـــدرس
طـــور المطـــور
FACILITIES
Develop Translation Skills
Enrich Your Vocabulary
Experience Professional TM
Evaluate Your Progress
Enrich Your Linguistics
Create Your Own TM
FUNCTIONS
1 Nominal Premodfications
2 Nominal Post Modification
3 VP: Tense/Voice
4 Verbal Aspects
5 Function Words & Conjuncts
6 P.O.S Disparities
7 Complex Sentence Structures
8 Help
• CHOOSE YOUR MODE
• CHOOSE A FACILITY
• CHOOSE A FUNCTION

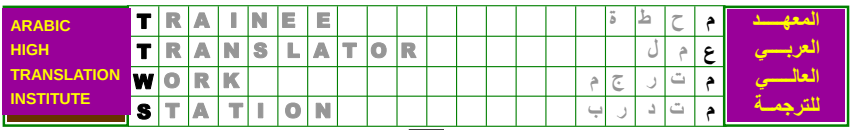
ARABIC HIGH TRANSLATION INSTITUTE
TRAINEE
TRANSLATOR
WORK
STATION
المعهد العربي العالي للترجمة
TRAINEE MODE
TEACHER MODE
DEVELOPER MODE
طـــور المتـــدرب
طـــور المـــدرس
طـــور المطـــور
FACILITIES
Develop Translation Skills
Enrich Your Vocabulary
Experience Professional TM
Evaluate Your Progress
Enrich Your Linguistics
Create Your Own TM
FUNCTIONS
1 Word Sense Disambiguation
2 Verbal Argumentation
3 Word Taxonomy (Features)
4 Lexical Patterns
5 Compound Lexemes
6 Synonyms
7 Terminology
8 Help
• CHOOSE YOUR MODE
• CHOOSE A FACILITY
• CHOOSE A FUNCTION

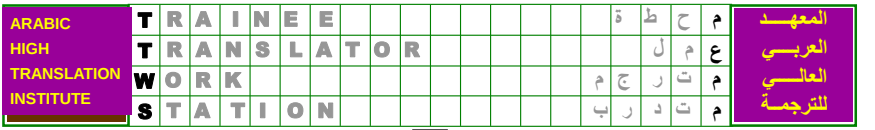
ARABIC HIGH TRANSLATION INSTITUTE
TRAINEE
TRANSLATOR
WORK
STATION
المعهد العربي العالي للترجمة
TRAINEE MODE طور المتدرب
TEACHER MODE طور المدرس
DEVELOPER MODE طور المطور
FACILITIES
Prepare Session Scenario
Refresh Grammar SL/TL
Evaluate Trainee(s)
Compile TM Files
Review Linguistic Background
On Line Support Trainee(s)
FUNCTIONS
1 Select Topic
2 Translation Activity Mode
3 Define Basic Translation Skills
4 Navigate Internet
5 Select Cases
6 Annotate Cases
7 .....
8 Help
• CHOOSE YOUR MODE
• CHOOSE A FACILITY
• CHOOSE A FUNCTION

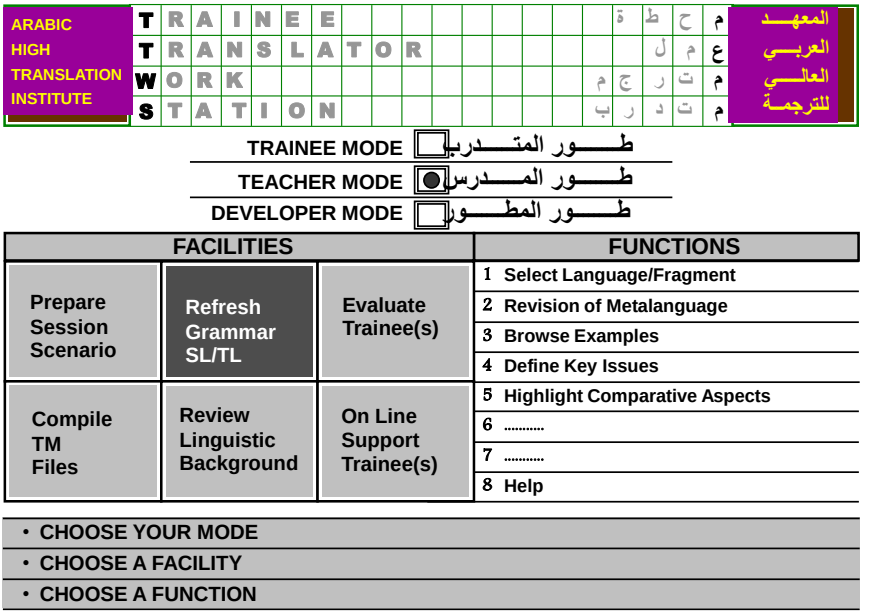
ARABIC HIGH TRANSLATION INSTITUTE
TRAINEE
TRANSLATOR
WORK
STATION
المعهد العربي العالي للترجمة
TRAINEE MODE طور المتدرب
TEACHER MODE طور المدرس
DEVELOPER MODE طور المطور
FACILITIES
Prepare Session Scenario
Refresh Grammar SL/TL
Evaluate Trainee(s)
Compile TM Files
Review Linguistic Background
On Line Support Trainee(s)
FUNCTIONS
1 Select Language/Fragment
2 Revision of Metalanguage
3 Browse Examples
4 Define Key Issues
5 Highlight Comparative Aspects
6 .....
7 .....
8 Help
• CHOOSE YOUR MODE
• CHOOSE A FACILITY
• CHOOSE A FUNCTION

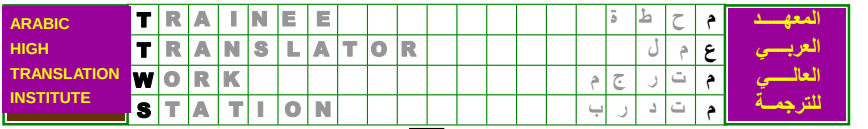

TRAINEE MODE ☐ طـــور المتـــدرب

TEACHER MODE ☐ طـــور المـــدرس

DEVELOPER MODE ◉ طـــور المطـــور

FACILITIES			FUNCTIONS
Add New Corpus	Acquire Resource	Update Translation Memory	1 Select New Corpus
			2 Spell Check Text
			3 Parse SL Text
			4 MAP Parallel Categories
Update Lexical LDB& LXT	Update Knowledge Bases	TTWS Data Integrity	5 Annotate Cases
			6 Categorize Cases
			7 .....
			8 Help

- CHOOSE YOUR MODE
- CHOOSE A FACILITY
- CHOOSE A FUNCTION

خاتمة: التوصيات

مقترحات ندوة
الطريق إلى مجتمع المعرفة
وأهمية نشرها باللغة العربية

نظم المجلس العلى للغة العربية بالتنسيق مع وزارة الثقافة وفي إطار الجزائر عاصمة للثقافة العربية 2007 ، ندوة موضوعها: الطريق إلى مجتمع المعرفة وأهمية نشرها باللغة العربية في يومي 13 و 14 نوفمبر 2007 بالجزائر،حضرها مفكرون وباحثون عرب من دول شقيقة قدمت فيها أربع عشرة محاضرة في خمس جلسات علمية توزعت على المحاور الثلاثة التالية:

- سمات مجتمع المعرفة وكيف يكون ؟
- توطين المعرفة باللغة العربية
- كيف تنتج المعرفة وكيف توزع؟

تبعتها مناقشات أثرت ما جاء في أوراق الندوة، وخصصت أمسية اليوم الثاني لورشة عامة تنوعت فيها الرؤى وشكلت حوصلة معمقة لما دار في الجلسات العلمية، التي يمكن إيجازها في الآراء التحليلية والاستشرافية التالية:

1- التركيز على الجانب المعرفي المرتبط أساسا بالتنمية والإنسان وعدم الاقتصار على الجانب التقني باعتبار أن مجتمع المعرفة يقوم على وسائل غير مادية .

2- التأكيد على أن لا نبقى مستهلكين للوافد والموروث ظانين أن مجتمع المعرفة هو مجتمع المعلومات

3- العناية باللغة العربية باعتبارها وسيلة إبداع وابتكار ونشر للمعرفة، والطريق الأمثل لتوطينها

4- بذل الجهد في تطوير بنية مجتمع المعرفة مثل التربية والتعليم والتكوين والبحث العلمي

5- التأكيد على أن الوصول إلى مجتمع المعرفة ونشرها يتطلب الوصول إلى أكبر عدد من المواطنين، وهذا يتطلب بدوره تطوير اللغة العربية وتطويعها لتكون أداة للمعرفة وموضوعا لها، والعمل على استعمالها في تدريس العلوم والتكنولوجيا والاهتمام باللغات الأخرى باعتبارها روافد معرفية وليست بديلا عن العربية

6- التأكيد على الاستثمار في القواعد المادية للمعرفة،الذي يمر باستراتيجية تعليمية وتكوينية خلاقة ، مبدعة تقر بمدإ التكوين المستمر والتعليم المتواصل

7- دعم البحوث التي تعنى بفعالية اللغة العربية اتصالا وتوصيلا وتشجيع ودعم الترجمة منها وإليها

8- تعزيز التعاون بين الجامعات ومراكز البحث العلمي والمجامع اللغوية في العالم العربي في إطار مؤسسات جامعة الدول العربية أو بطريقة ثنائية أو متعددة الأطراف

9- تشجيع روح النقد والإبداع والتجريب والثقافة العلمية في كل مراحل النظام التعليمي وتحيين مضامينه.

10- تشجيع الاستخدام الواسع للمعلوماتية، وتفعيل دور المؤسسات العلمية المتخصصة ومنظمات المجتمع المدني والاستثمار العقلاني لرأس المال العربي في ميادين البحث العلمي النظري والتطبيقي

الملاحق

الملحق الأول: موضوع الندوة

الطريق إلى "مجتمع المعرفة"
وأهمية نشرها باللغة العربية

يكثر اليوم تداول مفهوم " مجتمع المعرفة " أو المجتمع المعرفي في وسائل الإعلام وأدبيات وتقارير منظمات التنمية البشرية، وهو المفهوم الذي يعرّفه بعض المفكرين على أنه يعني: توافر مستويات عليا من البحث والتنمية وتكنولوجيا المعلومة والاتصال.

إن مجتمع المعرفة هو مجتمع الثورة الرقمية بامتياز، التي أسهمت في تغيير العلاقات في *المجتمعات المتطورة ورؤيتها للعالمين* ، حيث أصبحت المعلومة والمعرفة سمة ومقياسا لمعنى القوة والتفوق في صياغة أنماط الحياة، وتشكيل الذوق الفني والقيم ، وضاعفت من سرعة الفتوحات العلمية والإبداعية والتراكم المعرفي.

إن المعرفة هي القيمة المضافة الأهم في مجال الثورة التكنولوجية، التي تبشر بعالم ما بعد الحداثة والتصنيع، وإنتاجها هو الرهان ، وتسويقها يعد المحرك الأول للتنمية المستدامة، والحلبة الأهم للتنافس الدولي ، ومصدر القوة والمناعة للأمم المتفوقة في إنتاجها.

ومن ثمة فإن امتلاك ناصيتها يؤهل أصحابها لبسط نفوذهم، وقوتهم، وسيطرتهم السياسية ،والاجتماعية، والثقافية على غيرهم .

ففي مجتمع المعرفة يحظى التعليم والثقافة والاتصال واستخدام الذكاء الاصطناعي وتأهيل الإنسان بمناهج، ومحتويات البرامج الراقية، لأن يغدو

فعالا ومبدعا في مؤسسات تسهر على زيادة الإنتاج، وتفعيل آليات التفكير، والتجديد، والاختراع، والمردودية العالية.

وإذا كان حاضر المجتمعات المتقدمة يعرف بمجتمعات المعرفة ، فهل – يا ترى – بإمكان مجتمعاتنا الموصوفة بالنامية أن تستشف مستقبلا مماثلا لما وصل إليه العالم المتقدم ؟، وكيف نهتدي إلى أقوم السبل، وأنجع الطرائق، للوصول إلى هذا الهدف الاستراتيجي؟

ذلك ما تحاول بعض المؤتمرات والندوات في البلدان العربية الإجابة عنه، من خلال استشراف الاستراتيجيات حول كيفية إقامة مجتمع المعرفة؟

وهذا هو مسعى ندوتنا التي تطمح إلى تلمس طريق المعرفة، وتوطينها في الجزائر، وفي كل البلدان الشقيقة ، مع ربطها باللغة العربية، ذات الماضي التراثي في عصر نهضتها الزاهر، لا سيما ونحن نعيش ما يصطلح على تسميته بالفجوة الرقمية، أي اتساع الهوة بين الجزء الذي يصنع حداثة العصر عن طريق الاكتشاف، والاختراع، والإبداع، وبين الجزء المتخلف عن الركب، ومنه منطقتنا العربية، ونلاحظ أن الجزء المتقدم من المعرفة، وقاطرتها هي البحث الأساسي، والتقانات المتقدمة تقع في منطقة الحظر، والاحتكار (حالة عبد القادر خان الباكستانية وما يعرف بالتجسس الصناعي)

كثير من المفكرين والساسة على وعي بهذه الفجوة، وعلى إدراك تام بأن ليس لنا أي خيار آخر، سوى العمل الجاد على تداركها ، برأب الصدع المعرفي، وبالتفكير المؤسس، واعتماد الأدوات الإجرائية كأفراد، ومجتمعات ، ودول، للوصول إلى مجتمع المعرفة،

إن مجتمعاتنا العربية لم تستفد من الثورة التكنولوجية، بحكم التخلف الموروث عن مراحل الاستعما ، وضعف وتيرة النهضة الفكرية، والعلمية،

والثقافية، وبقاء نسبة عالية في ظلام الأمية، وضعف حصائل المنظومات التربوية، والتعليمية، وقلة الاستثمار العقلاني في البحث، وربطه بالتنمية الاجتماعية، والاقتصادية.

من حق بلداننا بل ومن واجبها السعي إلى تنمية مستدامة، قوامها المعرفة التي ينبغي أن تتاح للشعوب دون مفاضلة أو تفرقة، وتوزيعها بينها بعدالة، للأخذ بناصيتها ولتستفيد من حصائلها كحق من حقوق الإنسان، بما فيها حقه في الحياة والكرامة والسيادة والمساواة .

إن بناء مجتمع المعرفة يتطلب مساهمة كافة قطاعات ومكونات المجتمع، وليس ذلك وقفا على الدولة وحدها، فمنظمات المجتمع المدني ومؤسساته مدعوة للإسهام في التمهيد وتعبيد الطريق نحو المجتمع المعرفي.

حسب هذا المنظور يصبح من الضروري مراجعة برامج التعليم المدرسي، والتكوين الجامعي، وترقية البحث، بالتأطير الجيد للمدارس والجامعات، والعناية بالباحثين في المراكز المتخصصة، والانطلاق من رؤية شاملة قوامها جملة من الشروط: كحرية الرأي والتفكير، والتعبير، وترشيد الأدوات، والوسائل المعرفية، في ظل نظم تقوم على حكم راشد، وتكافؤ الفرص بين كل المواطنين، وتشجيع الإبداع في العلوم والفنون والآداب والترجمة إلى اللغة العربية،

إننا نستشعر الأهمية الاستراتيجية، في التفكير في بناء مجتمع المعرفة وتوطينه باللغة العربية، ذات القدرة على مواكبة العلوم والتقنيات الحديثة، كما أن تطويرها وتجديدها والإبداع فيها وبها ، يسهل من نقل المعرفة في مجتمعاتنا لأن الاقتصار على اللغات الأجنبية سيمركز المعرفة بيد فئة قليلة، مما يعرقل إشاعتها، وتبادل المعلومة، وبالتالي سنكون أمام شعوب لم تستوعب عصرها ، ولا تستطيع الدفاع عن نفسها، ولا هي قابلة للتغيير والتطوير،

أن استخدام العربية في مجتمع المعرفة يضمن نشرها بين مختلف شرائح المجتمع، ويحافظ على الخصوصية الثقافية لشعوبنا، مصدر التنوع والثراء في الحضارة الإنسانية، ويهيئها لأن تكون مشاركا فاعلا ، ويحفزها لتتبوأ مكانة فاعلة في العالمية ، ومحاورا كفئا مع اللغات والثقافات الأخرى، وليس مجرد سلعة أو سوقا لاستهلاك منتوجها.

ضمن هذه الرؤية يقترح المجلس الأعلى للغة العربية ندوة تجري أشغالها وفق المحاور التالية :

1. *سمات "مجتمع المعرفة وكيف يكون.*

. مجالات " مجتمع المعرفة" .

. سبل الوصول إلى مجتمع المعرفة.

. كيف تنتج المعرفة وكيف توزع؟.

2 . توطين *المعرفة باللغة العربية.*

. أساليب الابتكار في اللغة العربية ونشرها.

. مجتمع المعرفة والخصوصيات الثقافية والحضارية.

. نشر المعرفة باللغة العربية.

3 . وسائل *بناء "مجتمع المعرفة" و وظائفه*

. التربية والتكوين والتعليم والبحث.

. الثقافة والقيم المشتركة.

. التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

اللجنة العلمية للندوة

- أ . د/ محمد العربي ولد خليفة
- أ . د/ بوزيـد بومدين
- أ . د/ الطاهـر ميلـة
- أ . د/ محمـد سعيـدي
- أ . د/ صالـح بلعيـد
- أ / الصـادق بخـوش
- أ / زبيـر عروس
- أ / جيلالـي علي طالب
- أ / لحسـن بهلـول
- ا / عبد المجيـد بن داود
- أ /زوليخـة خراز

الملحق الثاني: برنامج الندوة

الثلاثاء 13 نوفمبر 2007

الفترة الصباحية: **الجلسة الافتتاحية:**

9:30 – 10:00	.كلمة معالي وزيرة الثقافة. .كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية.
10:00 – 10:30	استراحة

الجلسة العلمية الأولى: رئيس الجلسة/ أ.د. بومدين بوزيد

10:30 – 10:50	مجتمع المعرفة: مقاربة ابستيمولوجية في ظل تعقيدات ما بعد الحداثة،: أ.د/ محمد برقوق
10:50– 11:10	ثورة المعلومات بين الواقع والأسطورة : أ.د/ حسن حنفي
11:10 – 11:30	مجتمع المعرفة والخصوصيات الثقافية والحضارية هل من تعارض؟: أ.د/ شوقي جلال
11.30 – 13:00	مناقشة
13:00 – 15:00	وجبة الغداء

الفترة المسائية:

الجلسة العلمية الثانية: رئيس الجلسة: أ.د. عبد السلام شدادي

15:00 – 15:20	الهوية والقيم الرمزية في مجتمع المعرفة: أ.د/ بوزيد بومدين
15:20 – 15:40	من إشكالات اللغة إلى إشكالات الوعي: أ / هاني نسيرة
15:40 – 16:00	استراتيجية المعهد العالي العربي للترجمة في مجال إدخال تجربة تكنولوجيا الترجمة، : أ.د/ إنعام بيوض
16:00 – 16:30	مناقشة
16:30 – 16:50	استراحة

الجلسة العلمية الثالثة: رئيس الجلسة/ أ.د عمار طالبي

16:50 – 17:10	الترجمة رهان أساسي للنمو اللغوي والثقافي في عصر العولمة: أ.د/ عبد السلام شدادي
17:10 – 17:30	اللغة العربية في مجتمع المعرفة أ.د/ صالح بلعيد

17:30 – 17:50	بعض الشروط والوسائل لبناء مجتمع المعرفة: أ.د/فضيلة بوعمران
17:50 – 18:20	مناقشة

الأربعاء 14 نوفمبر 2007

الفترة الصباحية:

الجلسة العلمية الرابعة: رئيس الجلسة/أ.د. شوقي جلال

09:30 – 09:50	الساعة الكونية ومجتمع المعرفة: أ.د/ لوط بوناطيرو
09:50 – 10:10	العولمة والرأسمالية الإدراكية والتوزيع العالمي الجديد للمعرفة: أ.د/ يحي اليحياوي
10 :10 – 10:30	دور الديمقراطية والحكم الرشيد في توطين المعرفة عربيا: أ/ عاطف السعداوي
10:30 . 11:00	مناقشة
11:00 – 11:20	استراحة

الجلسة العلمية الخامسة: رئيس الجلسة/ أ.د. حسن حنفي

11:20 . 11:40	نحن والثقافة العلمية: أ/ محمد سعيدي
12:00 . 12:20	المنظومة اللغوية والعلاقات الجديدة في مجتمع المعرفة:أ.د / محمد طيبي
12:20 . 12:50	مناقشة
13:00 . 15:00	وجبة الغداء

الفترة المسائية: من الساعة 15:00 إلى الساعة 17:00

مائدة مستديرة موضوعها : سبل الوصول إلى مجتمع المعرفة

منشط المائدة: د. محمد قماري (طبيب ممارس وإعلامي)

مقرر الورشة: د. أحمد وارث (أستاذ الفلسفة بجامعة الجزائر)
المقرر العام للندوة: بوزيد بومدين أستاذ الفلسفة بجامعة وهران

بمساعـــدة:
- الصـادق بخوش
- عبد المجيد بن داود
- زوليخـة خراز
17.00 – 17:20 – استراحة
17:20 – 18:00 – الجلسة الختامية
قراءة التوصيات
كلمة ختامية لرئيس المجلس

الملحق الثالث: لائحة المشاركين

اللائــحة التي صادق عليها المشاركون
في الندوة الدولية حول:الطريق إلى مجتمع المعرفة وأهمية نشرها باللغة العربية
المنعقدة بالجزائر يومي:13 و 14 نوفمبر(الشهر الحادي عشر) 2007

بسم الله الرحمن الرحيم

نحن المشاركين في الندوة الدولية: الطريق إلى مجتمع المعرفة وأهمية نشرها باللغة العربية، المنظمة تحت الرعاية السامية لفخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة، وضمن فعاليات الجزائر عاصمة للثقافة العربية 2007 من طرف المجلس الأعلى للغة العربية ووزارة الثقافة في يومي 13 و 14 نوفمبر 2007 بفندق الأوراسي – الجزائر

بعد الاستماع إلى الكلمة الافتتاحية لرئيس المجلس الدكتور محمد العربي ولد خليفة التي ركز فيها على أهمية الندوة وأهدافها ومحاورها ومغزاها في هذه الظروف التي تمر بها المنطقة وما ستسفر عنه الأبحاث والمناقشات من أفكار واقتراحات استشرافية والتأكيد على ضرورة بحث السبل والوسائل الكفيلة بالوصول إلى مجتمع المعرفة ونشرها باللغة العربية، والدعوة إلى ضرورة تضافر جهود العلماء والباحثين للرقي باستعمال العربية في مختلف ميادين العلوم والتكنولوجيات الحديثة مما يجعلها أداة إبداع وابتكار وقناة نقل للمعرفة العلمية وموضوعا لها لكي نضمن التواصل مع أحدث المنجزات العلمية والمعرفية لأجل مجتمعاتنا وتوطينها تمهيدا لإنتاجها في أوطاننا.

بعد الاستماع إلى محاضرات ومداخلات السادة الباحثين والأساتذة التي تميزت بالطرح العلمي الجاد لواقع التربية والتكوين والبحث العلمي والحث على

رفع مردوديتها لتكون أكثر فعالية وحضورا في مجالات الإبداع والاختراع وقاطرة قوية لخدمة التنمية المستدامة.

يلاحظ المشاركون في الندوة أهمية التوصيف والتشخيص والاقتراحات التي توصلت إليها أشغال الندوة، ويوصون بالحرص على تبليغها إلى مختلف المؤسسات والهيئات الوطنية والإقليمية.

يوصي المشاركون في الندوة بضرورة تحيين مضامين التربية والتكوين باللغة العربية واعتمادها في تدريس العلوم والتكنولوجيا وتوظيفها في مختلف الوسائط الإعلامية وتشجيع ودعم الترجمة منها وإليها.

ويعتبرون أن نقل التكنولوجيا وتوطينها في وطننا العربي يتطلب توفر الآليات الكفيلة بالاستيعاب والتمثل ثم التوطين، ويستوجب هذا تفعيل الجهد العلمي العربي المشترك وإشراك الكفاءات العلمية المتواجدة في بلاد المهجر، وذلك ضمن مؤسسات جامعة الدول العربية ومراكز البحث المتخصص لمواجهة احتكار المعرفة .

أكد المشاركون في الندوة على أن المخرج من دائرة التخلف يمر أساسا بالوعي بأن قوة الدولة من قوة مكونات مجتمعها، ولا مكانة للدولة والمجتمع إلا إذا حظيت نخب المجتمع المفكرة والمبدعة بالرعاية والاهتمام في مناخ من الحرية ببعديها التفكيري والتعبيري في ظل حكم راشد قائم على العدالة الاجتماعية ودولة القانون ومعيار الاستحقاق.

يثمن المشاركون في الندوة الرعاية السامية لفخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة وتشجيعه المتواصل لمسعى المجلس الأعلى للغة العربية الرامي إلى بعث النقاش والحوار حول القضايا التي تهم اللغة العربية لسانا ومضامين، وربطها بالتنمية.

وفي الأخير يتوجه الأساتذة والباحثون والمهتمون بخالص الشكر والامتنان إلى السيدة وزيرة الثقافة على دعمها الاستثنائي لهذه الندوة وإلى المجلس الأعلى للغة العربية ورئيسه على التنظيم الجيد لهذا اللقاء العلمي الهام ويقترحون أن تعقبه لقاءات علمية أخرى تضيء لنا الطريق نحو تأسيس مجتمع المعرفة وتوطينها باللغة العربية.

الملحق الرابع :

ثبت بالمفاهيم والمصطلحات

الاتصال: 7-11-14-15-19-27-28-33-35-37-49-50-54-55-68-69-72-95-101-107-108-120-123-124-128-150-154-156-158-160-161-162--165 164-167-233.

الآخر: 8-9-10-32-34-37-39-41-42-47-51-52-53-67-69-119-122-146-152-186-195-201-206.

الأصالة: 34-51-52-55

الإعلام: 14-18-20-21-49-50-55-57-68-69-70-71-72-80-86-93-99-102-107-108-112-114-135-140-149-161-165-233-244.

اقتصاد الريع: 85

الأنا: 7-10-19-33-34-51-100-177-244.

إنتاج:3-4-6-13-15-18-20-22-23-31-32-33-36-37-49-50-51-62-63-64-66-67-70-71-72-73-74-75-76-77-79-80-81-82-83-84-85-88-92-93-101-104-108-110-113-115-116-117-118-120-121-122-124-128-140-142-144-154-156-159-168-169-193-195-198-199-200-202-203-207-225-233-234-242.

ب

البشري: 6-13-20-27-28-29-30-81-130-134-151-153-154-155-157-158-164-166-168-169-180-186-193-194.

ت

التبعية: 6-8-34-52-96-103-104-113-133-144.

التجديد: 4-15-23-81-83-87-94-108-121-130-132-136-138-144-146-152-157-160-234-235.

تحليل الخطاب:85.

تكنولوجيا: 6-7-8-10-11-13-15-18-19-22-25-29-30-35-67-68-69-70-71-72-78-79-80-81-82-86-93-95-10-115-117118-120-122-124-126-128-139-140-141-150-151-166-172-183-217-219-220-221-222-224-225-231-233-238-241-242-245.

التنمية الإنسانية: 20-33-38-113-116-139-174-193-195-198-199-200-204-205.

التنمية: 3 -4-7-8-10-11-13-14-15-17-18-21-31-35-37-59-68-73-78-79-80-84-86-87-94-96-101-102-103-108-110-111-112-115-128-129-136-138-140-148-151-154-166-172-174-225-230-233-235-236-242-243.

التواصل: 28-152-160-165-242.

ث

الثقافة العلمية: 21-38-176-178-179-180-181-182-183-184-185-186-231.

ثورة المعلومات: 24-33-34-41-42-43-45-48-49-51-52-53-54-55-80-92-108-137.

ح

الحداثة: 16-17-34-45-51-52-57-58-115-144-155-159-162-168-233.

الحكم الراشد: 33-37-99.

حمل المعلومات الزائدة:

خ

الخائلي: 35-123-151.

د

الدولة: 11-17-18-38-50-58-60-61-72-87-96-97-98-99-120-122-124-125-172-203-204-235-242.

ر

رأس المال: 6-13-23-50-67-72-80-81-83-84-87-108-130-134-231.

الرأسماليةالادراكية:23-65-66-67-68-72-73-77-80-81-82-84-86-87-88-89-239.

الرمز: 24-25-34-35-43-44-122-123-137-138-140-143-146-148-151-152-156-159-230

س

الساعة الشمسية: 208

الساعة الكونية: 25-206-207-210-211-212.

الساعة الفلاحية: 213

سلعنة: 18-60.

السلفية: 34-41-51-52-144-146.

الشبكية: 122.

ص

صناعة الثقافة: 34-150.

ع

العلمانية: 34-52-151.

العولمة: 3-22-29-32-65-66-67-68-69-71-72-86-88-113-116-117-119-123-132-133-149-158-174-188-204-209.

ف

الفجوة الرقمية: 134-234.

ق

القيم: 13-17-18-28-35-41-45-59-60-61-125-126-137-138-143-144-146-147-148-151-157-161-166-197-233.

ل

الليبيرالية: 87

م

ما بعد الحداثة: 57-58-233.

المجتمع الصناعي: 49-154-155-190-191.

المجتمع المدني: 7-11-38-50-113-195-203-231-235.

مجتمع المعرفة: 3-5-6-10-11-12-13-14-15-16-17-18-20-21-22-23-25-26-27-28-30-31-32-33-36-37-39-40-57-58-59-60-61-62-63-64-77-87-92-93-94-95-96-99-

-119-118-117-115-113-112-109-108-107-106-104-100
-134-133-132-131-130-129-128-124-123-122-121-120
150-149-142-140-139-138-137-135

مجتمع المعلومات: 16-22-24-25-26-32-57-95-110-128-
129-139-155-172-173-174-230.

مجتمع النمذجة: 18-59.

مجتمع ما بعد الصناعة:17-58.

المجتمعات التخيلية: 61

مجتمع المعرفة: 16-22-24-25-26-32-57-95-110-128-
129-139-155-172-173-174-230.

مجتمع المعلومات: 16-22-24-25-26-32-57-95-110-128-
129-139-155-172-173-174-230.

ن

نظرية النص: 160

هـ

هندسة المعرفة:61-140

الهوية: 3-30-32-33-37-55-109-118-125-126-137-
144-146-158-159-171-173-174.

و

الوسائط: 28-141-142-167-242.

المشاركون:

محمد العربي ولد خليفة	الجزائر
حسن حنفي	مصر
محند برقوق	الجزائر
يحي اليحياوي	المغرب
فضيلة بوعمران	الجزائر
شوقي جلال	مصر
بومدين بوزيد	الجزائر
محمد طيبي	الجزائر
إنعام بيوض	الجزائر
صالح بلعيد	الجزائر
هاني نسيرة	مصر
محمد سعيدي	الجزائر
عبدالسلام شدادي	المغرب
عاطف السعداوي	مصر
لوط بوناطيرو	الجزائر